الإرشادات المهمة

لعامة الأمة

الجزء الأول

الإرشادات المهمة

لعامة الأمة

الجزء الأول

تأليف الفقير إلى عفو ربه القدير

عبد الله بن صالح القصير

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

1430هـ – 2009م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن استن بسنته ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه مجموعة توجيهات في مقالات، كُتِبَتْ في مناسبات مختلفة، وفي موضوعات متنوعة من أبواب الفقه في الدين، وفنون النصيحة لعامة المسلمين، استحسن من اطلع عليها نَشْرَها، رجاء أن ينفع الله تبارك وتعالى بها في الدنيا والأخرى، وأن يثيب سبحانه كل من شارك في إخراجها، ومن انتفع أو اغتبط بها، فأجبته لذلك، ولعلّه أن يكون في موضوعاتها ما يسعف الخطيب، وينجد الداعي، ويعين إمام المسجد الذي يحب أن يتخول جماعته بالموعظة، وكذلك الموجّه والمربي الذي يعتني بتربية طلابه على أداء الواجبات، والعناية بالفضائل، وسميتها: (الإرشادات المهمة لعامة الأمة).

سائلاً الله جلّ وعلا أن يجزي الجميع جزاء المحسنين، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.

الفقير إلى عفو ربه القدير

عبد الله بن صالح القصير

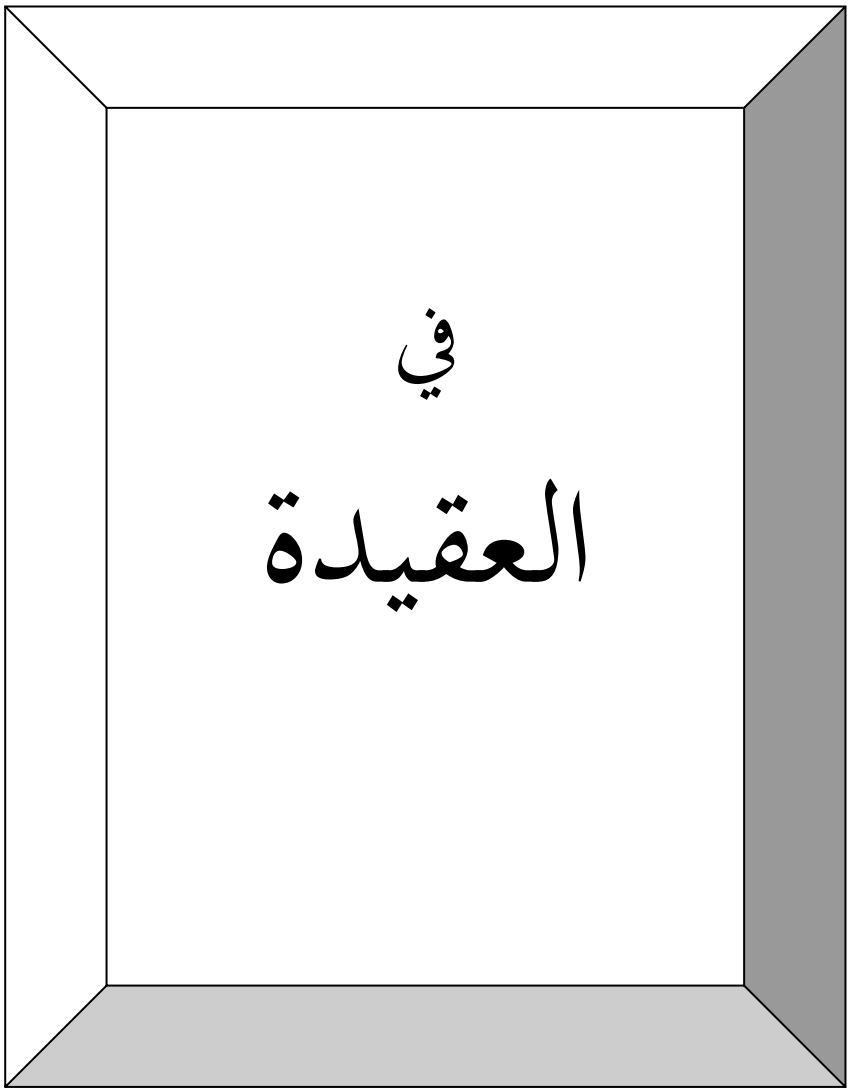

في

العقيدة

الوظيفة الحتمية بين الاهتداء والاعتداء

الحمد لله الذي خلق الجن والإنس لعبادته، وأمرهم بتوحيده وطاعته، ونهاهم عن الشرك به ومعصيته. **أما بعد**:

فإن مما يتفق عليه العقلاء أن التعبد فطرة جُبلت عليها النفوس، وتغلغلت في سويداء القلوب، فهي وظيفة المكلفين الحتمية التي يعتقدون أن القيام بها نعيم محقق، وأن تركها شقاء محتم، فهي ظلٌّ وارف للمتعبدين، يجدون فيها سكون النفس وطمأنينة القلب، وسعادة لا يجدها من فقدها، ولذا كانت حاجة نفسية، ومطلبًا عقليًّا لدى جميع الأمم، وحسبك بأمر دلت نصوص الشرع المطهر على أنه الحكمة التي خلقت الجن والإنس لها، والوظيفة الكبرى التي كلفوا بها، وأن سعادة الأبد مرهونة بالقيام بها على الوجه المشروع، وأن الشقاء العظيم مترتب على تركها، أو الانحراف فيها.

* فالتعبُّد الذي هذا شأنه لا بد من وقوعه على أي وجه كان، فإنه من نواميس الكون، وأسرار الخلق، ولا ينازع هذا إلا جاهل، جهله مركب، أو مكابر متغطرس، ولهذا تعاقبت الأمم وتوالت القرون متفقة على ضرورة التعبد، ومختلفة فيمن يستحق العبادة وفي منهاج العبادة، وكلٌّ يدعي أن ما هو عليه هو الأمر الذي تتحقق به سعادته ويتمتع بنعيمه.

ولذا تكفّل الله تعالى بهداية خلقه إلى عبادته، ورسم لهم طريق العبادة، وحضهم على سلوكه والثبات عليه بالترغيب والترهيب، وجعل رسله عليهم الصلاة والسلام وورثته أئمة لهم في تحقيقها وأدائها على الوجه الذي شرّعه وارتضاه.

أ- فمن وقع تعبده على هدي الخالق المعبود الحق، صار أطيب الناس عيشًا، وأسعدهم دنيا وآخرة.

ب- ومن حاد عن ذلك كان حظه من تعبده النَّصَب، وفاته من سعادة الدنيا والآخرة ما لا يمكن حصره، وكان ممن قال فيهم الله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية:١ – ٧]، فكان في الآخرة من الأخسرين أعمالًا، الشقيين مآلًا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:123،124].

ومن أعظم أسباب ضلال غالب الأمم في تعبدها:

1- اعتمادها في تعيين معبودها الذي تتخذه إلهًا وحكمًا ورسم منهاج أو طريقة العبادة ـ وإقناع الأتباع بذلك ـ؛ على العقل.

2- اتباع المنتفعين من تعبيد الخلق لما يهوونه من المعبودات التي يرون بها تحقيق انتفاعهم من محافظة على منصب أو تحصيل مال أو كثرة أتباع.

وفي هذا النهج الظالم عدة جنايات هي أعظم من الجرائم:

الأولى: الجناية على العقل: في تحميله هذه المسؤولية الضخمة مع قصوره وما يعتريه من المؤثرات السلبية.

فإن العقل قوة كسائر قوى البشر، لا تستقل بالقيام بوظيفتها ما لم تساعدها قوة أخرى تعينها على ذلك، مثله مثل قوة البصر التي لا تدرك المبصرات ما لم تنضم إليها قوة الضوء التي تمكنها من القيام بوظيفتها.

فهكذا العقل يحتاج إلى ضوء الشرع، الذي هو هدي الخالق حتى يعرف المكلف معبوده الحق، وما ينبغي لـه، ويهتدي إلى الطريق الموصل إليه، ويحذر العوائق الصوارف عنه.

الثانية: الجناية على حق الخالق: فحقيقة هذا الأمر أنه جناية على الخالق تبارك وتعالى، وجناية على حقه، وإضلالٌ لعباده عنه.

الثالثة: جنايتهم على أنفسهم وعلى أتباعهم: فقد بين الله تعالى شؤمها في كتابه في براءة بعضهم يوم القيامة من بعض، ولعن بعضهم لبعض، واشتراكهم في العذاب،﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

* ومن هنا يتجلى فضل الله تعالى على عباده بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتفصيل الشرائع حتى يعرفوه حق المعرفة، ويدركوا أن العبادة لا تنبغي إلا له، ويحسنوا أداء عبادته، فقد عرّف سبحانه عباده بنفسه، وذكّرهم بنعمه وآياته الدالة على توحيده، وهداهم إلى القيام بحقه، ورغبهم في سلوك السبيل الموصلة إليه، وحذرهم من السبل التي تفرقهم عن سبيله؛ ولم يكلهم إلى العقول القاصرة ولا إلى أهوائهم الجائرة ولا إلى طواغيتهم الفجرة، فإن هذه كلها مصادر الضلالة المتأثرة بالجهل تارة، وبالهوى تارة أخرى، فإنها بإعراضها عن الشرائع صارت سببًا لشقاء أهلها وأتباعهم في الدنيا والآخرة، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:36].

وقال سبحانه عنهم أنهم يقولون يوم القيامة:﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:67،68].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

همسة فى سمع البشرية

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجًا، قيِّمًا؛ لينذر بأسًا شديدًا من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعلمون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا.

أما بعد:

فإن الله تعالى قد خلق الجن والإنس لعبادته، وهي طاعته بالاستقامة على شريعة الإسلام الكفيلة لمن استقام عليها مخلصًا لله تعالى، متبعًا لنبيه ﷺ بطيب الحياة، والانتفاع بما سخر الله تعالى للناس في السماوات والأرض من أنواع المخلوقات، بتحصيل منافعها والتمتع بخيراتها، واتقاء شرورها وأخطارها، فإن الله تعالى قد شرع دين الإسلام نظامًا للمكلفين ينظم حياتهم وتعاملهم مع من حولهم، ودليلًا على الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، ومُنبِّهًا على المخاطر والمضار وأسباب الشقاء في العاجلة والآجلة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:9]، وقال سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:38]، وقال جل ذكره: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[النحل:89]، وقال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:44].

فشريعة الإسلام الخالدة ودستورها القرآن وما جاء عن النبي ﷺ من بيان هي - إن صحّ التعبير - بمثابة دليل أمين للحياة، يدل على مفاتيح خزائنها وكيفية الانتفاع بها والإفادة منها، وينبه على مخاطرها ومصادر الضرر فيها، وهو كذلك يدل على موجبات سعادة الأبد، ويحذر من أسباب الشقاء والضنك والنكد، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:123،124]، فهو نعم الدليل على أسباب السعادة في العاجلة والآجلة، وعلى موجبات السلامة من الشرور في الدنيا والآخرة، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:42].

فإن الذي شرعه ونزله هو خالق الكون بما فيه، والعالم بأسراره وما يحويه، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك:14].

* ومن المسلَّم به لدى جميع العقلاء أن هذا الكون بما فيه خَلْقه خالقٌ واحد عليم حكيم قوي قدير، وأنه خَلْقٌ مُحْكَمٌ وصنعٌ متقَنٌ، يقول تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ﴾ [الملك:3]، ويقول أيضًا: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾[النمل:88]، ويقول سبحانه: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾[لقمان:11]، فالذي أحكم ما خلق وأتقن ما صنع، وجعله مشتملًا على نواميس ثابتة وسنن مطردة، وأحل لعباده محتوياته وذلل لهم سبله، لابد أن يجعل لهم دليلًا إلى مسالكه ومفاتيح لخزائنه، فإن ذلك هو اللائق بحكمته ورحمته وجوده وفضله.

* ومن تأمل القرآن وما جاء عن النبي ﷺ من بيان، وجد فيهما قواعد كلية تنتظم أصوله، وتنبيهات لطيفة إلى خصائصه، وإشارات حكيمة إلى استعماله، ولهذا لا توجد حقيقة علمية إلا وفي الكتاب والسنة ما يدل عليها تصريحًا أو تلميحًا، أو على الأقل لا يوجد في الكتاب والسنة ما ينفيها أو يناقضها، وانظر مثلًا:

1- كم دخل في قول الله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:8]، من صنعة يستمتع الناس بركوبها وجمالها وحملها؛ من المراكب الأرضية والجوية والبحرية.

2- وكم نبه عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:32] من أخطار الزنا والأمراض الناتجة عنه، والتي لا يسلم منها إلا من تركه وابتعد عنه، والتي وقف العالم حيرانَ مذهولًا أمام ضحاياه وفرائسه.

3- وكم اشتمل عليه قوله ﷺ عن الخمر: «**إنها داء**» من التنبيه على أضرار وأخطار المسكرات والمخدرات

التي يشقى بها من تعاطاها، ولم يتب منها في الدنيا والآخرة .

4- وكم اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:50] من التنبيه على أضرار القوانين الوضعية والأنظمة البشرية المخالفة للشرائع الإلهية، وأنها تجرِّع الناس ضنك المعيشة، وجور الدول، وشقاوة الدنيا والآخرة.

إلى غير ذلك مما لا يمكن استقصاؤه ـ فضلًا عن حصره ـ مما يدل على أن سعادة البشرية في العاجل والآجل، إنما تتحقق بالتزامهم بما يصح أن يسمى (بالكتلوج)، أي: الدليل الذي أنزله الله تعالى هدى لعباده إلى ما يسعدهم في الحياة وبعد الممات، وهو دين الإسلام الخالد.

فالواجب على جميع العقلاء أن يدرسوا دين الإسلام، وأن يتأملوا ما اشتمل عليه من المحاسن والأحكام الميسرة والشرائع العادلة والأخلاق الحميدة والأقوال السديدة والهدايات إلى المنافع في الدنيا والآخرة، فليدرسوه بلغته، وليأخذوه عن أهله المختصين به والعالمين بأصوله وفروعه وعقائده وأحكامه وأخلاقه، فمن هدي إليه فليحمد الله على نعمته، ومن لم يهتد إليه فليسارع إلى الدخول فيه، وأن يتقيد الناس به في أحوالهم العامة والشخصية وفي علاقتهم بالخالق والمخلوقين والحكام والمحكومين، فإنه الدين الكامل والشرع الشامل الميسر والمحفوظ من تحريف البشر، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة:3]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴾ [آل عمران:19]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:85].

فدين الإسلام هو سفينة النجاة، وصمام الأمان، وسبيل السعادة للجن والإنس، ولابد للناس منه وإن طالت الأيام، ولن يجدوا طيب الحياة وسعادة الآخرةإلابه، يقول تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:97].

وكم جرّب الناس من الملل المخترعة المنسوخة، والنحل الباطلة، والقوانين الوضعية الجائرة، والتشريعات والأيدلوجيات والنظريات المادية المفسدة، فلم يزدادوا إلا شقاءً وتعاسةً وخسارةً وفشلًا، فهل يعقلون ويعودون إلى الإسلام؛ ليستظلوا بظله الوارف وينعموا بما فيه من الهدايات والخيرات والأسرار والمعجزات؟!

هذا مانرجوه للإنسانية،والله يهدي من يشاءإلىصراط مستقيم، يقول تعالى:﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر:41].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

من هدى الشرع

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده.

أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف:14]، صدق الله العظيم، ثم ليعلم الجميع أن الله تعالى هو الحق، وقوله الحق، ووعده حق، ولقاؤه حق، وخلق الجن والإنس ليعبدوه بالحق، وأرسل رسله بالحق يدعون المكلفين إليه ويبشرون من قبله، فآمن به، وعمل بمقتضاه بالثواب العظيم، وينذرون من رده، واتبع ضده بالعذاب الأليم.

وأن ضد الحق هو الباطل، داعيته إبليس، ووسائله الأهواء والشهوات والشبهات، ودعاته جند إبليس من شياطين الجن والإنس، ﴿ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا ﴾[الأنعام:١١٢]، وينفذون من السمع والبصر والفؤاد، ومن كل منفذ يوصلهم إلى مقصودهم، فيغرون بالشهوات، ويثيرون الشبهات، ويحرضون على اتباع الأهواء، ويزينون الباطل، ويستعينون ـ غالبًا ـ بالمنافقين والنساء، ومرضى القلوب والأعداء، ويصدون عن الحق بما استطاعوا من هذه الوسائل، والباطل وأهله في النار.

فلكل من الحق والباطل دعاة وجنود وأنصار، فانظر ـ أيها العاقل ـ من أي الفريقين أنت؟

ولكل من الحقّ والباطل أيضًا أسباب، ووسائل، وأساليب، وغايات، ولو شاء الله تعالى لنصر الحق وأهله بأمره الكوني القدري، فإنه تعالى إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، فإن ذلك لا يعجزه سبحانه، وليس بعزيز عليه، ولكن اقتضت حكمة الله تعالى أن يبلو الفريقين بعضهم ببعض؛ ليتميز كل حزب، ويتحقق الاختيار، ويقع الجزاء على الأعمال المكتوبة في سجل الحفظة بعد أن يعلن كل حزب عن نفسه، ويشهد الناس عليه باختياره لنفسه ومجاهدته فيما يهواه، والمؤمنون منهم هم شهداء الله في أرضه، من شهدوا له بخير وجبت له الجنة، ومن شهدوا عليه بشر وجبت له النار، حتى يرى الناس في الدنيا والآخرة أن الجزاء يليق بالأعمال، ويتجلى عدل الله تعالى فيمن كذبه وعصاه، ويتجلى فضله على من أطاعه واتقاه.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ ﴾[محمد:4]، ويقول: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[الأنفال:37]، ويقول سبحانه: ﴿ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾[النجم:31]، ويقول عن الشيطان: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾ [سبأ:21].

وبناء عليه فإنا ندعو الناس دعوة عامة منصوصة في القرآن، فنقول: ﴿ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ٦٤]، ونقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة:2]، ونقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [البقرة: 208،209]، ونقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:5-6]، ونقول: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: 158].

فينبغي للعاقل الناصح لنفسه أن يستقيم على الهدى، ويجانب الضلال والردى، وأن يكون من دعاة الحق

وأنصاره وجنده في كل سبيل، وبكل وسيلة، وفي كل حال، فإن الحق منصور في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[غافر:51-52]، وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الروم: 47]، وأن يحذر أن يكون من دعاة الباطل أو المعينين عليه، فإن داعي الباطل شقيٌ، عليه وزره ومثل أوزار من اتبعه إلى يوم القيامة، فهو من الأخسرين أعمالاً، ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ [الكهف:١٠٤].

وإن الباطل زاهق في العاجل والآجل، قال الله تعالى: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:81]، وقال سبحانه: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [سبأ:48]، وقال جل ذكره: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:18].

فدولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، وتأمل قول الشاعر:

وغدًا تُوفى النفوس ما عملـــــت ويحصـــد الزارعون مـــا زرعوا
إن أحســنوا، أحســنوا لأنفســهم وإن أســاءوا، فبئس ما صــنعوا

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

وجوب الاغتباط والتمسك بالدين والحذر من فتنة الفتانين

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعظم فضله ويسر أحكامه، وأمدّ الدين بقوم بلغوا قوله، واتزموا سبله، فمن حاد عن هدي الحق ضل، وتفرقت به السبل.

أما بعد:

فإن الله تعالى شرع دين الإسلام نظامًا لحياة الناس؛ يصلهم بربهم عز وجل، وينظم صلتهم بخلقه، وينظم علاقة المرء مع نفسه وغيره، وقد جعله سبحانه سبيلًا إلى طيب الحياة في الدنيا وسعادة الأخرى، فهو صراط الله المستقيم الموصل إلى رضوانه وجناته جنات النعيم.

ولهذا ضمن سبحانه سعادة الدنيا والآخرة لمن تمسك به، واستقام عليه مبتغيًا بذلك وجهه، فقال سبحانه: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:38]، وقال جل ذكره: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:123،124]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:82]، وقال عز من قائل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:97].

ولقد أمر الله تعالى بالتمسك به، والوقوف عند حدوده، فقال: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:3]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:21]، وعن النبي ﷺ أنه قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»**، وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65].

* فالدين دين الله، شَرَعَهُ لتحقيق مصالح عباده في الدنيا والآخرة، ولاتقاء الشر والشقاء في العاجلة والآجلة، ومصدره الكتاب والسنة، ويُفهم بفهم حال السلف الصالح من الأمة، أفضل مجتمع وأحبه إلى الله وأرضاه له، والله تعالى أعلم بما يصلح عباده في وقت نبيه ﷺ وفي آخر الدهر، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وقد صلح أول الأمة بالعمل بالكتاب والسنة وحسن التأسي بنبي الأمة ﷺ الذي بين ما نزل إليه من ربه، ونصح أمته بقوله وفعله، وتقريره لما وافقه وإنكاره لما خالفه تبليغًا لرسالته ونصحًا لأمته، عملًا بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:44].

فمن أراد أن يفهم دين الله تعالى على حقيقته، فليتعرف على حال أصحاب وأهل بيت النبي ﷺ فإنهم أنموذج التطبيق، وقدوة الأمة، ومن لم يسعه ما وسع محمدًا ﷺ وأهل بيته وأصحابه، فلا وسع الله عليه، ومن لم يعجبه هدي بيت النبوة، فإنما يعلن عن اتهامه في ديانته وخيانته لأمانته وأمته.

* ومن لم يسعه ما وسع النبي ﷺ وأهل بيته وأصحابه، ولم يعجبه ما كانوا عليه من الهدي والسيرة، وأخذ يدعو إلى خلاف ذلك، فهو مجرم فتان يجب الحذر منه ومن فتنته، فإن الفتنة أكبر من القتل، والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

وأعظم هذا الصنف جرمًا، وأكبرهم إثمًا؛ من تولى كبر التشكيك في أحكام الدين وهدي السلف الصالحين، فأخذ يتبع شواذ أقوال بعض أهل العلم وآراء من ينتسب إليه؛ نبشًا لرفاة رفاعة الطهطاوي، وسعد زغلول، وهدى شعراوي، وأضرابهم ممن تربى في أحضان أعداء الإسلام، وجدّ في نشر ضلالاتهم وكيدهم في ديار الإسلام، فأخذ يتناول نصوص الكتاب والسنة على ما يوافق هواه بالقول فيها بغير علم، وهو ليس من أهل العلم، ولكن

اتباعًا للهوى، ورغبة في الفتنة، وإظهارًا لزيغه.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران:7]، وجاء عن النبي ﷺ قولـه: **«فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»**.

* **ومن أمثلة ذلك**: الأحكام الواضحة التي بدأ يجادل فيها الجهلة ومن في قلوبهم مرض من أهل الأهواء وأبواق أعداء الإسلام، مثل حجاب المرأة المسلمة، فمع صراحة قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ﴾ [الأحزاب:59]، وقوله سبحانه: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ [النور:31].

ويخاطب الله المؤمنين مبينًا ما ينبغي أن يكونوا عليه من الأدب مع أمهات المؤمنين اللاتي هن المثل في العفة والحشمة، وأبعد ما يكن عن الفتنة، فيقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾ [الأحزاب:53].

وانظر تطبيق هذا التوجيه الرباني في بيت النبوة، تقول عائشة رضي الله عنها: «كنا إذا كنا مع النبي ﷺ محرمات، وحاذانا الركبان ـ تعني: الرجال الأجانب ـ، سدلت إحدانا جلبابها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه».

فما أعظم تمسك الرعيل الأول بدين الله عز وجل، وما أحوجنا الآن أن نتبعهم في نهجهم الصالح الذي به ينصلح حال الأمة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

*****

النية: حقيقتها وأثرها

الحمد لله العالم بالخفيات، المطّلع على الضمائر والنيات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد المبعوث بالآيات المحكمات، والبراهين الواضحات، وعلى آله وأصحابه ومن استن بسنته من البريات.

أما بعد:

فإن النية هي: علم القلب وهمه وعزمه، وأساس العمل، والباعث عليه، والداعي إلى الدوام عليه، فإن العمل المنوي مقصود، وغير المنوي شيء لا قيمة له، فصلاحها صلاح للعمل، وسبب من أسباب توفيق الله عز وجل، لهذا كان جهاد النفس على صلاح النية وسلامة الطوية من أوسع وأشق ميادين الجهاد عند العالمين بهذا الشأن، لما يترتب على صلاح النية وسلامة الصدر من الخير في العاجل والآجل في الدنيا والآخرة.

والنية شرعًا: قصد العمل المشروع والمباح، والعزم على فعل العبادات تقربًا إلى الله عز وجل، وعلى هدي النبي المرسل ﷺ، وتلك هي النية الصالحة، فإنها تجمع ثلاثة أمور:

الأول: قصد العمل والعزم على فعله، فإن العمل غير المقصود ليس شيئًا ولا معتبرًا في ميزان الشرع.

الثاني: قصد المعمول له، أي: أن يكون المقصود بالعمل القربة إلى الله عز وجل رغبة في الثواب وحذرًا من العقاب في الآخرة، وذلك بإخلاصه لله تعالى، والحذر من التوجه بشيء منه إلى غير الله تعالى ومن الرياء والسمعة.

الثالث: أن يقصد أداء العمل على السنة، وهي الكيفية المأثورة عن النبي ﷺ، وبهذا يتحقق أداء العمل الشرعي الذي يتقرب به إلى الله تعالى على السنة، فيكون مبنيًا على قواعد الشرع وأسباب القبول، وهي الرضا بالله تعالى ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، وتحقيق هذه الأمور من أسباب التثبيت على الحق في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة.

ومن رضي بذلك كان حقًا على الله تعالى أن يُرضيه ويجزل مثوبته، قال الله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:112]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:31]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:114]. وقال ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»**.

ومن فضائل النية الصالحة:

1- أنها عمارة دائمة للقلب بطاعة الله تعالى.

2- أنها لا يدخلها الرياء.

3- أن من نوى شيئًا من العمل الصالح وعرض له ما يشغله عنه، كُتب له ما نوى.

4- أنها تميز العبادات من العادات، وإذا اقترنت بالعادات المباحة صارت عباداتٍ وأعمالًا صالحة يُثاب عليها.

5- أنها تفرق بين أجناس العبادات، كصلاة الظهر والعصر مثلاً، وبين الفرض والنفل من الطاعات.

6- وأنها تميز بين العبادات بعضها من بعض، فلكل عبادة نية خاصة بها، وتميز بين الفرائض بعضها من بعض، وتميز بين الفرائض والنوافل؛ إلى غير ذلك مما لها من الأثر، فينبغي للعبد أن يعتني بنية الخير فيما يأتي وما يذر، فإنّ حظه من الأجر بحسب حظه من الإخلاص ومراعاة السنة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*****

الإيمان بالقدر وما يقال فى الحادثات

الحمد لله العلي القدير، الذي قدر المقادير، فكل شيء على وفق قدره يسير، والذي يسر الأمور للمكلفين، وكل شيء إليه يصير.

أما بعد:

فإن من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة أن الله تعالى وحده هو:

1 ـ المتفرد بعلم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد كتب سبحانه ما سبق به علمه في كتاب عنده هو اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:59].

2ـ وهو تعالى ذو القدرة الشاملة والمشيئة النافذة، فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، فلا يكون شيء إلا بمشيئته ولا يوجد إلا بخلقه، قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:28 ـ 29]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:62].

وقال سبحانه: ﴿لِّتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:12].

وثبت في الصحيحين عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكركل شيء**».

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**».

وثبت في حديثٍ أيضًا أن النبي ﷺ قال: «**ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن**»، وقال ﷺ: «**قل قدر الله وما شاء فعل**»، وثبت في صحيح مسلم رحمه الله تعالى قوله ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**».

أ ـ فتلك درجات القدر أربع، لا يتحقق الإيمان بالقدر إلا بها، وهي:

الأولى: الإيمان التام بعلم الله السابق بالأشياء كلها على ما هي عليه.

الثانية: التصديق الجازم بكتابته سبحانه لهذا المعلوم في الذكر قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

الثالثة: الاعتقاد الثابت بمشيئته الشاملة وقدرته النافذة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج من مشيئته شيء.

الرابعة: الاعتراف بخلقه ـ تبارك وتعالى ـ لكل شيء، فما من شيء إلا والله خالقه لا خالق غيره.

ب ـ فالإيمان بالقدر هو الإيمان بهذه الدرجات الأربع، وثمرة ذلك أن يؤمن المرء أن الأمر قد فُرِغ منه، فقد جفت الأقلام وطويت الصحف، فما أصاب المرء لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الواجب العمل، فكل ميسر لما خلق له.

والله تعالى أعلم بما الناس عاملون، وهو خالق أعمالهم لكونه تبارك وتعالى خلقهم وكمل خلقهم بالعقول، وبما آتاهم من الإرادات والقدر التي تقع بها أعمالهم، وذلك وجه كونه خالقًا لأعمالهم، وأن الله تعالى قد أمرهم ونهاهم ورغبهم ورهبهم، وجعل عليهم حفظة كرامًا كاتبين يكتبون أعمال العباد، خيرها وشرها في صحفهم، فيترتب جزاؤهم على عملهم الواقع بإرادتهم وقدراتهم، فمن أحسن فله الثواب، ومن أساء استحق العقاب، ولا يظلم ربك أحدًا.

فهم بالإيمان والعمل بالشرع مكلفون، ولأعمالهم عاملون، وعنها مسؤولون، وعليها محاسبون ومجزيون، ولم يكلفهم الله إلا ما يطيقون، والله خالقهم وما يعملون، فالعمل كسبهم، والثواب والعقاب جزاؤهم، وكل نفس بما كسبت رهينة، فمن عدْلِهِ سبحانه وحكمته أنه لم يجعل الجزاء على العلم السابق، بل جعله على العمل اللاحق، لكونه يقع من العامل عن علم وإرادة وقصد وعمد، فيترتب عليه المدح والذم، ويستحق الثواب والعقاب.

ج ـ وبهذا يتبين أن الإيمان بالقدر ينشط على العمل، ويمنع المؤمن التواكل والكسل، ففي التنزيل: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ [التوبة:١٠٥]، وفي الحديث الصحيح: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز**».

فمن سابق إلى الخير سبق، ومن أساء ثم تاب لحق، ومن أصر على جرمه وعناده أو إعراضه للعقوبة استحق، والله تعالى يهدي من يشاء فضلًا، ويضل من يشاء عدلًا.

فالخلق خلق الله، والملك ملك الله، والقدر سر الله وتدبيره لخلقه وملكه، فلا يكون شيء في ملكه ومن خلقه إلا بعلمه ومشيئته وخلقه، وكلٌ مكتوب عنده.

د ـ إذا عُلِم هذا، فإن كل حادث إنما يقع بقدر، أي: قد علمه الله تعالى بعلم سابق مكتوب في اللوح المحفوظ، ووقوعه بمشيئة الله تعالى وخلقه إياه، والملك كله لله، فلا رب غيره ولا خالق سواه، ولا يكون في ملكه إلا ما شاءه وخلقه.

هـ ـ ومن هنا ندرك خطأ بعض الكتَّاب عندما يذكرون حدثًا ما، فيقولون في ثناياه: (ثم تدخل القدر)، أو: (شاء القدر). فإن هذه العبارات مما لا ينبغي أن تصدر عن مؤمن بقضاء الله وقدره، **لأن فيها من المحاذير:**

1 ـ أن القدر متطفل في تدخله، والقدر هو الأصل؛ لأنه سر الخلق ونظام للملك وتدبير الله تعالى لخلقه.

2 ـ أن ذلك يوهم أن ما كان قبل (ما وصف بتدخل القدر) لم يكن بقدر.

3 ـ وفيه إضافة المشيئة إلى القدر، والقدر لا مشيئة له، وإنما المشيئة لله مقدر الأقدار، فإن المشيئة صفة لله تعالى لا للقدر.

فالمؤمن لا يتم إيمانه ولا يقبل منه ولو أنفق مثل جبل أحد ذهبًا، إلا أن يؤمن بالقدر خيره وشره، ويُسلِّم لله جميع أمره، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

احذروا التطير ـ التشاؤم ـ

الحمد لله اللطيف الخبير، لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا هو، وهو على كل شيء قدير، قدّر على الناس أعمالهم وأرزاقهم، فمن آمن بقدره وسلّم له أَمِنَ، ومن ادعى علم الغيب لنفسه أو لغيره غمرته الفتن.

أما بعد:

فيحدث أن بعض الناس يهم بسفر أو يمضي لحاجة أو يبدأ مشروعًا نافعًا من زواج ونحوه، فيعرض له في أول أمره شيء يكرهه، فيظن أن ذلك سببٌ أو علامة على فشله أو خسارته أو شره وسوء عاقبته، فيرجع عما همّ به بناءً على ذلك.

وهذا العمل هو التطير الذي كان عليه أهل الجاهلية، وهو التشاؤم بالأشخاص أو الأماكن أو المسموعات أو الأصوات أو المرئيات أو الحادثات أو الأوقات أو غيرها من المخلوقات، بحيث إذا عرض له شيء من ذلك في أول أمره تشاءم به ورجع عنه.

والتشاؤم ـ التطير ـ عقيدة فرعونية، وخصلة شركية، وصفة جاهلية، ذم الله تعالى بها المشركين وتوعدهم عليها في كتابه المبين؛ زجرًا للمخاطبين واللاحقين، قال تعالى عن آل فرعون: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١]، وقال سبحانه عن قوم صالح عليه السلام: ﴿قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل:47]، وقال عن أصحاب القرية أنهم قالوا لرسلهم: ﴿قَالُوٓا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس:18،19].

فتضمنت الآيات ذم المتطيرين المتشائمين، ووصفهم بالجهل والفتنة والإسراف، وكلها أوصاف تدل على السفه ونقص العقل والسعي في الهلاك والخسران، وكفى بذلك تشنيعًا على المتشائمين، وخزيًا لهم بين العالمين، لما هم عليه من الشرك المبين والحنث العظيم .

وقد كان أهل الجاهلية يتشاءمون بالطيور والحيوانات، فإذا وقع البوم على داره قال: هذا ينعى نفسه، يعني: أنه سيموت، وإذا خرج لسفر فمر من يساره غراب أو نحوه تشاءم ورجع عن سفره؛ خوفًا من الخسارة والهلاك، وهكذا من الناس من إذا خرج لعمله أو حاجته، فرأى حادثًا مروريًا أو جنائيًا ساء ظنه بربه وتوقع أن يحل به مثله، وربما رجع إلى داره وترك حاجته لسبب ما رأى.

وقد نهى النبي ﷺ عن الطيرة ـ التشاؤم ـ وأبطلها وزجر عنها وأخبر أنها شرك، فقال ﷺ: **«لا عدوى ولا طيرة»**، يعني: لا عدوى مؤثرة بنفسها ولا طيرة أصلًا، وإنما هو توهم يجده الشخص في نفسه يلقيه الشيطان على قلبه، وقوله ﷺ: **«لا عدوى»** نص يتضمن النفي، وهو أبلغ من النهي، ففيه النهي عن الطيرة، فكأنه قال: لا تتطيروا، فإن الطيرة مجرد وهم إذ ليست سببًا في المكروه ولا علامة عليه، وإنما هي وساوس شيطانية.

وفي سنن أبي داود وغيره عن النبي ﷺ قال: **«الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك»**، وروى الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ قال: **«من ردته الطيرة ـ أي: التشاؤم ـ عن حاجته، فقد أشرك»** .

وفي هذا الحديث لفتة كريمة لحقيقة الطيرة الشركية ـ وهي التشاؤم ـ وأنها ما رد الشخص عن حاجته، فمتى ترك حاجته متشائمًا، فقد أشرك.

ومثله ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«إنما الطيرة ما أمضاك أو ردّك»**، وقال ﷺ: **«ولا ترد مسلمًا»**، يعني: الطيرة، وهو نهي أن يرجع المرء عما همّ به بسبب التشاؤم، فإن رجع كان ذلك طعنًا في إسلامه، ولذا قال ﷺ: **«ليس منا من تطير أو تطير له..الخ»**.

وإنما كانت الطيرة شركًا والمتطير مشركًا؛ لأنه بالطيرة تعلق قلبه بغير الله، واعتقد أن ما تشاءم به يتصرف مع الله، وذلك شرك في الربوبية والألوهية، إضافة إلى ما في التشاؤم من سوء الظن بالله تعالى، والاستدلال بالطيرة على شيء من الغيب، وذلك كذب على الله تعالى، إلى غير ذلك من العقائد الفرعونية والخصال الجاهلية

الكفرية.

وشرك المتطير ـ المتشائم ـ بسبب اعتقاده فيما عرض له من مكروه مرئي أو مسموع أو معلوم ـ متفاوت في الحكم:

أ- فإن اعتقد أن لما تشاءم به تأثيرًا مستقلًا في حدوث ما يكره، فهو شرك أكبر مخرج من الملة، وهو شرك في الربوبية، من مات عليه حبط عمله وحرم المغفرة والجنة، وهو خالد مخلد في النار.

ب- أما إن اعتقد أن ما تشاءم به مجرد سبب في ذلك فهو شرك أصغر؛ لأنه اعتقد فيه شيئًا من التأثير حيث جعل ما ليس سببًا ـ لا قدرًا أو شرعًا ـ سببًا في الشيء، وذلك نقص في كمال التوحيد الواجب، وذريعة إلى الشرك الأكبر، وفي مغفرته خلاف.

ت- أما إن اعتقد أنه مجرد علامة على وقوع المكروه، فهذا كذب وقد يدخل في ادعاء علم الغيب بواسطة العلامات التي يفترضها، فيلحق بالشرك الأكبر.

ث- ولو لم يكن في التشاؤم والطيرة إلا التشبه بآل فرعون وأشباههم من الكفرة وأهل الجاهلية لكفى، فإن من تشبه بقوم فهو منهم وعلى خطر أن يحشر معهم.

وبذلك يتبين لك أخي المسلم أن الطيرة ـ التشاؤم ـ خرافة وضلال، وشرك وجاهلية، وسبب للهلاك والخسران، ويعرض صاحبه لأنواع العقوبات وألوان المثلات، فاحذرها وحذّر منها، واجتنب أهلها، واسأل ربك العصمة منها.

فإذا عرفت شر الطيرة والتشاؤم وسوء عواقبها في الدنيا والآخرة، فاعلم أن مما يدخل فيها:

* قول بعضهم: (خير يا طير)، للشيء الطارىء أو الجديد.
* أو قول بعضهم للمسافر: (على الطائر الميمون).
* والتشاؤم بحركة العين أو طنين الأذن.
* وكذلك اعتقاد بعض العوام أنه إذا سمي باسمه أحد من أولاده أو أحفاده أنه سبب لموته.
* ومثله استفتاح بعضهم بالبيع على أول زبون يأتيه أول النهار؛ لاعتقاده أن رده شؤم.
* وكذلك التشاؤم بشهر صفر أو شهر شوال أو يوم الأربعاء ونحو ذلك.
* ومنه ـ أن بعض الحمقى ـ إذا فتح أحدهم دكانه فجاءه رجل أعمى أو أعور أو صاحب عاهة تشاءم ذلك اليوم.

وفنون الناس في التشاؤم لا حصر لها؛ لأن جهلهم وتصرفاتهم بمقتضى الجهل لا حصر لها.

فإن وقع في نفسك ـ أخي المسلم ـ شيء من التشاؤم بسبب وساوس الشيطان، فجاهد نفسك عنه، وامض لحاجتك متوكلًا على ربك، محسنًا الظن به، متضرعًا إليه بصادق الدعوات، قائلًا:

* اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك.
* وقل: **«اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»**.
* وقل: **«آمنت بالله ورسله»**.

ولا تسترسل مع وساوس الشيطان؛ بل اشتغل بما ينفعك، ومنه: أن تمضي لحاجتك، وتكثر ذكر ربك.

عصمني الله وإياك وإخواننا المسلمين من الطيرة ومن الشرك كله كبيره وصغيره ظاهره وخفيه دقيقه وجليله، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

*****

لمعٌ بشأن البدع
في بيان حقيقتها، وأدلة بطلانها، والواجب نحوها

الحمد لله الذي أكمل ما شرع، فأغنى عن البدع، وقد تهدد بأشد الوعيد لمن ابتدع، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله نبينا محمد ﷺ المبعوث بالكتاب والسنة، والذي بالغ في التحذير من البدعة.

أما بعد:

فهذه لمعٌ مضيئة تبين شؤم وظلمة البدع، والواجب نحو من ابتدع؛ صيانة للشرع.

اللمعة الأولى: معنى البدعة:

البدعة لغة: ما أحدث على غير مثال سبق.

وفي الشرع: ما أحدث في الدين ـ من مقال أو اعتقاد أو فعل أو حال ـ مخالفًا للكتاب والسنة والمأثور عن السلف الصالح من الأمة.

اللمعة الثانية: الأدلة المبطلة للبدع، والمبينة للواجب نحو من ابتدع:

لما كانت البدعة أمرًا محدثًا في الدين، (فليست منه وليس لها أصل في الشريعة، وكانت سببًا في ضلال من ضلَّ من الأمم السابقة وهلاكهم وخسرانهم في الدنيا والآخرة، حيث أدت إلى تركهم دينهم، أو تعبدهم لله تعالى بما لم يشرع)؛ كان من عظيم رحمة الله تعالى بعباده أن تضمنت هذه الشريعة الخاتمة نصوصًا متواترة لفظًا ومعنى تحذر من البدع وأهلها، وتبين أنها ليست من دين الله في شيء، وتنبه على شؤم البدع وأخطارها وأضرارها العاجلة والآجلة.

أ- **فمن الآيات القرآنية المحكمة:**

1- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:7]، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه، فأولئك الذين سمى الله، فاحذرهم**»، ومن شأن أهل البدع أنهم يستدلون على بدعهم بمتشابه النصوص أو بالمحكم منه، لكن يتكلفون في تفسيرها ويلوون أعناقها، ليوهموا العامة أنها تؤيد ما اخترعوه من البدع، وقد أخبر تعالى أنهم يصنعون هذا الصنيع ابتغاء الفتنة، وما لم يحيطوا بعلمه.

2- وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:153]، فقد أوصى تبارك وتعالى عباده بلزوم صراطه الذي شرعه، وجعله السبيل الوحيد الموصل إليه، وهو: العمل لله تعالى بالقرآن على الوجه الذي بينه الرسول ﷺ، فأخبر أنه هو السبيل الحق وما سواه سبل ضلالة تصد أهلها، وتشتتهم عن سبيله، فلا توصلهم إليه، ولا تبلغهم رضوانه وجنته، ومن أصدق من الله قيلًا؟ ومن أحسن منه سبحانه حديثًا؟ ومن أعلم منه بما يصلح عباده أو يفسدهم، فلم ينه سبحانه عن البدع إلا لما فيها من الفساد والإفساد، والله لا يحب الفساد، ولا يصلح عمل المفسدين، وقد صحّ عن أبي الحجاج مجاهد بن جبير رحمه الله ـ وهو من كبار التابعين وإمام المفسرين ـ أنه فسر السبل في هذه الآية: بالبدع والشبهات.

ب- ومن الأحاديث النبوية الصحيحة بشأن البدع:

1- ثبت في صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: «**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»، فتضمن هذا الحديث الصحيح التنبيه على أن خير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور ما أحدث مخالفًا لهدي النبي ﷺ، والحكم على ما أحدث على هذا النحو بأنه بدعة وضلالة، وما كان كذلك فليس مشروعًا؛ لأن ما شرعه الله تعالى هُدىً كله، أما المحدثات فإنها تضل وتصد سالكها عما شرعه الله ورضيه طريقًا موصلًا إليه، وبهذا يتبين أنه ليس في البدع ما هو حسن، بل كلها قبيحة وضلالة وهلكة.

2- وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه الذي رواه الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال: «**عليكم**

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور» وفي رواية: **«وإياكم والبدع، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**، فتضمن هذا الحديث التحذير من البدع، ووصفها بأنها ضلالة، وما كان كذلك فلا يكون مشروعًا ولا حسنًا؛ بل كل البدع مخترعة قبيحة ومهلكة لأهلها ولمن تبعهم عليها، وهو ﷺ أنصح الخلق للخلق، وأحرصهم على هداهم للحق، ومن لم تسعه سنة النبي ﷺ، فلا وسّع الله عليه.

3- وثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**، فهذا الحديث من جوامع كَلِمه ﷺ، وقد تضمن الدلالة على أن ما أحدث في دين الله تعالى مما ليس منه، فهو رد أي مردود على محدثه. وهذا أصل عظيم من أصول الدين وموجبات حفظه، لا يخرج عنه شيء.

فكل من أحدث في دين الله ما ليس منه، فهو بدعة وضلالة، والدين برئ منه سواءً في ذلك الاعتقادات أو الأقوال أو الأحوال أو الأعمال الظاهرة والباطنة، فمن رغب عن سنة النبي ﷺ فلم تسعه، واستحسن البدع، فلا وسع الله عليه، وعمله مردود عليه، وهو من الأخسرين أعمالًا، ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف:١٠٤].

ج – إجماع الصحابة على بطلان البدع:

وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم وأتباعهم بإحسان على إنكار البدع وردها، وتحذير الأمة منها، والتغليظ على المبتدعة وزجرهم عنها، وحماية الأمة منها بالبيان والسنان، وآثارهم ومجاهداتهم في هذا الشأن مشهورة ومشكورة.

اللمعة الثانية: في بيان قواعد نافعة تبين بطلان البدع، ووجوب ردها، والحذر منها، وعداوة أهلها:

وقد دلّ الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من الأمة على قواعد متينة، هي عواصم لمن تمسك بها من البدع، وقواصم لظهر كل من ابتدع، وبراهين قاطعة على سوء عواقب البدع، وشؤم أهلها في العاجل والآجل.

فمن تلك القواعد:

الأولى: أن الله تعالى قد أكمل الدين، وأتم به النعمة على المؤمنين والمسلمين، ورضي لهذه الأمة الإسلام دينًا، قال تعالى في معرض الامتنان على هذه الأمة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:3]، ووصف سبحانه كتابه بقوله: ﴿تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل:89]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:38]، فالكامل لا يحتاج إلى زيادة ولا نقصان، والنعمة التامة لا تحتاج إلى تكميل، ويجب أن تُشكر وتُصان عن موجبات النقص أو التغير، ولا يتحقق إيمان المرء إلا بأن يرضى بما رضيه الله شرعًا، فهذه القاعدة كافية في رد كل بدعة في أصل الدين.

الثانية: أن النبي ﷺ قد بلّغ كل ما أنزل إليه من ربه، وبينه للأمة على أكمل وجه بقوله، وفعله، وحاله، وتقريره لما وافقه، وإنكاره على ما خالفه وبيان ما ينبغي، وقد اعترف بذلك اليهود وغيرهم من خصوم الإسلام، فقالوا للمسلمين: علمكم نبيكم كل شيء، وقال الصحابة رضوان الله عليهم: توفي النبي ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وقد جعل عندنا منه خبرًا، ولا تكون حادثة ذات أثر أو يوجد شخص ذو شأن إلا أخبر النبي ﷺ عنه، حفظ ذلك منهم من حفظه ونسيه من نسيه، وأحفظهم لذلك أعلمهم به.

وصح أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع: **«أيها الناس إنكم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون؟** قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأديت. فرفع أصبعه السبابة إلى السماء، وقال: **اللهم اشهد عليهم»**.

فتبين من هذه القاعدة أن النبي ﷺ قد بلغ وبيّن الدين كله، وعمل به كله، وحفظ الصحابة رضي الله عنهم ذلك عنه، وعملوا به كله في حياة النبي ﷺ، وهذه القاعدة تبطل كل بدعة في كيفية الدين، وهي كافية في ردها.

الثالثة: أن الصحابة رضي الله عنهم هم خير الأمة وأفضل القرون وأعلم الأمة بما جاء به الرسول؛ لأن الوحي قد نزل بلغتهم، والرسول ﷺ منهم، فشاهدوا الرسول ﷺ وحضروا التنزيل، وراجعوا النبي ﷺ فيما أشكل عليهم فهمه أو العمل به، وكانوا يعملون بحضرته، فما وافق ما جاء به أقرهم عليه، وما خالف ما جاء به أنكره عليهم، وبين لهم وجه الصواب فيه.

وكانوا رضي الله عنهم أنصح الأمة للأمة وأعظمها إلى الله رغبة، وأشدها له خشية، فما كان من خير فقد سبقوا إليه ونصحوا به، وما كان ضده فقد تركوه وحذروا منه، وكانوا أشد الأمة على أهل البدعة، ولهذا قال قائلهم: كل عبادة لم يتعبدها أصحاب محمد ﷺ فلا تتعبدوها، وقال الآخر: من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأصدقها ألسنًا، وأقلها تكلفًا، وهم قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، فهم رضي الله عنهم أئمة الأمة وعلماء السنة، فما لم يكن دينًا في زمانهم، فليس بدين أبد الدهر، وما كان من خير فقد سبقوا إليه.

وهذه القاعدة تبين أن الصحابة رضي الله عنهم هم الأسوة في فهم نصوص الوحيين، والقدوة في تطبيق الدين، فما عملوا به فيقتدى بهم فيه، وما تركوه فيتبعون على تركه، وما اختلفوا فيه فيرجح بين أقاويلهم ويؤخذ بأقربها للكتاب والسنة، فإن اتفاقهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة، وهم أعلم الأمة بالكتاب والسنة وأئمة الأمة في العمل بهما، فما اختُلف فيه هل هو من الدين أم لا؟ فيجب الرجوع فيه إلى المأثور عن الصحابة من القول والفعل والحال والصدور عنهم فيه، ورد كل ما خالفه، وترك كل ما لم يثبت عن الصحابة فعله.

الرابعة: أن من القواعد المقررة عند أهل العلم من سلف الأمة وخلفها أن الأصل في العبادات المنع حتى يقوم دليل على المشروعية، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى:21]، فإن الله تعالى لا يقبل من العبادات إلا ما شُرع، ومن تعبد لله تعالى بما لا يشرع فقد ابتدع، والبدع في الدين محرمة ومردودة، لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:33].

والبدع من قبيل القول على الله وفي دينه بغير علم، وصح عن النبي ﷺ قوله: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

فهذه القاعدة تبين أن الواجب الاكتفاء بما جاء به الشرع، وأنه لا يحل الإحداث في دين الله تعالى، فإن الزيادة عليه تنطع وغلوّ، والقصور عن الواجب منه جفاء.

اللمحة الرباعة: أنواع ما أضيف إلى الدين من عمل الناس:

فبناءً على ما سبق فما أحدث في دين الله تعالى مما يقصد به التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ، فهو قسمان:

القسم الأول: ما لفكل عمل له أصل في الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح، فهو عمل محمود، وهو من الشرع.

ومن هذه البدع:

1- مثل: جمع القرآن في مصحف واحد، وقد اتفق عليه أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وغيره من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ حفظًا لكتاب الله، وحماية للأمة أن تختلف في كتاب الله عزَّ وجلَّ.

2- وكذلك جمع الناس على صلاة التراويح بأمر من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ووافقه الصحابة رضوان الله عليهم عليه؛ لكونه سنة ثابتة عن النبي ﷺ من فعله، وقد تركه خشية أن تفرض على الأمة، وبوفاته ﷺ أمن الفرض، فكان الاجتماع عليها مصلحة لا محذور منها.

3- ومثله الأذان الأول يوم الجمعة زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه في خلافته، وأقره عليه علي رضي الله عنه، وكذا جمهور الصحابة، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم من الخلفاء الراشدين الذين أُمرنا بلزوم سنتهم.

فهذه الأمور ونحوها مما اقتضته مصلحة الأمة، وكان له أصل في الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح، فهذا كله محمود لما يتحقق به من قيام الدين والنصح لكافة المسلمين، وتسمية شيء من هذا بدعة ـ والتي رويت عن عمر رضي الله عنه ـ فذلك من باب التسمية اللغوية، وإلا فهي شرعية لموافقتها للشرع لوجود أصل لها في الكتاب والسنة، فإنها إحياء لسنن تُركت لعارض، فلما زال العارض عُمل بها حفظًا لها ونصحًا للأمة.

القسم الثاني: ما ليس له أصل في الشرع فكل عمل ليس له أصل من الكتاب والسنة ولا من فعل السلف الصالح مع وجود ما يقتضيه وإمكان فعله، ولم يثبت عنهم منه شيء، أو ثبت عنهم ما يدل على إنكاره فهو نوع استدراك على الله تعالى في التشريع أو على النبي ﷺ في البلاغ والبيان أو على الصحابة في الحفظ والعمل، أو اتهام السلف الصالح في التقصير في الاتباع، مع ما فيها من تفريق الدين وتحزيب المسلمين والتشبه بأعداء الدين، فهذا هو البدعة الضلالة، وهو شر الأمور التي حذَّر منها النبي ﷺ، وبالغ في التحذير منها، وسد ذرائعها لما تفضي إليه من الغلوّ والفتنة وإماتة السنة والتشبه بأعداء الدين.

ومن هذه البدع:

1- مقالات أهل الأهواء من الخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة ونحوهم ممن تكلم في أسماء الله وصفاته ـ نفيًا أو إثباتًا ـ بغير علم، أو قدم المعقول على المنقول.

2- الخوض في القدر بغير علم أو بهوى، حتى أدى ببعضهم إلى القول بالجبر، وبآخرين إلى إثبات خالق مع الله تعالى، وبقوم إلى معارضة الشرع بالقدر، وبآخرين إلى الاحتجاج بالأقدار على الذنوب، واتهام الله تعالى بالظلم على منهاج إمامهم إبليس اللعين.

3- القول بالتكفير بالذنوب، واستباحة الدماء المعصومة والحرمات المصونة بهذه التأويلات الباطلة والشبهات العارضة والأحكام الجائرة، كما هو مذهب الخوارج ونحوهم.

4- القول بإعفاء المكلفين من طائلة الذنوب، وأنها لا تضر مع الإيمان مطلقًا كما هو مذهب المرجئة، والذي تلتقي فيه مع العلمانية اليوم في بعض صورها، وبعض التوجهات الإسلامية المعاصرة التي لا ترى أنها ردة في الإسلام، ولو استحل معلومًا تحريمه من الدين بالضرورة، ولا جرم في تبديل الدين، والخروج منه والدخول في غيره.

5- الاحتفال بالمناسبات التي تعود وتتكرر على وجه التعبد مثل احتفالات الموالد، وليالٍ من السنة، وكذا البناء على القبور وتجصيصها والعكوف عليها، واعتقاد إجابة الدعاء وقبول العمل عندها.

فكل هذه الأمور وأشباهها من الأمور المنكرة؛ لعدم وجود أصل لها من الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح من الأمة؛ بل هي مخالفة لنصوص الوحيين، ومن اتباع غير سبيل المؤمنين، ومن الأخذ بمأخذ الضالين من أهل القرون واتباع سنة المغضوب عليهم والضالين، وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [آل عمران:100 - 101].

وصحَّ عن النبي ﷺ قوله: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»، والنصوص في التحذير من التشبه بأهل الكتاب والمجوس وبيان خطر ذلك كثيرة وشهيرة، وليس هذا موضع بسطها.

اللمعة الخامسة: أنواع البدع من حيث أحكامها:

البدع المذمومة شرعًا، والتي يدخل أصحابها تحت طائلة الوعيد الوارد في الكتاب والسنة كثيرة جدًّا؛ لأن مخالفات الناس لأصول الشرع بسبب الجهل أو اتباع الهوى لا تدخل تحت حصر، ولكني أنبه إلى كليات تعم أنواع تلك البدع، مع بعض من الأمثلة تزيدها وضوحًا، **فمن ذلك:**

الأول: بدع اعتقادية، كاعتقادٍ مساوٍ لله تعالى في شيء من خصائصه التي لا تنبغي إلا له كالخلق والملك والحكم والعبادة، ونحو ذلك من خصائصه التي تفرد بها، فهذه البدع كلها كفر وشرك بالله العظيم، لا يقبل معه عمل، ولا ينال من مات عليها من الله رحمة.

الثاني: بدع قولية كفرية، كمقالات غلاة الجهمية القائلين بنفي الأسماء والصفات، والممثلة الذين يمثلون الله تعالى بالمخلوقات، والقدرية المتكلمين بالقدر بما يضاد الشرع.

الثالث: بدع عملية كفرية مثل: الطواف بالقبور، وتعظيمها بالنذور، والدعاء عندها تقربًا إلى أصحابها، فكل هذه ونحوها من الشرك الأكبر والذنب العظيم الذي لا يغفر إلا بالتوبة النصوح قبل أوان خروج الروح.

الرابع: بدع تعتبر من قبيل الذرائع للأنواع السابقة، ولم تصل إلى حدها مثل: البناء على القبور، واتخاذها مساجد بتحري الصلاة والدعاء والصدقة عندها، لاعتقاد أن ذلك أفضل وأرجى في حصول المقصود، وكذا المقالات والتأويلات الباطلة لنصوص الكتاب والسنة، ولكنها لم تصل إلى حد الكفر، وكذا البدع العملية أو القولية التي ارتكبها الناس بنوع تأويل مرجوح.

فهذه كلها فسق وضلالة وسبل هلكة، أهلها على خطر، ويجب الحذر منهم، ونصحهم حتى لا يهلكوا ببدعهم، ولا يضروا غيرهم بباطلهم.

اللمحة السادسة: واجب الأمراء والعلماء وطلبة العلم في محاربة البدع:

الأمراء والعلماء وطلبة العلم هم ورثة النبي ﷺ وأصحابه في الأمة فواجب ـ حسب قدرتهم واستطاعتهم ـ إظهار الدين والنصح لكافة المسلمين، والرد على أهل الأهواء المبتدعين، فالأمراء ورثوا عن النبي ﷺ السلطان والسيف، والعلماء وطلبة العلم ورثوا عن النبي ﷺ القرآن والبيان، والله تعالى سائل الأمراء عن ولايتهم وسلطانهم، وسائل العلماء وطلبة العلم عن علمهم وبيانهم، والله تعالى قد أخذ عليهم الميثاق بأن يبينوا الكتاب ولا يكتموه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:187]، وتوعدهم على الكتمان بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 159 - 160].

فالواجب على أهل العلم والإيمان أن يبينوا للناس ما أُنزل إليهم من ربهم، وأن يحذروهم من أهل الأهواء والبدع، ويردوا عليهم بكشف شبهاتهم وردّ تأويلاتهم، وبيان وجوه غلطهم ومخالفتهم للكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الأمة.

والواجب على الحكام والأمراء وكل ذي ولاية ـ بما أتاهم الله من الولاية والسلطان ـ منع دعاة البدع، والحكم عليهم بما يقتضيه الشرع المطهر، وتحذير العامة من البدع ومنعهم من الإصغاء إلى أهلها والعمل بها؛ فإن ذلك من إقامة الدين وحفظه، وهم مؤتمنون عليه، فمنع المبدعة ومحاربة البدع والحيلولة بينها وبين الناس من عظيم أماناتهم التي تجب عليهم، وسيُسألون عنها.

ولقد حذَّر الله تعالى من الإصغاء إلى شبهات أهل الكتاب والمنافقين والمشركين، ورد سبحانه على كل شبهة أثاروها حول الألوهية أو الرسالة أو الشريعة أو الدين أو القدر أو غير ذلك، وأبان وجه الصواب في كل مسألة بأوضح حجة وأصدق برهان، وهذا منه سبحانه رسم للمنهاج الذي ينبغي أن يسلكه أهل العلم والإيمان مع كل مبتدع في أي زمان ومكان.

وحذر النبي ﷺ من أهل الأهواء والبدع، وبيّن صفاتهم وشؤم مقالاتهم، وشهرة النصوص في ذلك تغني عن ذكرها، فإن ذلك مما علم بالضرورة من دين الإسلام.

ولقد قام علماء الأمة وأئمتها من لدن الصحابة والتابعين فمن بعدهم برد مقالات الخوارج والروافض والقدرية والجهمية ومنحرفي المتعبدة والمتزهدة، ومقالاتهم ومصنفاتهم في هذا معلومة مشهورة، كما قام الخلفاء الراشدون ومن بعدهم أمراء المؤمنين وعمالهم في ولاياتهم بالأخذ على أيدي أهل البدع، فناظروهم، وردوا مقالاتهم، وفندوا شبهاتهم، وحكموا على من عاند بما يستحق، فقتلوا وجلدوا وحبسوا ونفوا، كل ذلك لحفظ دين الله تعالى وحرمات عباده.

ولقد جاهد العلماء والأمراء في ذلك جهادًا عظيمًا، وأبلوا بلاءً حسنًا، وكانوا أسوة حسنة لمن بعدهم، فعلى أتباعهم بإحسان أن يحذوا حذوهم ويتأسوا بهم في هذا الشأن، فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، فلا ظهور للدين، ولا صلاح لأحوال المسلمين، ولا شهرة للسنة إلا بالرد على أهل الأهواء والبدعة، وكشف تلبيساتهم، وتزييف باطلهم، وإيقافهم عند حدهم ومنعهم من فتنة المسلمين، وهذا من أعظم الجهاد في سبيل الله، فإن النبي ﷺ لما ذكر الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون قال: «**فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**».

وقال ﷺ: «**الدين النصيحة ثلاثًا**، قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم**»، وقال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي الله بأمره**»، فبشر بهم النبي، وبشرهم بأنهم على الحق، وأنهم ظاهرون، وأنه لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى آخر الدهر. وفي ذلك من الحث على جهاد أهل البدع والبشارة للمجاهدين بحسن العاقبة ما لا يخفى، ولست بصدد الاستدلال على وجوب هذا الأمر على أهله، فإن بقاء هذا الدين ببقاء حملته، وجهاد أعدائه، وذهابه بذهاب حملته وبخفاء ذلك وانقطاعه.

اللمعة السابعة: ما يتحقق به بالواجب نحو الدين والمبتدعين: ويتحقق القيام بهذا الواجب ـ أعني: محاربة البدع وحماية الأمة منها ـ بأمور:

الأول: نشر علم الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح.

الثاني: القدوة الحسنة بتطبيق العلم قولًا وعملًا، فإن التأثر بالقدوة لا يقل عن التأثر بالدعوة، إن لم يكن أبلغ في القبول.

الثالث: الرد على المخالفين، وبيان وجوه مخالفتهم للكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، حتى تتكشف شبهاتهم ويزول تلبيسهم ويتبين ضلالهم وإضلالهم.

الرابع: بيان حكم الله تعالى في النوازل والحوادث بدلالة نصوص الكتاب والسنة وكلام السلف وقواعد الشريعة ومقاصدها العامة.

الخامس: الأخذ على أيدي أهل البدع بقوة السلطان ـ إن لم ينفع فيهم النصح ـ، وإيقافهم عند حدهم، ووقاية الناس من شرهم وضررهم، فإن الله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وبهذا يظهر الدين وتحيا السنة، ويتضح الصراط المستقيم لمن أراده وتقوم الحجة وتزول المعذرة وتبرأ الذمة وتتحقق العبودية، فيتميز الحق من الباطل، ويهلك كل مبطل مجادل، ويثبت وينصر المجاهد الصابر، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، ويقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، ويقول: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر:٥١ – ٥٢]،، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحبة
منزلتها وثمراتها وأسباب تحصيلها

الحمد لله الذي اصطفى من خلقه عبادًا يحبهم ويحبونه، ويأمرهم فيطيعونه، وينعم عليهم فيشكرونه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد أكمل الخليلين خلة، وأعظم العباد لربهم محبة، وعلى آله وأصحابه، الذين يحبهم الله ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

اللهم ربنا حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين فضلًا منك ونعمةً، إنك أنت العليم الحكيم.

أما بعد:

فإن محبة العبد لله تعالى ـ وفق ما جاءت به الشريعة ـ من أعظم العبادات القلبية؛ بل هي أصل دين الإسلام، فبكمال الحب يكمل الدين، وبنقصه ينقص، فأعظم الخلق دينًا أكملهم حبًّا لله تعالى مع الإتيان ببقية الشرائع، والخوف من الله تعالى، والتعظيم والذل له.

فهذه المحبة القلبية الإيمانية ينبغي ألا يشارك اللهَ فيها أحدٌ، بل تخلص لله تعالى، فلا يكون محبوبًا لذاته إلا الله تعالى، ولا مساويًا له ولا منازعًا له في تلك المحبة؛ فإنها سر التوحيد وأصله.

والمحبة سبب لرضا الله تعالى وحبه، وسبب مغفرته ودخول جنته، والفوز بفضله وكرمه، وإن الله تعالى إذا أحب العبد حبّبه إلى الملائكة عليهم السلام، وجعل له قبولًا في أرضه ودًا بين صالحي عباده، ووفقه للخير ويسره له، ونبهه على الشر وعصمه منه.

ولقد ذمّ الله تعالى قومًا أشركوا معه في هذه المحبة غيره وتوعدهم بالنار، فقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:165-167]، فجزاؤهم الحسرة والخلود الأبدي في النار يوم القيامة بسبب شركهم مع الله في هذه المحبة، فهذه هي المحبة الشركية.

وليست المحبة الإيمانية التعبدية الخالصة لله تعالى بالدعوى ولا بالهوى، وإنما هي عمل قلبي تشهد له الأقوال والأعمال والأحوال، ولهذا امتحن الله قومًا ادّعوا محبته، وطلب منهم أن يقيموا البرهان القولي والعملي على دعواهم، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:31]، فأمرهم أن يقيموا البرهان على المحبة، وهو اتباع النبي ﷺ ونبههم على فوائد المحبة وهي: حب الله لمحبيه، ومغفرة ذنوبهم، وأن يمن عليهم بواسع فضله.

ومن لازم محبة الله عز وجل محبة أنبيائه ورسله وملائكته وكتبه وجميع شرائعه والصالحين من عباده، وما يحبه من الأقوال والأعمال والأشخاص والأزمان والأماكن وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه وبغض سائر ما يبغض من الأقوال والأعمال والأحوال والأشخاص والأماكن.

ولما كانت المحبة بهذه المثابة من الأهمية والضرورة، كان لزامًا على العاقل أن يحرص على كمال محبته لربه وأن يتعاطى مكملاتها من جميع الوجوه؛ لأنه كلما عظمت محبته لربه مع قيامه بلوازمها وبعده عن نواقضها ونواقصها عظم حب الله له، وترتبت عليه آثاره، ونال من بركاته وجليل فوائده في العاجلة والآجلة.

وإن لمحبة العباد لربهم علامات ظاهرة وعواقب طيبة، وآثارًا مباركة عاجلة وآجلة، منها:

1- كمال اتباع النبي ﷺ على ما جاء به من الهدى ودين الحق، وبذلك يستكمل العبد حظه من محبة الله

تعالى له، ومغفرته لذنوبه، وفضل الله تعالى عليه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:31].

2- التحلّي بالأوصاف التي يحبها الله تعالى، وذلك بدوام فعلها خالصة لله تعالى، وعلى الوجه الذي شرع، حتى تصبح تلك الأوصاف سجايا لا تنفك عن العبد في سائر أحواله، كالإيمان والاستقامة والصبر والجهاد والتقوى والإحسان والشكر وكف الأذى والصفح والعفو عن الناس، فإن الله تعالى يحب المؤمنين والصابرين والمتقين والمحسنين والشاكرين، وقد وعد الله أهل هذه الأوصاف أجورًا عظيمة وعطايا كريمة.

3- كمال محبة العبد لربه استكمال لمحبة الله تعالى له، ومن كملت محبة الله تعالى له، حرمه الله على النار، وجعله من مجاوريه في جنات تجري من تحتها الأنهار، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر:54،55].

وجاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: **«فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»**.

لهذا كان لزامًا على المسلم العاقل أن يستكمل أسباب زيادة محبته لربه حتى يفوز بمحبة الله تعالى له، وعظيم مثوبته، وواسع فضله وكرامته.

وقد ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى جملة أسباب جالبة لمحبة الله تعالى:

الأول: كثرة قراءة القرآن مع التدبر لمعانيه والفهم للمراد به، فيقرؤه وكأن الله تعالى يخاطبه به، فإنه وصية الله تعالى لعباده ونصيحته لهم، وهداه لهم إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة.

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، لما في الحديث القدسي الصحيح أن الله تعالى قال: **«ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه»**.

الثالث: دوام ذكر الله تعالى آناء الليل وآناء النهار، كالتحميد والتكبير والتسبيح والتهليل والاستغفار والدعاء عن حضور قلب وتأمل لما يقول، وأنه بهذا الذكر يعظّم ربه ويثني عليه بما هو له أهل، فإن من أحب شيئًا أكثر وأحسن ذكره.

الرابع: إيثار ما يحبه الله على ما تحبه نفسه، بحيث يؤثر طاعة الله على هواه، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات:40،41].

الخامس: إحصاء جملة من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ومعرفة معانيها وآثارها في الأنفس والآفاق، واعتقاد ثبوتها لله تعالى على الوجه اللائق به، فإنه تعالى لا شريك له ولا سميّ له ولا مثل ولا ندَّ له، والثناء على الله وسؤاله بها واعتقاد أنها كلها بالغة الغاية في الحسن والكمال، وأنها دالة على كمال ذات الله ذي العظمة والجلال، وكمالها من كل وجه وبكل اعتبار وتنزهه سبحانه عن النقص والعيب ومماثلة الخلق.

السادس: ذكر أنواع نعم الله وإحسانه على المرء، فكم أسبغ عليه من نعمه، وكم لطف به عند مصيبة، وكم دفع عنه من نقمة، وكم صرف عنه من بلية.

السابع: اغتنام أوقات غفلة الناس بذكر الله تعالى، وتلاوة كلامه، ودعائه، وصلاة نافلة إن كانت وقت صلاة مثل: آخر ساعة بعد عصر الجمعة، ومثل: آخر الليل قبل طلوع الفجر والضحى.

الثامن: مجالسة أهل الخير والصلاح الذين يتحقق بمجالستهم لين القلب ومعرفة قدر النعمة وشكرها، والنشاط في الطاعة، والانكفاف عن المعصية، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [الكهف:28].

التاسع: الإحسان إلى من شرع الله تعالى الإحسان إليه من الخلق بما أمكن من أنواع الإحسان؛ ابتغاء وجه الله تعالى.

فتحبب أخي المسلم إلى ربك متحريًا ما جعله الله تعالى وسيلة لحبه، وسببًا لثوابه وقربه.

جعلنا الله وإياك من خاصة أوليائه وأحبابه الفائزين برضوانه وجزيل ثوابه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

*****

الفقه فى دين الله: فضله وبم يكون ؟

الحمد لله الذي يفقه من أراد به خيرًا في الدين، ويجعل الصابر الموقن من أئمة المتقين.

أما بعد:

فإن الفقه في دين الله تعالى عبادة من أجلّ العبادات، وقربة من أنفس القرب، والواجب فيه تعلم ما لا يسع المسلم جهله من دينه؛ ليتمكن من عبادة ربه على بصيرة، وطاعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه رغبة ورهبة عن بينة، ولأجل أن ينفع أهل الإسلام ببيان أحكامه والتنويه بمحاسنه، وحتى لا ينخدع بشبهات المشبهين، وضلالات المبطلين، وكلما اشتدت الحاجة عظم الواجب.

والنصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وكلام السلف الصالح في الحض على التعلم والتعليم أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، ولكن أسوق منها ما تيسر؛ لما في ذكر النصوص من حفز الهمم، وتوفير الدواعي إلى الخير، والتذكير بأمر عظيم به قوام الدين، ومن أعظم أسباب صلاح أحوال المسلمين.

فقد جعل الله تعالى أهل العلم من الشهداء على وحدانيته بقوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران:18]، وفي ذلك من التزكية لهم والتنبيه على رفعة مقامهم في الدنيا والآخرة مالا يخفى على اللبيب.

وفي موضع آخر شهد الله تبارك وتعالى لأهل العلم بالاصطفاء، ووعدهم الجنة جميعًا رغم ما بينهم في التفاوت العظيم في الفهوم والعمل، فقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر: 32،33]، فضمن لهم الجنة؛ وما ذلك إلا لأن العلم وسيلة العمل، والدليل عليه والمرغب فيه، وهو موجب الخشية وصلاح النية والمرغب في أنواع العمل بما يذكر من جليل المثوبة.

وفي موضع ثالث من الكتاب العزيز يحكم الله تعالى بأن من آتاه الله الحكمة، فقد أوتي خيرًا كثيرًا، وأشهر المفسرين على أن المراد بالحكمة: الفقه والفهم لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، ويؤكده قوله ﷺ في الحديث الصحيح: **«لا حسد إلا في اثنين...»** الحديث، وفيه: **«ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»**، فالفقه في الدين هو الحكمة؛ لأنه يدل على الصواب ويقرن الحكم بدليله ويرشد إلى وضع الأمور مواضعها اللائقة بها.

وفي صحيح السنة ما بين أن الفقه في الدين علامة الخير وسبيل الجنة، ومما ثبت في الحث على العلم الشرعي قوله ﷺ: **«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»** متفق عليه، وقوله عليه الصلاة والسلام: **«ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة»** رواه مسلم. وقوله ﷺ: **«إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»**.

ففي هذه الأحاديث يتضح أن العناية بالعلم الشرعي، والحرص على طلبه بشارة على أن الله تعالى أراد بمن كان كذلك خيرًا، وإن العلم سبب لدخول الجنة، وأن من أخذه، فقد أخذ بأوفر حظوظ الدنيا والآخرة ولا يخفى ما في ذلك من الحث والتحضيض على طلب العلم وتحقيقه بالعمل.

وما ذلك إلا لأن الفقه في الدين وسيلة لمعرفة الأحكام، والتمييز بين الحلال والحرام، ومنهاة عن الآثام، وسبب يوصل إلى الجنة دار السلام، وعلمٌ هذا شأنه ينبغي معرفة قدره، والتنافس في طلبه وتحصيله، والعمل به وتعليمه.

والعلم الشرعي ثلاثة أنواع:

الأول: العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأنواع كمالاته، وهو علم العقيدة وهو الاعتقاد بأن الله تعالى له المثل الأعلى ـ وهو التفرد المطلق بالوصف الأعلى الجميل من جميع الوجوه ـ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه سبحانه المتنزه عن الند والمثال المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له، وأن تخلص له الأقوال والنيات والأعمال.

الثاني: معرفة تفاصيل شرعه وحقه على عباده، وذلك بمعرفة أحكام دينه بأدلتها ومعرفة ما يضادها وينقصها، واجتنابها وتحقيقه العمل بذلك عن إخلاص لوجهه سبحانه في القصد وأداء العبادة على الوجه الذي شرع وعلى وفق سنة نبيه ﷺ ومجانبة المحدثات والبدع.

الثالث: العلم بجزائه، وهو العلم بفضل الأعمال الصالحة وجزائها في العاجل والآجل، وشؤم المخالفات والعقوبات المترتب عليها في الدنيا والآخرة وما يتعلق بذلك من أحكام البرزخ والدار الآخرة وأحوال الجنة والنار وأهلهما، حتى يؤدي العمل عن احتساب، ويترك المخالفات خشية العذاب.

هذا هو العلم على الإطلاق والمأمور به والمثنى على أهله في الكتاب والسنة باتفاق، فينبغي للمسلم الرغبة فيه والحرص عليه، وتلقيه عن أهله والإلحاح على الله تعالى بسؤال المزيد منه والانتفاع به، والاجتهاد في العمل به، وبذله للناس؛ لما في ذلك من الخير الكثير والأجر الكبير والصلاح للمرء ولغيره، فيبذله ويعلمه لله تعالى واحتساب لمثوبته وعلى هدي النبي ﷺ في التعليم والدعوة والنصيحة، وعليه أن يحسن الظن بالله تعالى راجيًا أن يمن عليه بالفقه في الدين وإمامة المتقين. أسأل الله تعالى ذلك لي ولكل مسلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

*****

من ثمرات الفقه فـى دين الله

الحمد لله الذي أرسل رسوله محمدًا ﷺ بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا.

أما بعد:

فقد أُوتي النبي ﷺ جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصارًا بحيث أنه ﷺ يعبر عن المعاني الكثيرة الجليلة بألفاظ يسيرة بليغة، ومن ذلك ما ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين».**

فهذه الجملة العظيمة من كلامه ﷺ تضمنت أن الفقه في الدين خير كله، وفيها بشارة أن من أراد الله به خيرًا فقهه في الدين، أي: يسر له طلب العلم ورزقه الفهم، وهو معرفة المراد من كلام الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، والقول بمقتضاه وتحقيقه بالعمل الصالح، فإن الفقه في دين الله تعالى خير كله، **وبيان ذلك بما يلي:**

أولًا: أن العبد ـ بالفقه في دين الله ـ يعرف ربه ـ تبارك وتعالى ـ وحقه عليه وجزاءه عنده على عمله خيره وشره.

ثانيًا: بالفقه في دين الله تعالى يعرف العبد فرائض الطاعات فيحافظ عليها، وكبائر المنكرات فيجانبها، ويتوب إلى الله تعالى مما اقترف منها.

ثالثًا: إذا تعارضت عنده طاعتان لا يمكن الإتيان بهما جميعًا عرف أفضلهما، فباشرها فحصل على ثوابها بالنية والعمل وعلى ثواب الأخرى بالنية؛ لأن الله تعالى يعلم أنه لو قدر عليهما معًا لفعلهما.

رابعًا: وهكذا، إذا ابتُلي الشخص بمعصيتين يُكره عليهما إكراهًا بحيث لا يمكنه السلامة منهما ارتكب أخفهما إثمًا، وهو كاره لفعله، فكان مكرهًا لا إثم عليه؛ لأن الله تعالى تجاوز عن الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

خامسًا: وبالفقه في دينه يدرك عظمة هذا الدين الإسلامي الحق، وأنه تشريع الحكيم العليم الرؤوف الرحيم، وأنه صالح مصلح للعباد في كل مكان وزمان، وأن الله تعالى قد هداهم للتي هي أقوم وأن الله تعالى قد يسر لهم الأمر ورفع عنهم الآصار والأغلال، فهو منهاج الحياة والدليل على سعادة الأبد.

سادسًا: وبالفقه في الدين يدرك العبد أن الهداية لهذا الدين أعظم نعمة لله تعالى على من هداه إليه، وأكمل إحسانه إليه، فمِن شُكر الله على نعمته والاغتباط بفضله ورحمته والعرفان لإحسانه ـ أن يدعى إليه من لم يهتد إليه.

سابعًا: وبالفقه في دين الله ينشط المتفقه في الدعوة إلى الله تعالى؛ لعلمه أن **«من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله»، «ومن دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء»، «ولأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم»،** ومن اهتدى على يديه يهودي أو نصراني، كان فكاكه من النار حتى أن الله تعالى يعتق بكل عضو منه من النار، حتى فرجه بفرجه.

ثامنًا: وبالفقه في الدين تتحقق استقامة العبد على ما يدعو إليه وانتهاؤه عما ينهى عنه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:33]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:2،3].

تاسعًا: وبالفقه في دين الله يتحرى العبد أفضل النوافل؛ تكميلًا للفرائض ويداوم عليها؛ لأنها من أسباب محبة الله تعالى وحفظه لعبده وكلاءته ورفعة درجته، فيداوم عليها وتكون من أسباب محبة ربه له وإجابة دعائه وإجارته مما يخاف منه ويحاذر.

عاشرًا: ومن ثمرات الفقه في دين الله تعالى أن الفقيه يعرف الحق بدليله، ولا تلتبس عليه شبهات الشيطان وأتباعه وزخرفتهم وتضليلهم، ولذا فإن: **«فقيهًا واحدًا أشد على الشيطان من ألف عابد».**

حادي عشر: وبالفقه في الدين تقوى محبة العبد لربه؛ لمعرفته قدر نعمته وتعظيم خشيته لربه لعلمه بعظمته

وقوته وجبروته وعزته، فأعرف الناس بالله أتقاهم له، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:28].

ثاني عشر: وبالفقه في الدين يحذر المرء من ظلم الناس، والتعدي عليهم بشيء من أموالهم، وأعراضهم، أو دمائهم، أو أي شيء من حرماتهم؛ لعلمه بعظم تبعة ذلك، وأنه سيرد مظالمهم إليهم ولا بد، فإن لم يردها إليهم في دنياه ردها عليهم يوم القيامة من حسناته إن كانت له حسنات، أو بأن يتحمل من سيئاتهم على قدر ظلمه وما ظلمه الله، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ثالث عشر: وبالفقه في الدين يتسع الأفق، فيعرف الحكمة من الحياة والمنتهى بعد الممات، ويمتد النظر من الدنيا إلى الأخرى، فيشتغل العاقل بإصلاح آخرته، ولا تغره زخارف دنياه؛ بل يجعل الدنيا سببًا للفلاح بجزيل الأرباح في الآخرة يوم القيامة.

فقهني الله وإياك في ديننا، وأصلح لنا دنيانا وآخرتنا، وجعلنا من أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين، وعباده المرحومين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

*****

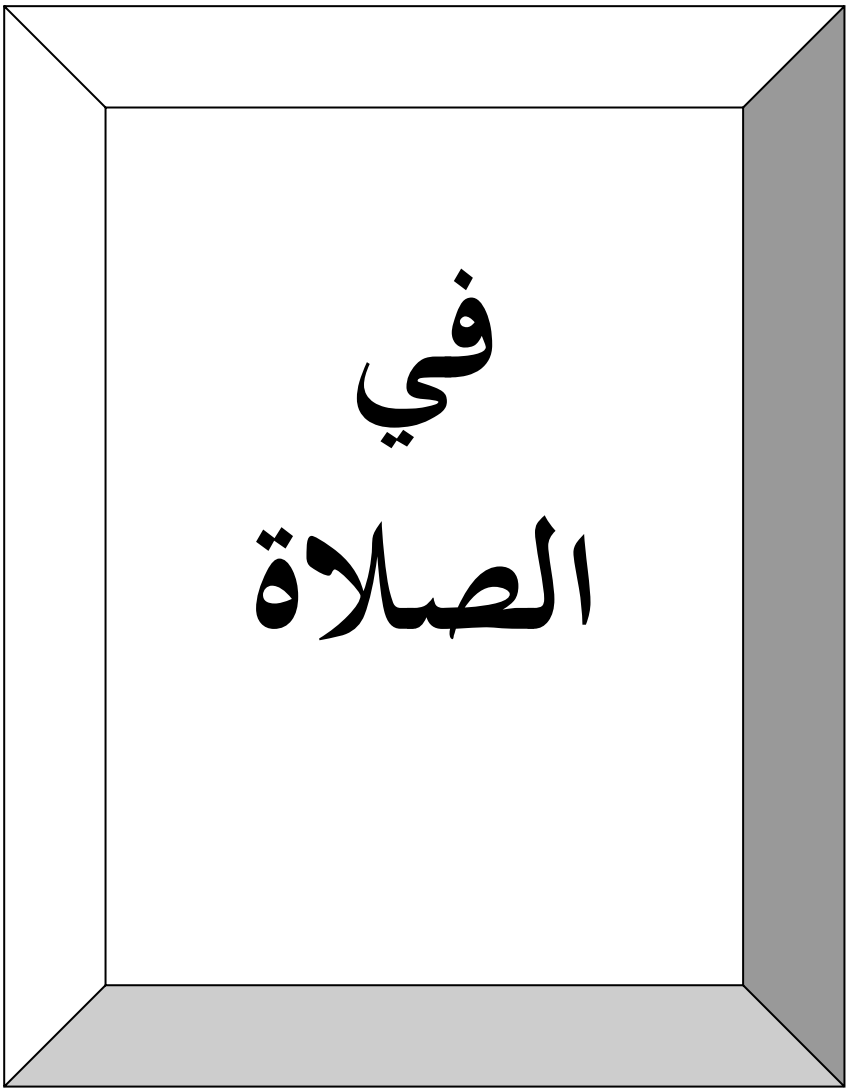

في
الصلاة

قيمة المشى إلى الصلوات فى المساجد

الحمد لله الذي لا تضيع لديه الحسنات، ويؤمل عنده مغفرة السيئات، وجعل الخُطا إلى المساجد مكفرات، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

أما بعد:

فإن المشي إلى الصلوات في المساجد عبادة جليلة، وقربة عظيمة، لها ثمرات طيبة وآثار مباركة على الشخص، ولاسيما إذا خرج من منزله متطهرًا لا يخرجه إلا الصلاة.

فهو صدقات موفورة، وحسنات مكتوبة، ودرجات مرفوعة، ومحو للخطيئات، وضيافة في الجنة، ووراثة للفردوس الأعلى منها، جعلنا الله تعالى ـ بمنه وكرمه ـ من الفائزين بذلك:

1- أما كونه صدقات موفورة؛ فلقوله ﷺ في حديث السلامى: **«وبكل خطوة نمشيها إلى الصلاة صدقة»**.

2- وأما كونه حسنات مكتوبة؛ فلما ثبت في الصحيحين من غير وجه عنه ﷺ قال: «**لم يخطُ خطوة إلا كتبت له حسنة ومُحيت عنه سيئة**».

3- وأما كونه درجات مرفوعة؛ فلقوله ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**»، قالوا: بلي يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد**».

4- وأما كونه محوًا للخطيئات؛ فلقوله ﷺ في الحديثين السابقين: «**يمحو الله به الخطايا**»، وقوله: «**ومُحيت عنه سيئة**».

5- وأما كونه ضيافة في الجنة؛ فلقوله ﷺ: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلًا ـ** يعني: ضيافة **ـ في الجنة كلما غدا أو راح**» .

6- وأما كونه وسيلة لوراثة الفردوس الأعلى منها؛ فلأن الله تعالى حين أمر الرجال بالمحافظة على الصلوات، فالمراد مع الجماعة في المساجد، والله تعالى قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون:9 - 11].

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه**».

فلهذه الأجور العظيمة وغيرها، قال ﷺ: «**أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم**»؛ لأنه كلما بعد ممشاه عظم حظه من هذه الأجور، فهلم أخي إلى المساجد للصلوات، ولا تكن ممن استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله تعالى.

شرح الله صدورنا للهدى وعصمنا من مضلات الفتن واتباع الهوى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفوائد العشر للتبكير إلى الصلاة

الحمد لله وحده، كتب على نفسه الرحمة، ويسر للجنة سبلًا، وجعل المكث في المساجد للوصول إلي رحمته حبلًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الذي أخبر عن استغفار الملائكة لأهل المساجد، وأنهم يوم القيامة في ظل الله الواحد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن للتبكير إلى صلاة الجماعة في المساجد فوائد كثيرة، كل فائدةٍ منها عمل صالح من أفضل ما يدخر في الموازين ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فهي للعبد خيرٌ من الدنيا وما فيها.

فمن تلك الفوائد:

الأولى: أن الملائكة عليهم السلام يدعون لمنتظر الصلاة، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«والملائكة يصلون على أحدكم يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه؛ ما لم يؤذ فيه؛ ما لم يحدث فيه»**.

الثانية: أنه بمنزلة الصلاة في المثوبة والفضل، فإن الوسائل لها أحكام الغايات، فإنه في صلاة ما انتظر الصلاة؛ لقوله ﷺ: **«ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة»**.

الثالثة: استجابة الدعاء؛ لقوله ﷺ: **«الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة»**.

الرابعة: أنه في رباط ما دام ينتظر الصلاة؛ لقوله ﷺ: **«فذلكم الرباط»** .

الخامسة: أن من ثوابه محو الخطايا ورفع الدرجات؛ لقوله ﷺ: **«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟»**، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **«إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط»**.

السادسة: ما يفتح الله له من أنواع العمل الصالح، من نافلة الصلاة، وتلاوة القرآن الكريم، والدعاء، والذكر، وغير ذلك.

السابعة: كثرة الأجر، فإن الذي يصلي مع الإمام والجماعة أعظم أجرًا من الذي يصلي منفردًا في بيته ثم ينام أو يشتغل بلهو الدنيا ولعبها بعد تضييع صلاة الجماعة ـ إن أجزأته ـ، فالأولى به الخروج من الخلاف.

الثامنة: الطمأنينة والخشوع في الصلاة، فإن المساجد متنزل الرحمة ومغشي السكينة، ولذا تجد المبكرين إلى الصلاة أكثر الناس خشوعًا وطمأنينة في الصلاة، والغالب أن الذي يأتي إلى الصلاة متأخرًا هو الذي يخرج الأول؛ لأنه لم ينل حظه الوافر من تنزل الرحمة والسكينة بسبب تأخره، ولهذا يقل خشوعه في الصلاة غالبًا.

التاسعة: المساهمة في إظهار شعائر الإسلام، فإن صلاة الجماعة في المساجد من أعظم شعائر الدين بعد التوحيد.

العاشرة: الإعانة على الخير وتنشيط الناس فيه، فإن التبكير من السبق إلى الخير والأسوة الحسنة، فإن أعظم الخير بعد الإيمان الصلاة، وتكثير سواد المسلمين وجماعتهم من أعظم الإعانة على الخير والبر.

إضافة إلى ما في التبكير من التعرف على جيرانه وإخوانه من أهل الحي، ونحو ذلك مما من شأنه تقوية روابط الأخوة وإشاعة المودة بين أهل المسجد، فإن في ذلك قوةً على الطاعة وانتصارًا على الشيطان، فإن الشيطان ذئب الإنسان، وإنما يأكل الذئب القاصية.

هذه الفوائد وغيرها مما يجلي الحكمة الجليلة من تشريع صلاة الجماعة والنداء المتكرر خمس مرات في اليوم والليلة لها وهكذا سائر أحكام الشريعة، فإنها مبنية على حكمٍ جليلة وتُحقّق بها مصالحُ عامة؛ لأنها تنزيل من حكيم حميد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

البشارات لأهل المساجد

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

أما بعد:

فإن التبشير بثواب العمل الصالح من وسائل تحبيبه والإغراء به، ومن دواعي الاغتباط به والمداومة عليه، والقليل الدائم كثير، لما في الصحيح أن النبي ﷺ كان إذا عمل عملًا أثبته ـ أي: داوم عليه ـ، وكان ﷺ يخبر أنَّ أحبَّ العمل إلى الله تعالى أدومه وإن قل.

ولهذا تواترت نصوص الكتاب والسنة في التبشير بثواب الأعمال الصالحة، والثناء على أهلها، وبيان حسن عاقبتهم في الدنيا والآخرة؛ تهنئة لأهل تلك الأعمال بكريم ما ادخر الله تعالى لهم عنده من الأجر الكريم، وحفزًا لهمم الغافلين والمتساهلين لأن يستبقوا الخيرات، وينافسوا في جليل القربات، قبل الشغل أو انقطاع العمل بحلول الأجل.

ومن البشارات التي تشرح الصدور، وتحبب الأعمال الصالحة إلى العقلاء، وتملأ قلوبهم من الغبطة والسرور، وتجعلهم يحسنون الظن بربهم ـ والله تعالى عند ظن عبده به فليظن بربه ما شاء ـ؛ ما جاء بشأن المحافظة على الصلوات في المساجد؛ من البشارات العظيمة التي واحدة منها خير من الدنيا وما فيها.

فمن تلك البشارات:

1- أن المشي إلى الصلاة صلاة، وأن كل خطوة إلى الصلاة صدقة، وأنه نور تام يوم القيامة.

2- أن المحافظة على الصلوات في المساجد من أسباب الخاتمة الحسنة، بأن يلقى المصلي ربه على الإسلام، فيختم له بالثبات عليه عند الممات، كما في صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن ابن مسعود ﷺ قال: «**من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث يُنادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه**»، وهذا له حكم الرفع، لأنه بيان لثواب عمل، ومثله لا يقال بالرأي كما هو مقرر عند أهل العلم.

3- أنها من أسباب حط الخطيئات ورفعة الدرجات؛ لقوله ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط**».

4- الأجر العظيم، وكلما كان المنزل أبعد من المسجد، كان الأجر أعظم؛ لقوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور:36-38].

وصحّ عن النبي ﷺ قولـه: «**أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم**»، وقوله ﷺ في المتخلفين عن العشاء والفجر: «**ولو يعلمون ما فيهما** ـ يعني: من الأجر ـ **لأتوهما ولو حبوًا**» .

5- دخول الجنة ووراثة أعلاها؛ لقوله ﷺ: «**خمس صلوات كتبهن الله من حافظ عليهن، كن له نورًا وبرهانًا ونجاةً** ـ يعني: من النار يوم القيامة ـ، **وكان له عهد عند الله أن يدخله الجنة**»، وقوله ﷺ: «**من صلى البردين** ـ يعني: الفجر والعصر ـ **دخل الجنة**».

وقال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون:9-11]، وحيث أن الله تعالى أمر الرجال بإقامة الصلاة والمحافظة عليها، فالمراد: المحافظة عليها في المساجد إلا من عذر.

6- كرم الضيافة في الجنة؛ لقوله ﷺ: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلًا في الجنة** ـ يعني: الضيافة ـ **كلما غدا أو راح**».

7- التمتع بالنظر إلى وجهه الكريم ـ نسأل الله تعالى ذلك ـ فإنه أعلى نعيم الجنة، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:22-23]. وقال ﷺ: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وغروبها فافعلوا**»، يعني: الفجر والعصر.

وهكذا ـ أخي المسلم ـ يتبين لك كرم المصلي على ربه وما أعد الله له عنده من الكرامة، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ومن سابق إلى الخير سبق، قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون:61].

جعلنا الله تعالى من الفائزين بذلك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفجر والعصر
وحالة البعض معهما آخر الدهر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده.

أما بعد:

فإن الفجر والعصر وقتان عظيمان، لهما عند الله تعالى شأن، وقد جعلهما الله تعالى وقتين لصلاتين عظيمتين هما: صلاة الفجر، وصلاة العصر.

وقد دل على عظم شأنهما وفضل صلاتيهما القرآن، وما أُثر عن النبي ﷺ من بيان.

- فهما صلاتان تشهدهما الملائكة الحفظة المعقبات، فإن الله تعالى قد وكل بكل شخص من بني آدم أربعة ملائكة حفظة يحفظونه من أمر الله فلا يصيبه شيء إلا بقدر، فملكان يحرسانه، أحدهما أمامه والآخر خلفه من صلاة الفجر إلى العصر، وآخران يحرسانه من صلاة العصر إلى الفجر أحدهما أمامه والآخر خلفه كذلك، ويجتمع الأربعة في هاتين الصلاتين ثم يصعد اللذان انتهت حراستهما، فإذا صعدا إلى الله تعالى سألهما عن عباده ـ وهو بهم أعلم ـ كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون . ففي كل يوم وليلة تشهد الملائكة الكرام للمصلي بالصلاة وعلى المتخلف عنها بالتخلف.
- والفجر والعصر وقتان يعرض فيهما جبابرة الكفرة على النار ـ مدة البرزخ ما بعد الموت إلى قيام الساعة ـ، كما قال تعالى عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر:46]؛ وذلك لتكبرهم عن طاعة الله تعالى وإعراضهم عن هدي رسوله موسى عليه الصلاة والسلام.

وقد صح عن النبي ﷺ في الذي لا يحافظ على الصلوات الخمس من هذه الأمة أنه يحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون، فالمتخلف عن الصلاة في هذين الوقتين متشبه بآل فرعون في أعمالهم ومآلهم، فيكون تخلفه عن هاتين الصلاتين من أسباب شدة عذابه في قبره وقت الفجر والعصر إلى قيام الساعة.
- وهما صلاتان فرضتا على من كان قبلنا فضيعوهما، فاستحقوا بذلك الذم وشديد العذاب، فمن ضيعهما من هذه الأمة كان متشبهًا بمن ضيعهما من ضلال الأمم، داخلًا في قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم:59 -60] الآية، وقد صح عن النبي ﷺ قوله: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم»**، وقوله: **«من تشبه بقوم فهو منهم»**، فمن ضيع هاتين الصلاتين بترك أدائهما في وقتهما كما شرع الله تعالى كان داخلًا في ذلك الوعيد متعرضًا لذلك العذاب الشديد.
- والمحافظة على صلاتي الفجر والعصر من أسباب دخول الجنة؛ لقوله ﷺ: **«من صلى البردين** ـ يعني: الفجر والعصر ـ **دخل الجنة»**.

وقد رتب الله تعالى ثواب الجنة ونعيمها على أسباب، منها: تسبيح الله تعالى وقت هاتين الصلاتين، وأعظم التسبيح أداء فريضة الصلاة فيهما، كما قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآئِ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ [طه:130]، وقال سبحانه: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [النور:36 - 38].

فالمحافظة على هاتين الصلاتين في وقتيهما من أسباب دخول الجنة والتمتع بما فيها من الثواب العظيم والأجر الكريم.

- ومن فضل هاتين الصلاتين ووقتهما أنهما وقتان لرزق أهل الجنة؛ لأن الصلاة آية التقوى وعلامتها، وقد قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٦٢ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:62-63]، فلما هجروا لذيذ المنام وركعوا وسجدوا خاضعين للملك القدوس السلام نالوا في مثل هذا الوقت من جليل الأنعام وعظيم الإكرام ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.
- وأعظم نعيم أهل الجنة وأعلاه التلذذ بذكر الله تعالى والتمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم، وقد جعل الله تعالى من أسبابه المحافظة على هاتين الصلاتين، فقد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**».

فنبه ﷺ على أن المحافظة على هاتين الصلاتين من أسباب الفوز بالنظر إلى وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:22 - 23].

- فعليك ـ أخي المسلم ـ بالمحافظة على هاتين الصلاتين مع بقية الصلوات حتى تفوز بكريم وعد الله في محكم الآيات، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:10 - 11]، وتبرأ من سنن المشركين والمنافقين والضالين ومن النار وموجبات الهلاك والخسار .
- واعلم ـ أخي المسلم ـ أن الله تعالى قد أخبر في القرآن والسنة أن المنافقين يحضرون الصلوات مع الجماعات، لكن أخبر الله تعالى أن شأنهم الكسل في المجيء لا يأتون إلا دبرًا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ [التوبة:54]، وقال النبي ﷺ: «**تلك صلاة المنافق** ـ قالها ثلاثًا ـ **يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان نقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا**».

فهل يرضى مسلم عاقل أن يكون مثل أو أسوأ حالًا من المنافقين، وهو يعلم ما ذمهم الله تعالى به وتوعدهم عليه بالعذاب الأليم والمكان المهين.

فحافظ على الصلوات، وأدها مع الجماعات تفز بمحو الخطيئات، وكثرة الحسنات، ورفعة الدرجات، والبراءة من النفاق، والنجاة من النار وما فيها من الدركات، ووراثة الفردوس من الجنات.

جعلنا الله من الفائزين بذلك، وأعاذنا من مضلات الفتن وأنواع المهالك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

هيئات وحركات منهى عنها فى الصلاة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا بني بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الصلاة أكمل حالات العبد، وأجمل هيئاته حين يقف بين يدي ربه تبارك وتعالى متواضعًا خاشعًا ذليلًا، معظمًا لربه، في غاية الافتقار إلى عفوه ورحمته، ومغفرته، فهو في الصلاة يعظم ربه بالأفعال بخضوع البدن والجوارح، ويثني عليه بالأقوال بتكبيره، وحمده، وتلاوة كلامه، وذكره، ويلح عليه بالسؤال، يسأله الخير عاجله وآجله، ويستعيذ به من الشر وأسبابه، وهو موعود بالإجابة والقبول ـ ما أحسن ـ، وتكفير الخطيئات، وعظيم الأجور، ورفعة الدرجات.

فالمصلي يذكر ربه ويدعوه ويعظمه ويذل له قائمًا ومنحنيًا وساجدًا وجالسًا، وتلك أعظم مظاهر الذل والعبودية لله تعالى، وعملٌ هذا شأنه له موقعه وثوابه عند الله تعالى، ولهذا كان للصلاة شأنها العظيم وثوابها الكريم من بين سائر العبادات، وصار تضييعها وتركها من مظاهر الكفر العظيم عند رب الأرض والسماوات.

ولهذا ينبغي للمصلي أن يعطي الصلاة حظها من الخشوع، والخضوع، وكمال الأدب، وحضور القلب، فإن الصلاة مكيال، فمن وفّى ذلك وفّى الله له الأجر والثواب، ومن طفف وبخس، فقد قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:1].

فينبغي للعبد أن يتذكر ـ حين يشرع في صلاته ـ أنه يقف بين يدي ملك الملوك وجبار السموات والأرض اللطيف بعباده، وأن يعلم أن الله تعالى أمامه ـ أي: قِبَلَ وجهه ـ ما دام مقبلًا على صلاته، وأنه أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، وأن الدعاء يستجاب له في القيام، وفي السجود وآخر التشهد قبل التسليم.

ومن كمال هيئته وجمال وقوفه بين يدي ربه أن يتجنب هيئات لا تليق بالإنسان فضلًا عن المسلم المؤمن المعظم لربه المنتظر لجوده وفضله، **وهي:**

1- **نقر كنقر الغراب**، وهو الإسراع في الركوع والسجود، وما قبلهما وما بعدهما من أركان الصلاة، لكونه يدل على اللهو والغفلة، ونقص الرغبة والحسبة.

2- **أن يرفع رأسه قبل إمامه في الركوع أو السجود**، فإن هذا من مظاهر سوء الأدب ودلائل بلادة الطبع، وهو من أخلاق الحمير، ولذا صح عن النبي ﷺ قوله: «**أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل إمامه أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يحول الله صورته صورة حمار**».

3- **التفاتٌ كالتفات الثعلب**، بأن يلتفت برأسه وهو في الصلاة من غير حاجة داعية إلى ذلك من خوف ونحوه، فقد نهى النبي ﷺ عن التفاتٍ كالتفات الثعلب، وذلك ـ والله أعلم ـ لما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى، والتعرض للشواغل والصوارف عن الصلاة ومقصودها.

4- **انبساطٌ كانبساط الكلب**، وذلك بأن يجعل ذراعيه على الأرض حال سجوده، لنهي النبي ﷺ عن انبساطٍ كانبساط السبع، فإن هذا الصنيع من دلائل الجهل بالسنن واستهانة المرء بنفسه وصلاته.

5- **بُروكٌ كبروك البعير**، وذلك بأن يقدم يديه ورأسه في انحنائه للسجود ـ على الصحيح عند أهل العلم ـ من غير حاجة من تعب أو كبر أو مرض، فإن السنة إذا أراد السجود أن يبدأ بركبتيه ثم يديه ثم رأسه، وإذا رفع يرفع رأسه ثم يديه.

فكل هذه الهيئات منهي عنها؛ لأنها لا تليق بالإنسان لما فيها من التشبه بالحيوان ولا تليق بالمصلي؛ لأنها من سوء الأدب مع الله تعالى ومن الرغبة عن سنة النبي ﷺ، وهي غالبًا تدل على عدم المبالاة بالعلم، وهي من مظاهر الكسل والغفلة في الصلاة.

فاحذر ـ أخي المسلم ـ هذه الهيئات والمظاهر وغيرها مما جاءت السنة بالنهي عنه والوعيد عليه، واحرص

على الإحسان في صلاتك وسائر دينك بأن تأتي بها على الوجه المشروع، وتخلص فيها لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

جعلني الله وإياك من المحسنين، ورزقنا الفقه في الدين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

فضل صلاة الليل

الحمد لله الذي جعل قيام الليل من خصال الصالحين، وبشرهم بكريم ثوابه الذي تقر به العين.

أما بعد:

فإن جنس الصلاة سبب عظيم من أسباب حط الخطيئات، وزيادة الحسنات، ورفعة الدرجات، والنهي عن الفحشاء والمنكر، وهي نور للعبد وبرهان ونجاة يوم القيامة، والمحافظة عليها منجية من النار، ومورثة للفردوس الأعلى مع الأخيار، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون:٩-١١]، وحسبك برفقة: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:69].

وقد قال ﷺ لكعب بن مالك الأسلمي ـ لما سأله الدعاء له بمرافقته في الجنة ـ: «**فأعنّي على نفسك بكثرة السجود، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحطّ عنك بها خطيئة**».

* والصلوات الخمس المكتوبات أعظم الفرائض بعد التوحيد شأنًا، وما تقرب العبد إلى الله تعالى بشيء أحب إليه مما افترض الله عليه، فمجاهدة العبد نفسه على أداء الصلوات في الوقت ومع الجماعة ـ جهاد عظيم على إقامة عمود الدين وأعظم الشعائر ـ بعد التوحيد ـ عند المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: 69].
* وهي ـ أي: الصلوات الخمس ـ شرط للنظر في العمل يوم القيامة، فإن أول ما ينظر من العمل الصلاة، فإن صحت نظر فيه، وإن كانت ناقصة كملت من نافلتها، وهكذا سائر عمله، وإن لم توجد لم ينظر فيه ورد العمل على صاحبه.
* والمحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة محافظة على سنة الهدى، فإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه.
* ومن أسباب حسن الخاتمة بالوفاة على الإسلام، فقد ثبت في صحيح مسلم رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله ـ وهو في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ؛ لأنه لا دخل للعقل فيه ـ: «**من سرّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهم**»، يعني: في المساجد.
* ونوافل الصلاة تكمل بها الفريضة، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن أول ما ينظر من العمل الصالح، فإن وجدت تامة كتبت تامة، وإن وجدت ناقصة قال الله تعالى للملائكة: انظروا هل لعبدي من نافلة، فيتم بها ما انتقص من فريضته.
* وهي كذلك تحبب العبد إلى الله عزَّ وجلَّ، ففي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه**».
* وهي كذلك من أسباب إجابة الدعاء والإجارة من المكروه ورفعة الدرجات عند الله تعالى.
* وصلاة الليل أفضل من نافلة النهار ـ والكل فاضل ـ؛ لأنها أقرب إلى الإخلاص، وأنفع للعبد لخفائها ودوامها، ولذلكم لما أثنى الله على عباده بصالح العمل والمجاهدة على خصال الخير جعل في طليعة ذلك قيامهم الليل، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴾ [الفرقان:64]، وقال تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ [الذاريات:17]، وقال جل ذكره: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾ [السجدة:16]، وعدَّ ﷺ الصلاة بالليل والناس نيام في طليعة الخصال التي تُدخل الجنة، وتُنال بها الغرف العالية فيها.
* وصلاة الليل هي دأب الصالحين قبلنا، وتأمل معي قول الله تعالى: ﴿ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ

ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران:113، 114].

* ولصلاة الليل خصوصية في رمضان؛ لأنه الشهر الذي سنّ النبي ﷺ قيامه بخصوصه حتى صار القيام من شعائره، وثبت فيه قوله ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» متفق عليه، فيجمع للمصلي شرف الزمان مع شرف العبادة، واتباع السنة، وحضور دعوة المسلمين، فإنها تحيط مَن وراءَ هم.

والأمر في صلاة الليل موسع، فلم يثبت عن النبي ﷺ تحديد عدد معين من الركعات لا ينقص منه ولا يزاد عليه، بل أطلقه ﷺ فقال: «**صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح فليوتر بركعة واحدة فهي توتر له ما صلى**» رواه مسلم، وقال ﷺ: «**أنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**».

وثبت من فعله ﷺ أنه صلى إحدى عشرة ركعة، وكان يداوم عليها، وربما صلى ثلاث عشرة وربما صلى ﷺ دون ذلك، فقد أوتر ﷺ بتسع وأوتر بسبع، ولما جمع عمر رضي الله عنه الناس على صلاة القيام في رمضان ثبت أنهم صلوها ثلاثًا وعشرين، وثبت أنهم صلوها إحدى عشرة ركعة، وصلى بعض السلف ستًّا وثلاثين، وصلى آخرون إحدى وأربعين.

فالأمر موسّع، لكن يبقى الأصل في صلاة الليل على الفضل، حتى أنه جاء أن قيام الليل هو شرف المؤمن، فلنحرص على أن ننال نصيبنا من هذا الشرف.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

*****

فضل نافلة الصلاة فى البيوت

الحمد لله رب العالمين، أجزل على الخلق الهبات، وفرض عليهم الصلوات، واستحب منهم النوافل صدقات، والصلاة والسلام على النبي التقي الأمثل، الذي أرشدنا أن التنفل في البيوت أحب إلى الله وأفضل، وعلى آله وأزواجه الأطهار، وصحبه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورًا**».

فهذا إرشاد من النبي ﷺ للأمة إلى فضل صلاة النافلة في البيوت وألا تعطل من الصلاة، فتشبه المقابر التي لا يصلى فيها إلا صلاة عارضة على جنازة قبل الدفن أو بعده لمن فاتته الصلاة عليها في المصلى.

وبيّن ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن صلاة النافلة في البيت أفضل من صلاتها في المسجد، كما في الصحيحين عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ : «**فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**»، أي: الفريضة، فثواب صلاة النافلة في البيت أعظم من صلاتها في المسجد وأجرها أتم.

والنافلة التي تفعل في البيت أنواع:

أولها: صلاة الليل، فقد كان ﷺ يصليها في بيته إذا قام من النوم أثناء الليل وآخر الليل، يصلي ويستفتح صلاته بدعاء الاستفتاح المشهور: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل...**»، ويجعل وتره آخر الليل، وقال ﷺ: «**اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وترًا**»، وأخبر ﷺ: «أن المسلم إذا استيقظ فذكر الله تعالى وتوضأ...الحديث، وفيه قال: **فإن صلى قبلت صلاته، وإن دعا استجيب له**».

وهذه الصلاة شكر من العبد لربه على أن أحياه لله بعد أن أماته، فرد عليه روحه وبعثه سالمًا في عقله معافى في جسده، وهي استفتاح مبارك لليقظة الجديدة، وضراعة إلى الله أن تكون زيادة في صالح العمل وفرصة للتوبة من التقصير والزلل.

ثانيها: صلاة سنة الفجر الراتبة، وهي ركعتان أخبر النبي ﷺ أنهما خير من الدنيا وما فيها، فكان ﷺ يصليهما في بيته، ويحسنهما ويحافظ عليهما، فلا يتركهما لا في حضر ولا سفر.

ثالثها: سنة الضحى، فهي من النافلة التي تفعل في البيوت ـ إن تيسر ـ وإلا ففي أي مكان، ووقتها من ارتفاع الشمس قدر سبعة أذرع إلى الزوال، وأقلها ركعتان، وأكثر ما حفظ عن النبي ﷺ ثماني ركعات، وقد أوصى بها النبي ﷺ جماعة من أصحابه، وسماها صلاة الأوابين، وأخبر أنها تجزئ عن ثلاثمائة وستين صدقة، وقال: «**من تصدق عدد الثلاثمائة والستين في يوم أمسى وقد زحزح نفسه عن النار**».

رابعها: سنة الظهر الراتبة القبلية، وكان ﷺ يصلي بعد زوال الشمس وقبل صلاة الظهر أربع ركعات هي سنة الظهر الراتبة التي قبلها فكان ﷺ يصليها في بيته، ويقول: إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح.

خامسها: الركعتان بعد الظهر المغرب والعشاء، فالسنة الراتبة بعد الظهر ركعتان، كذلك الراتبة بعد صلاة المغرب، والتي بعد صلاة العشاء، كل هذه السنن الرواتب كان النبي ﷺ يصليها ركعتين ركعتين في بيته.

سادسها: وقد حث ﷺ على أن يأوي المرء إلى فراشه طاهرًا، ويذكر الله تعالى حتى يغلبه النعاس ـ أي: النوم ـ فإنه لا ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيه خيرًا إلا أعطاه إياه، وحث ﷺ المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء أن يصلي ما كتب الله له، وأخبر أن ذلك من أسباب مغفرة الذنب والسبق إلى الجنة في أحاديث معلومة عند أهل العلم.

فينبغي الحرص على ذلك بأن يصلي المرء ما كتب له؛ ليختم يقظته بالصلاة فإنها رأس الشكر، فإن غلب

على ظنه أن يستيقظ قبل آذان الفجر بوقت، فيجعل وتره آخر الليل ـ كما سبق ـ فإنه أفضل، وإن غلب على ظنه أنه لا يستيقظ إلا مع آذان الفجر فليوتر قبل أن ينام، فمن كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ، من أوله وأوسطه وآخره، وانتهى وتره إلى السحر.

فاحرص ـ أيها الأخ المسلم ـ أن تحافظ على هؤلاء الصلوات المباركات في بيتك لتنال أنت وأهلك من بركتها وحسن عاقبتها، واعلم أنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة، وإنها من أسباب مرافقتك لنبيك ﷺ في الجنة، واحرص أن تجعلها أو بعضها في بيتك تكن في بيتك خيرًا ونورًا، وتنال بركة السنة في الدنيا والآخرة.

جعلنا الله وإياك ممن يحيى الله بهم السنن، ويهدي بهم الأمم إلى خير سنن، وغفر الله لنا من الذنوب ما ظهر وما بطن.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

هدى النبي ﷺ في الليل

الحمد لله الذي جعل الليل لباسًا يتوفى فيها النفوس؛ فيرسل نفوسًا ويقبض نفوسًا، والصلاة والسلام على النبي المختار، الذي دلنا على خير هدي قبل المنام، فمنه التطهر ومنه الذكر والتسبيح والقيام، وعلى آله وصحبه الكرام.

أما بعد:

فإن هدي النبي ﷺ هو سنته وطريقته في الأشياء عامة والعبادات خاصة ـ وهديه ـ ﷺ أكمل هدي؛ لأنه هدي معتدل يتحقق به صلاح القلب والجسد وإشباع الروح والعقل دون تفريط أو شطط، وسنتعرض بمشيئة الله تعالى لبيان هدي النبي ﷺ في أشياء كثيرة؛ ليتسنى للمسلم الذي يبتغي وجه الله تعالى والدار الآخرة أن يقتدي به ﷺ فيما نشير إليه، فإن الله تعالى قال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:21]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:31].

وفيما يلي نذكر هديه ﷺ في الليل:

1- فقد كان ﷺ يصلي المغرب إذا تحقق غروب الشمس، فيبكر بها حتى إن المرء يرجع إلى أهله بعد الصلاة وأنه ليبصر مواقع نبله ـ ريشة السهم ـ.

2- وكان يصلي بعدها سنتها الراتبة ركعتين، يقرأ في الركعة الأولى سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾، وفي الثانية سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، ويحث على صلاة ركعتين قبلها، ويقول: **«صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب لمن يشاء»**، وكان الصحابة رضي الله عنهم يبتدرون السواري ـ أي: الأعمدة ـ يصلون وراءها يجعلونها سترة لصلاة هاتين الركعتين، حتى يخيل للداخل أنهم قد صلوا المغرب من كثرة من يصليها.

3- وكان ﷺ يحب تأخير صلاة العشاء إلى الثلث الأول من الليل، ويبين أنه أفضل وقتها، ويبين أنه لولا خوف المشقة عليهم لأمرهم بها في ذلك الوقت، وذلك ـ والله أعلم ـ من أجل أن يتفرغوا من حروثهم ومواشيهم وسائر أشغالهم، ويسمروا مع إخوانهم وخدمهم وحشمهم؛ ليكتمل أنسهم وراحتهم قبل نومهم.

4- وكان ﷺ يكره النوم قبل العشاء؛ لأنه مظنة تفويتها وتضييعها، وكان عليه الصلاة والسلام يصلي العشاء كغيرها من الصلوات في المسجد مع الجماعة، ويذم المتخلفين عنها وعن الفجر، ويصفهم بالنفاق، ويتوعدهم بالوعيد الشديد.

5- وكان ﷺ يحب أن يصلي سنة العشاء الراتبة في بيته، وكذلك سنة المغرب والفجر، ويوصي بأن يجعل المرء من صلاته النافلة في بيته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا.

6- وكان ﷺ يكره السهر بعد العشاء؛ لأنه مظنة تفويت الفجر بالنوم عنها، ولم يرخص ﷺ في السهر بعدها إلا لسمر الرجل مع أهله وزوجته، وكان ﷺ يسمر مع أهله ساعة، وكذلك رخص في السهر لإكرام الضيف، ولطلب العلم، ولأمر يتعلق بعامة المسلمين.

7- وكان ﷺ يوصي المسلم إذا أراد أن ينام أن يتوضأ وضوءه للصلاة، وأن يضطجع على شقه الأيمن، وأن يدعو بالأدعية التي علمها ﷺ الأمة ويقول لمن أوى إلى فراشه طاهرًا وذكر الله حتى يغلبه النعاس ـ النوم ـ: **«لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله فيها شيئًا إلا أعطاه إياه»**.

8- وكان ﷺ يحث على قيام الليل، وكان يختم بوتر، ويصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، وأوتر ﷺ من أول الليل وأوسطه وآخره، فانتهى وتره إلى السحر ـ قبيل الفجر ـ؛ وذلك لأن الصلاة فيه أفضل،

والدعاء فيه أحرى بالإجابة، وليكون احتياطًا واستعدادًا لصلاة الفجر.

9- وكان ﷺ يسلم من كل ركعتين من صلاة الليل ويوتر بواحدة، ويقول: صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح فليوتر بواحدة، وأحيانا كان ﷺ يوتر بسبع أو بتسع أو بإحدى عشرة، يسردها سردًا بدون تشهد، فلا يجلس للتشهد إلا قبل الأخيرة، فيجلس ويتشهد، ولا يسلم، ثم يأتي بالأخيرة فيتشهد ويسلم، وكان إذا نام عن صلاة الليل أو شيء منها لمرض ونحوه صلاها من الضحى كما هي غير أنه يكمل الوتر ليكون شفعًا.

فاللهم اجعلنا من عبادك الذاكرين الشاكرين، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

بناء المساجد
من جليل الأعمال الصالحة

الحمد لله وحده، أحب من بلاده المساجد، وأسبغ نعمه على الراكع والساجد، ووعد بجنته المؤمنين جميعًا، وجعل لأهل المساجد منهم مقامًا رفيعًا، والصلاة والسلام على خير الأنام، وآله وصحبه الكرام.

أما بعد:

فإن المساجد هي أحب البلاد إلى الله تعالى؛ لأنها بنيت لذكر الله وإقامة الصلاة وقراءة القرآن، وقد ارتبطت بها حياة المسلمين في عهد النبوة ارتباطًا كليًّا في جوانب مهمة من حياتهم.

وباستعراضٍ متأنٍّ لنصوص السنة تتجلى منزلة المساجد في حياتهم وأثرها في تربيتهم واجتماعاتهم ووحدتهم وقوتهم . فكما كانت المساجد مواضع الصلاة، ومقار قسمة الزكاة والفيء، وجامعات التعليم، وملتقى الوفود، ومنطلق الجيوش والسرايا ونحو ذلك من أسس الدعوة وقواعد الدولة، فقد كانت حياة المسلمين الفردية وأمورهم الاجتماعية بل والساسية والشخصية مرتبطة بالمسجد ارتباطًا وثيقًا من عدة وجوه:

1ـ كانت منامًا للعزاب ومأوى لمن لا مأوى له:

فكان من لا مأوى له يبيت في المسجد، لما في البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان ينام في المسجد وهو شاب أعزب لا أهل له في مسجد النبي ﷺ، وقد ترجم البخاري رحمه الله في صحيحه قائلًا: (باب نوم المرأة في المسجد)، وذكر فيه حديث الجارية التي كان لها خباء في المسجد، أو حفش وهو البيت الصغير.

2ـ وقد رخص النبي ﷺ للحبشة في اللعب بالحراب لصلة ذلك في الجهاد في سبيل الله:

فكان الحبشة يلعبون بالحراب في مسجد رسول الله ﷺ؛ ذلك لأن اللعب بالحراب فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو، والمسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين، فما كان من الأعمال يجمع منفعة الدين وأهله جاز فيه، ذكره الحافظ في الفتح، على ترجمة البخاري رحمه الله: «**باب الحراب في المسجد**».

3ـ ومحلًّا للقضاء وفصل النزاع:

قال البخاري رحمه الله تعالى: «باب التقاضي في المسجد» وذكر فيه حديث تقاضي كعب بن مالك من ابن أبي حدرد دينًا كان عليه في المسجد.. الحديث، وفيه أن النبي ﷺ قال لكعب: «**ضع من دينك هكذا**»، وأومأ إليه، أي: الشطر قال: لقد فعلت يا رسول الله، قال ـ أي: لأبي حدرد ـ «**قم فاقضه**».

4 ـ ضيافةً للمهاجرين الجدد وفقراء المسلمين حتى يغنيهم الله من فضله:

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة كانت تقمُّ المسجد فسأل النبي ﷺ عنها فقالوا ماتت، فقال: «**أفلا كنتم آذنتموني بها، دلوني على قبرها**»، فأتى قبرها فصلى عليها.

5 ـ وكان المسجد محبسًا للمخالف حتى ينظر في أمره:

ففي البخاري أن شريحًا رحمه الله تعالى كان يأمر الغريم، فيحبس إلى سارية المسجد، وحجته في ذلك أن النبي ﷺ ربط ثمامة بن أثال بسارية من سواري المسجد، وقال ﷺ في العفريت من الجن: «**قد أردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد**».

6 ـ وكان المسجد محلًا لتمريض المرضى من المسلمين:

فقد ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أُصيب سعد بن معاذ يوم الخندق في أكحله، ضرب النبي ﷺ له خيمة في المسجد ليعوده من قرب.

7 ـ وكان جامعة للتعليم:

فقد كان ﷺ يجلس في المسجد وحوله أصحابه رضي الله عنهم يحدثهم وفي الصحيح: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يقرأون كتاب الله ويتدبرون إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**».

8 ـ وكان الأطفال الصغار لا يُمنعون من المساجد:

فقد كان النبي ﷺ يؤم الناس، وأمامة بنت أبي العاص، وهي ابنة زينب بنت النبي ﷺ على عاتقه ـ أي: كتفه ـ فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها. رواه مسلم.

فلهذه المهام وغيرها كان بناء المساجد من جليل الأعمال الصالحة ونفيس القرب إلى الله عزَّ وجلَّ، ففي صحيح مسلم رحمه الله عن النبي ﷺ قال: **«من بنى مسجدًا لله تعالى بنى الله له بيتًا في الجنة»**، وجاءت النصوص مصرحة بفضل التردد على المساجد وما لهم من عظيم الأجور ورفيع الدرجة عند الله تعالى وكريم الضيافة في الجنة.

فأحرى بالمسلمين عامة والجماعات الإسلامية في غير بلاد الإسلام خاصة أن يحيوا دور المسجد في حياتهم على منهاج النبوة، وأن يجتنبوا المساجد البدع والعوائد المحدثة، وأن يحذروا أن تكون المساجد محلًّا للغو، أو البيع أو الشراء أو سببًا في فرقة المسلمين، ومجالًا للخوض في أمور اجتهادية لا تمت إلى الدين بصلة بل هي من قبيل الأهواء واتباع الشهوات، فإن هذه الأمور كلها لا تتفق ورسالة المسجد في الإصلاح.

رزق الله الجميع الفقه في الدين والإخلاص لبعضهم والسير على هدى النبي ﷺ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

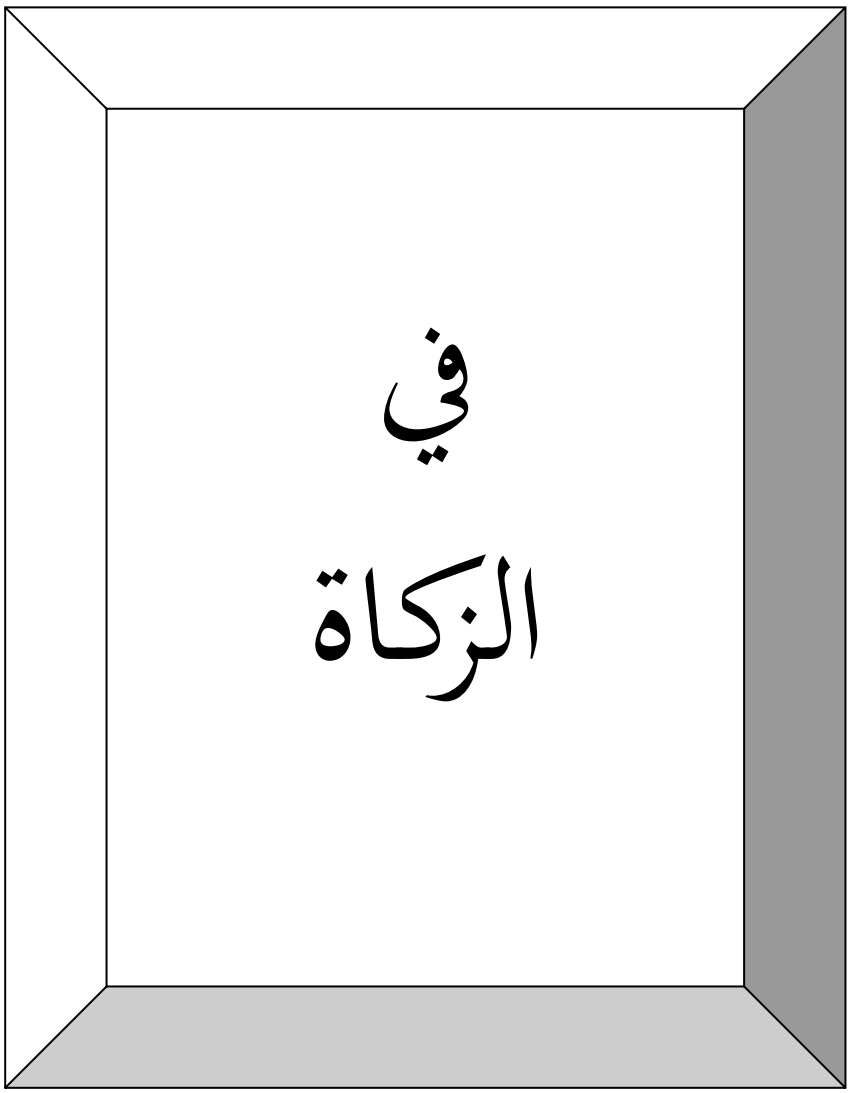
في
الزكاة

فريضة الزكاة

الحمد لله يزكي من يشاء، وقد وعد المتصدقين بالخلف والغنى.

أما بعد:

فإن لفظ الزكاة في اللغة يدل على الزكاة والنماء والزيادة وذهاب النقص، وقد جعل الله تبارك وتعالى الزكاة الشرعية.

فإن الزكاة هي ثالثة أركان الإسلام وقرينة الصلاة في الذكر في كتاب الله تعالى، شرعها الله تعالى مقداراً يسيراً من خير كثير أعطاه الله تعالى الأغنياء؛ لحكم عظيمة كثيرة لا يمكن حصرها.

فمن تلك الحكم والفوائد المتعلقة بالمعطي وآخذ المال:

الأولى: تطهير الأغنياء من الذنوب والخطايا، فإنها من أعظم المكفرات كما في الحديث المتفق على صحته، قال ﷺ: «**فتنة الرجل في أهله وماله تكفرها الصلاة والصوم والصدقة**».

الثانية: تطهيرهم من الأخلاق الرديئة الدنيئة، كالبخل والشح والجشع؛ ليكون أهلًا لمجاورة الله تعالى في جنات عدن، فإن الله تعالى لما خلقها قال لها: «**تكلمي**»، فقالت: «**قد أفلح المؤمنون**»، فقال سبحانه: «**وعزتي وجلالي، لا يجاورني فيك بخيل**».

الثالثة: تطهير المال من أسباب تلفه، فإن منع حقه من أسباب تلفه؛ لتعلق النفوس به، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما خالطت الزكاة مالًا قط إلا أفسدته**»، ويشهد لذلك قصة أصحاب الجنة: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم:17] الآيات إلى قوله: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ [القلم:24]، ثم بين سبحانه عاقبة ذلك بقول: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم:20].

الرابعة: تزكية الإيمان والعمل، فإنها تكمل النقص وتجبر الخلل وتزيد الهدى، وفي هذه الحكم، يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة:103].

الخامسة: مواساة الأغنياء لإخوانهم الفقراء في سد حاجتهم، ودفع الفاقة عنهم، وتيسير عسرهم، وكشف كربهم رحمة بهم، وفي الحديث: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

السادسة: أن إخراج الزكاة من أسباب نماء المال وكثرته، ودفع الآفات عنه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ:39].

السابعة: النجاة من شؤم المال بالهلكة به في الدنيا والعذاب به في الآخرة، فإن المال الذي لا يزكي يعذب به صاحبه في الآخرة.

وكفى بحبس الزكاة إثمًا أنه هدم لثاني أركان الإسلام بعد الصلاة، وإشعال لأوار الفتنة بين الأغنياء والفقراء، وخيانة للأمانة التي جعلها الله ابتلاءً للأغنياء، وإنها إثم استوجب عند الصديق رضي الله عنه قتال مانعها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الزكاة فى شهر البركة

الحمد لله رب العالمين الذي أتقن ما صنع وأحكم ما شرع وأعطى الكثير، واستقرض من عباده القدر اليسير، ووعد عليه بالأجر الكبير، فأغنى وأقنى، وأثاب فأوفى.

أما بعد:

فإن فريضة الزكاة ونافلتها شرعتا لحكم عظيمة ومقاصد كريمة، فإن في الزكاة تزكية لنفس مخرجها وإيمانه ولعمله وماله **من وجوه عدة:**

- فهي تزكي باذلها بتقوية إيمانه وحسن ظنه بالله تعالى، وتطهر نفسه من خلق البخل والشح ونحوهما من الأخلاق الرديئة التي لا تليق بالمؤمن المأمور بالجود بالخير، وإنما سميت صدقة؛ لأنها برهان على صدق الإيمان وقوة اليقين والرجاء والتوكل على الله تعالى.
- وهي تزكي العمل فتقوي الرغبة في العمل الصالح وصدق التوبة من القبائح؛ لأن الذي يبذل الزكاة خوفًا من الله تعالى ورجاءً له يحذر من سوء عمله فيتوب إلى الله منه، ويجتهد في العمل الصالح رجاء أن يتقبل الله منه، ويشكر الله تعالى على إحسانه إليه بالمال وجعله مستخلفًا فيه، ويحسن إلى الخلق، ومن أحسن إلى العباد أحسن الله إليه، فإن الله تعالى يحب المحسنين.
- وهي كذلك تزكي المال فتنميه، وتكون سببًا لحلول البركة فيه، وتذهب شره وشؤمه، فإن بقاء حق الناس فيه سبب لشؤمه وشره وتلفه وخروجها منه ووصولها لمستحقها سبب لنمائه وزيادته ودعاء الضعفاء والمساكين لصاحبه بالخير، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾ [سبأ:39]، وقال ﷺ: «**أنفق يا ابن آدم يُنفق عليك**».
- وهي تزكي الفقير والمسكين وغيرهما من أهلها بإغنائهم وإعفافهم ودفع شرور نفوسهم من الحسد، وأنواع الجنايات التي قد تدفع إليها الحاجة مع الجهل.
- والزكاة مقدار يسير فيما أعطاك الله من الخير الكثير، فهي اثنان ونصف في المائة(2.5%) في النقدين والأوراق المالية وكثير من الأموال، ولا تجب إلا بمضي الحول في غالب الأموال، وبلوغ النصاب، وأدناه في الأوراق النقدية قيمة (85) غرامًا من الذهب، أو (595) غرامًا من الفضة، فمن ملك هذا القدر من الأوراق النقدية من أي عملة معتبرة أو ما تقدر قيمته بهذا المقدار أو أكثر من عروض التجارة ونحوها مما يعد للبيع وجبت عليه الزكاة فيه وما زاد فهو بحسابه، وكون الإنسان جمع المال وادخره لزواج أو بناء أو غيرهما من الأهداف، فذلك لا يسقط الزكاة عنه إذا مضى عليه الحول، وهو على حاله.
- وشهر رمضان المبارك من أنسب الأوقات لإخراج الزكاة؛ لأنه يكثر فيه ظهور الفقراء والمحتاجين بحيث يمكن الإنسان أن يتحرى لزكاته من تكون الزكاة له عونًا على طاعة الله تعالى، إضافة إلى أنه شهر تضاعف فيه الأعمال، ويضاعف فيه الثواب، ويعظم الأجر، فيجتمع للغني فضل العبادة وشرف الزمن وفضل الإعانة على الطاعة.
- غير أن المرء ينبغي أن يدخر شيئًا من زكاته لما بعد رمضان؛ لأن كثيرًا من الناس يتفقون على إخراج زكاتهم في رمضان ثم لا يجد الفقراء والمساكين في الأشهر الأخرى من يواسيهم ويتصدق عليهم.
- والصدقة وقت الحاجة ربما تكون أفضل منها في الزمن الفاضل؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ [البلد:12-16]، فجعل تعالى فضل الإطعام بأنه في يوم ذي مسغبة وللمسكين بذي متربة، وهما صفتان تظهران وقت الحاجة لا وقت السعة.
- ومن المهم عناية المسلم الموسر بأحكام الزكاة؛ ليعطيها لمستحقها على الوجه الذي يرضي الله تعالى وتبرأ به ذمته من الواجب، فإن عرفها وإلا فليسأل أهل الذكر بشأنها، ومن طلب الهدى وفقه الله تعالى للاهتداء.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يهتم بزكاة ماله، فيخرج منها في أفضل الأوقات، ويغتنم حاجة ذوي الحاجات، ويختار لها أفضل الفقراء والمساكين دينًا وصلاحًا حتى تكون عونًا لهم على طاعة الله، لا عادة سنوية تؤدى وتقبض دون مراعاة لمقصودها والحكمة من مشروعيتها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

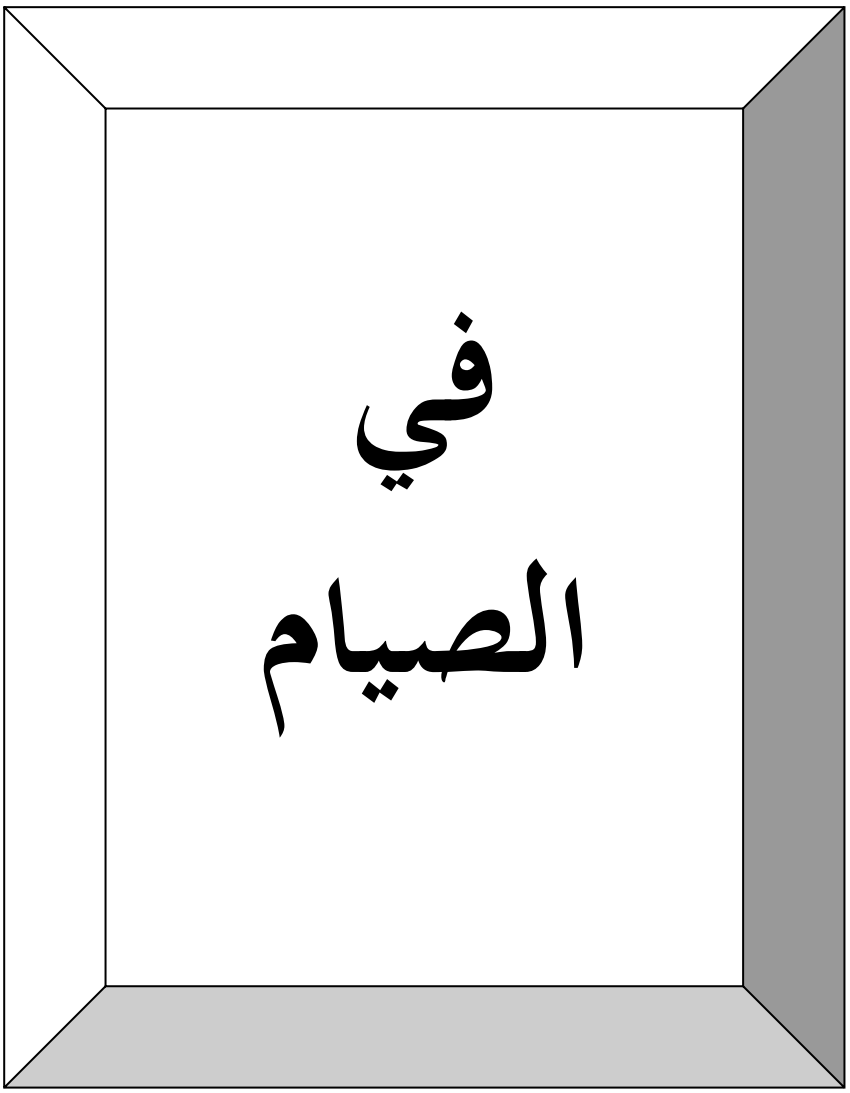
في
الصيام

فضل شهر رمضان

الحمد لله الذي كتب الصيام، وسنّ على لسان نبيه ﷺ القيام، وجعل صيام رمضان وقيامه إيمانًا واحتسابًا مغفرة للذنوب والآثام، وسببًا لدخول الجنة دار السلام.

أما بعد:

فإن شهر رمضان المبارك هو أفضل شهور العام على الإطلاق، **وذلك لأمور:**

الأول: أن الله تعالى اختصه بأن جعل صيامه فريضة على المسلمين، وهو الركن الرابع من أركان الدين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:183].

الثاني: أنه الشهر الذي خصّه الله بابتداء نزول القرآن ونزوله جملة من عند الله تعالى إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ [البقرة:185] الآية، وكذلك ورد أنه عز وجل قد أنزل في رمضان صحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل.

الثالث: أنه وقت أداء ركن من أركان الإسلام الخمسة، فقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**».

الرابع: أن الله تعالى شرع قيام ليله لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

الخامس: ولأن فيه ليلة القدر التي هي خير ليالي السنة بل خير من ألف شهر كما قال تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ [البقرة:185]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ [القدر:1-2]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان:3-4]، ومتواتر عن النبي ﷺ أنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر منه، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

السادس: ولأنه روي أن النبي ﷺ كان يبشر أصحابه بقدومه، ويهيئهم للاستعداد له، ويرغبهم في أنواع العمل الصالح فيه لما يذكره من خصائصه وفضله وما ادخره الله تعالى لهذه الأمة فيه.

السابع: ولما ثبت من خصائصه وفضائله كما في مسند الإمام أحمد رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أعطيت أمتي في رمضان خمس خصال لم تعطها أمة من الأمم قبلها: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخصلون إليه في غيره، ويزين الله كل يوم جنته فيقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك، ويغفر لهم في آخر ليلة منه**»، قيل: أهي ليلة القدر؟ قال: «**لا، ولكن العامل يوفى أجره إذا قضى عمله**».

وما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

الثامن: أنه يشرع استقباله بالاغتباط والسرور وانشراح الصدر والنية الصالحة على الاجتهاد في العمل الصالح، والتوبة من القبائح.

التاسع: ما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة من مضاعفة العمل فيه ومضاعفة الثواب.

اللهم بلغنا رمضان، واجعلنا من أهل الإيمان والإحسان، واعتقنا من النار واجعلنا فائزين بعليِّ الجنات آمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

*****

رمضان شهر البركة والأرباح

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن شهر رمضان ضيف عظيم، ووافد كريم، ينتظره المسلم بشوق ولهفة، لا ليتوسع في الموائد؛ ولا ليجاري أهل العوائد، ولكن لأنه موسم تجارة وأرباح مع رب العالمين، لما يحصل فيه من كرم الله وجوده من مضاعفة العمل، وكثرة الثواب، ولذا رُوي أن النبي ﷺ أنه كان يبشر بقدومه، ويقول لأصحابه: **«جاءكم أو أظلكم شهر مبارك».**

فمن بركات هذا الشهر:

1- مضاعفة العمل.
2- مضاعفة الثواب والأجر كرمًا من الله عز وجل.
3- تيسير أنواع الأعمال الصالحة، وتنوعها.
4- اتفاق أهل الإيمان على الاجتهاد فيه، وذلك مما يقوي عزم المؤمن.
5- تغل فيه الشياطين، ومردة الجن، فلا يتمكنون من إغواء أهل الإسلام، كما كان يحصل لهم في غير رمضان، فإن الصيام يُضيِّق مجاري الشيطان من الجسم.
6- وهو جُنَّة للمؤمن من اللغو والرفث؛ لأن الذي ترك شهوته من أجل الله تعالى لا يرتكب ما نهى الله عنه.
7- تيسير قراءة القرآن مع تيسيره على الدوام، ولكن في رمضان يكون أكثر تيسيرًا، ويكون المؤمن أكثر له تدبرًا، فينال القاريء من بركة القرآن ما يقوي همته في العمل الصالح، ويكون عونًا له على ترك القبائح.
8- ثم إنه شهر الصدقة، والإحسان، والصلة، ومن شأن ذلك أن يستجلب به المؤمن إحسان الله تعالى إليه، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن:60].
9- ومن جليل بركات شهر الصوم أن فيه أوقاتًا كثيرة يدركها كثير من الناس يستجاب فيها الدعاء، فوقت السحور، ووقت الإفطار، وبين الأذان والإقامة، وأحوال السجود والتشهد في صلاة الفريضة والتراويح، وعند قراءة القرآن وجوف الليل الآخر، كل هذه أوقات عظيمة، وأحوال كريمة يستجاب فيها الدعاء، والدعاء مفتاح خزائن الخير.

فإن الله تعالى إذا أراد أن يعطي العبد شرح صدره للدعاء، وذلل لسانه به، وقد ذكر الله تعالى قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [البقرة:186] في ثنايا آيات الصيام، ولعل الحكمة من ذلك حث الصوّام على كثرة الدعاء، وتنبيههم على كثرة مناسباته وأسباب إجابته للصوام ولعامة أهل الإسلام في رمضان.

وبالجملة فمن فسح الله أجله حتى أدرك رمضان، ووفقه لطاعته بما شرع فيه على نهج المصطفى ﷺ، فقد يسر له جليل الأرباح، وأسباب الفلاح، فليعمل لله تعالى شكرًا، وليجعل اجتهاده في صالح العمل في رمضان عند الله تعالى ذخرًا، قال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت:٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٧٢]، وقال سبحانه:﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ﴾ [العنكبوت:٦]، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعًا الإخلاص لوجهه في القول والعمل، ومغفرة التقصير والزلل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

*****

فضائل الصيام عامة
وصوم شهر رمضان خاصة

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن الصيام **لغة:** هو الإمساك عن الشيء مطلقًا.

وشرعًا: هو الإمساك عن الأكل والشرب وغيرهما من المفطرات بنية التقرب إلى الله تعالى، وعلى الوجه الذي شرعه الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، من المسلم المكلف المقيم الصحيح القادر السالم من الموانع.

وفضائل الصيام كثيرة، وأجوره كبيرة، وعواقبه الحسنة على أهله في الدنيا والآخرة كثيرة، و**من ذلك:**

1- **الصيام سبب عظيم من أسباب التقوى المؤهلة للنجاة من النار ومجاورة الرب الكريم في الجنة مع الأخيار،** قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:183]، وقال سبحانه عند ذكر النار ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴾ [مريم:72]، وقال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴾ [مريم:63]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ [القمر:54–55].

2- **ومنها أنه خير لصاحبه لحسن عاقبته في الدنيا والآخرة،** قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:183].

3- **ومنها أنه جنة** ـ أي: سترة واقية ـ **من الفتن والآثام ومن النار،** قال ﷺ: «**الصيام جنة يستجن بها من النار**»، وقال ﷺ: «**الصيام جنة وحصن حصين من النار كجنة أحدكم من القتال**».

4- **والصوم عمل من الأعمال التي وعد الله تعالى أهلها مغفرة وأجرًا عظيمًا،** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب:35].

5- **والصيام سبب لبعد الوجه عن النار،** ثبت في الصحيحين عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**»، وفي صحيح مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ قال: «**من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض**»، والمراد بسبيل الله: طاعته، ويدخل فيه الصوم في الرباط وسفر الجهاد إذا لم يكن عليه فيه مشقة.

6- **والصوم عمل لا مثل له،** كما وصى النبي ﷺ به جماعة من أصحابه سألوه عن أن يدلهم على عمل ينفعهم أو عن أفضل العمل يدخل به الجنة، فقال لكل واحد منهم: «**عليك بالصوم فإنه لا مثل له**» وفي لفظ: «**لا عدل له**».

7- **أنه عمل يدخل صاحبه الجنة من باب الريان،** كما ثبت في الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة بابًا يُقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم؛ فإذا دخل آخرهم أغلق، فلم يدخل منه أحد**»، وفي رواية: «**في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون**».

8- **والصوم كفارة للفتن والذنوب؛** لقوله ﷺ: «**فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي**» متفق عليه.

9- **والصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة** كما في المسند من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة**».

10- **ومن ختم له بالصوم دخل الجنة،** لحديث حذيفة رضي الله عنه قال: أسندت رسول الله ﷺ إلى صدري فقال: «**من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يومًا ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة**».

11- **والصوم يؤهل أهله للمنازل العالية في الجنة،** لحديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام**».

12- **والصوم من أسباب إجابة الدعاء** قال ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر**»، ولحديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد**»، وكان ابن عمرو إذا أفطر قال: «**اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي**».

13- **والصوم زينة العمل؛** لعرضه على الله عزَّ وجلَّ، فقد كان النبي ﷺ يصوم يومي الاثنين والخميس، ويقول أنهما يومان تعرض فيهما أعمال العباد على الله عزَّ وجلَّ، فأُحب أن يُعرض عملي، وأنا صائم، فكان ﷺ يزين عمله بالصيام لمناسبة عرضه على الله عزَّ وجلَّ، وكفى بذلك شرفًا للصيام وتنبيهًا على منزلته عند الله عزَّ وجلَّ.

14- **وهو عمل اختصه الله تعالى لنفسه،** وجعل جزاءه عليه، وهو جزاء يليق بكرمه وجوده، كما في الحديث القدسي أن الله تعالى يقول: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»، فعمل اختصه الله تعالى لنفسه، وجعل جزاءه عليه حري بالمؤمن أن يعنى به وأن يحبه ويرجو كرم الله تعالى في المثوبة عليه، وهو تعالى الغني الكريم.

وإذا كانت هذه فضائل الصوم عامة، فإن صوم رمضان وهو الفريضة أعظم أجرًا وأكرم أثرًا وأحسن عواقب، ولذا جعله الله تبارك وتعالى فريضة على المؤمنين لما فيه من جليل الحِكم، وجميل العواقب في الدنيا والآخرة، فيجتمع للمسلم هذه الفضائل كلها وغيرها في صوم الفريضة، لأنه ما تقرب أحد إلى الله تعالى بشيء أحب إليه مما افترضه الله عليه.

اللهم وفقنا لحسن الصيام، وطول القيام، واغفر لنا الخطايا والآثام، ونجنا من النار، وأدخلنا الجنة بسلام. آمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

*****

مهمات بشأن الصيام وما ينبغى له

الحمد لله ذي الفضل والمنة، جعل الصيام جُنة، وخص لأهله بابًا في الجنَّة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد سيد الأنام، خيرمن صلى وصام وقام، وآله وصحبه الكرام.

أما بعد:

فهذه مهمات تتعلق بشأن الصيام وما ينبغي، أُذكّر بها نفسي وكل مبتغٍ للهدى، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

الأولى: يحب أن يتعلم المسلم أحكام الصيام والقيام، فإن العلم بالعبادة أول واجب على المكلف بها، وهو وسيلة صحة العمل، ووقوعه على الوجه الأكمل.

الثانية: لا بد من نية الصوم الواجب ـ من صوم فرض رمضان أو قضائه أو صوم النذر أو الكفارة ـ من الليل، أي: قبل طلوع الفجر ولو بيسير؛ لقوله ﷺ: «**من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له**»، والحديث جيد مُصحح.

أما صوم النفل فيصح في أثناء النهار، ولو بعد الزوال، إذا لم يكن أكل أو شرب.

الثالثة: الصوم لغة هو: الإمساك عن الشيء مطلقًا.

وشرعًا: هو الإمساك عن الأكل والشرب وغيرهما من المفطرات وغيرها مما حرَّم الله تعالى في نهار الصوم، بنية التقرب إلى الله تعالى، وعلى الوجه الذي شرع وبين نبيه ﷺ، من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، **فهو نوعان**:

أ- **نواقض للصيام يفطر بها الصائم**؛ لأنها تفسد صومه وتنافيه، وهي: الأكل والشرب والجماع وغيره من المفطرات باتفاق، فتلك محرمة على المسلم الصائم أثناء نهار رمضان، فيفطر ويأثم إذا تعاطى شيئًا منها من غير عذر شرعي ويجب عليه القضاء.

ب- **نواقص للصيام لا يفطر بها الصائم باتفاق**، لكن ينقص ثواب صيامه ويأثم بالوقوع فيها؛ كالغيبة والنميمة والفحش والكذب؛ لقوله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب؛ فإن سابَّه أحدٌ أو شاتمه فليقل إني امرؤ صائم**».

الرابعة: ينبغي للمسلم الصائم أن يتقي ما اشتبه أمره وأشكل حكمه مما اختلف فيه أهل العلم في كونه مفطرًا أو لا فلا يتعاطاه في نهار الصيام، فإن احتاج إلى شيء منه تعاطاه وقضى احتياطًا؛ لقول النبي ﷺ: «**فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه**»، وقوله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**».

الخامسة: على الصائم أن يستكمل سنة الصيام، تكميلًا للعبادة واستيفاءً؛ كالسحور في وقت السحر، واستغفار الله وذكره عليه، وتعجيل الفطر، وأن يكون على رطبات أو تمرات والدعاء عنده وصون سمعه وبصره وجوارحه عن ذرائع الآثام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:36].

السادسة: أن يعلم أن اجتهاده في الفريضة هو المتعين، فإنه لا تقبل نافلة ما لم تؤد الفريضة، وإنه ما تقرب العبد إلى الله تعالى بشيء أحب إليه مما افترض الله عليه، وإن الإخلاص والصلاة أول وأوجب ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من الفرائض، فإن الإخلاص شرط كل عمل، وإن الصلاة شرط للنظر في العمل.

فليخلص العبد قصده لله بأن يصوم تعبدًا لله تعالى لا رياءً ولا عادةً ولا مجاراة للناس ولا لحفظ الصحة، وليحذر الشرك، فإن الشرك محبط للعمل، وليحافظ على الصلوات الخمس، فإن عملًا لا صلاة فيه لا ينظر الله إليه.

السابعة: خروج دم الرعاف والجرح وغلبة القيء ودخول شيء إلى الحلق من غير قصد، والأكل والشرب نسيانًا، كل هذه الأمور لا يفطر بها الصائم؛ لدلالة الأحاديث على ذلك ولعدم التعمد والقصد من الصائم.

الثامنة: تعمد الفطر في رمضان من غير عذر جرم خطير وإثم كبير فيه من معصية الله ورسوله وتعدٍّ لحدوده بتعاطي ما نهى الله عنه في نهار الصوم وانتهاك حرمة الزمن المحترم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:14].

وما روي عن النبي ﷺ قال: «**من أفطر يومًا من رمضان من غير عذر لم يجزه صيام الدهر وإن صامه**»، ومعناه ـ على تقدير صحة الحديث ـ أنه: لا يمكنه أن يقضيه في شهر رمضان؛ لأنه مشغول بفريضة الصوم فيه، وإن قضاه في غير رمضان، فلن يدرك بصيامه أي يوم شرف الزمان الذي أفطر فيه لكونه لا عذر له، فلن يكون قضاؤه في أي يوم مجزيًا عدا اليوم الذي أفطر فيه لكونه غير مأذون له فيه، فلا يجزيه إلا حين القضاء مع التوبة النصوح وكثرة الاستغفار.

التاسعة: يتعين أن يحذر الصائم من أنواع المخالفات وخصوصًا الكبائر، فإنها عظيمة عند الله تعالى، لذلك توعد عليها بالوعيد الشديد لعظيم شناعتها، وعظم إثمها وعقابها إذا وقعت قصدًا في الزمان الذي عظمه الله، وأمر أن يحترم كزمان رمضان، فإن المعصية فيه أعظم من غيرها لما فيها من انتهاك حرمته.

فاحرص ـ أيها المسلم ـ على صومك، أحكامه وآدابه، وتوقَّ نواقضه ونواقصه، وأخلص لله فيه، ولا يكن يوم صومك كيوم فطرك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

التذكير بمهمات تتعلق بالصيام والقيام

الحمد لله الذي بلغنا شهر الصيام، ويسر لنا ما شرع فيه من العبادات والأحكام، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد الذي كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.

أما بعد:

فإني أهنئ نفسي وإخواني المسلمين ببلوغ هذا الشهر المبارك الذي جعله الله موسمًا تضاعف فيه الأعمال، وتعظم فيه الأجور، وتغفر فيه الذنوب، فما مر بالمؤمنين شهر خير منه، جعلنا الله من المسارعين في الخيرات السابقين إلى أعلى الدرجات.

*** وبهذه المناسبة يحسن التذكير بأمور مهمة:** ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات:55]:

الأول: شكر الله تعالى حيث بلغنا هذا الشهر الكريم، فإن معنى ذلك أن الله تعالى قد أنعم علينا بأن مد في الأعمار، وأفسح في الآجال، فأعطانا فرصة لنستزيد من صالح العمل، ونتوب إليه من المعاصي قبل حلول الأجل، فإن من مات انقطع عمله، وإن الله تعالى يقبل التوبة ما لم تبلغ الروح الحلقوم أو تطلع الشمس من مغربها، وإن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرًا، وخير الناس من طال عمره وحسن عمله.

وشكر الله واجب على كل حال، فالقادر على الصيام وغيره من أنواع الطاعات يشكر الله على إعانته وتيسيره الطاعات، وغير القادر على الصيام ـ شرعًا ـ يشكر الله على عذره وعفوه وما يسره له من الدين حيث لم يكلفه بما لم يقدر عليه، ولكن ليعلم الله من نيته الرغبة فيه، فإن نية المؤمن خير من عمله.

وكذلك غير الصائم يشكر الله تعالى على إدراك الزمن الفاضل الذي يُستجاب فيه الدعاء، ويُفضل الذكر، ويعظم فيه ثواب العمل الصالح الذي يمكنه عمله ولو لم يصم لعذره.

الثاني: أن نصوم أيام رمضان مؤمنين بشرع الله للصيام، وأنه سبحانه شرعه رحمة بنا وإحسانًا إلينا لما فيه من تحصيل المصالح الكاملة، ودرء المفاسد العظيمة ومحتسبين لثواب الله تعالى الذي وعد به الصائمين، فإن الصوم له سبحانه، وهو الذي يجزئ به جزاءً يليق بغناه وبكرمه وجوده ولشرف العبادة وعظم موقعها عنده، ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»، وأن نحفظ صيامنا مما يبطله وينقصه.

الثالث: الحرص على قيام ما يتيسر من ليل رمضان؛ لما في الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

ومما أبشرك به ـ أخي المسلم ـ أنه صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**».

فاحرص على القيام مع الأئمة في المساجد تفز إن شاء الله بذلك الخير العظيم.

ولعل صلاتك في المسجد المجاور لسكنك أو عملك أعظم أجرًا؛ لأنه سنة النبي ﷺ ولما فيه من اختيار أيسر الأمرين، ولما فيه من تكثير سواد جيرانك في المسجد، وتنشيطهم على القيام، وذلك من التعاون على البر والتقوى.

وتعلم ـ أخي المسلم ـ أننا قد نهينا عن التكلف، وأن ذهابك إلى المسجد البعيد قد لا يتيسر لك في كل الأحوال مع ما قد يجدّ لأهل بيتك من الحاجات الطارئة، مع أنه روي عن النبي ﷺ قال: «**ليصل أحدكم في المسجد الذي يليه ولا يتخطاه إلى غيره**».

وروي عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان له إمام حسن القراءة، فاجتمع المشايخ وبعض الجيران حتى امتلأ المسجد، فلما خرج الإمام أحمد نظر إلى الجمع فقال: ما هذا؟ تَدعُونَ مساجدكم وتجيئون إلى غيرها.

الرابع: الأمور التي اختلفت فيها أقوال أهل العلم، فمن قائل: إنها تفطر، ومن قائل إنها لا تفطر ومن متوقف فيها. ينبغي أن تحتاط لدينك بشأنها وهو اجتنابها نهار الصيام، لقول النبي ﷺ: «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**»، وقوله: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**».

الخامس: بعض الناس يصوم، فيدع طعامه وشرابه وشهوته من أجل الله ـ وهذا حسن ـ ولكن يفطر على حرام؛ لأنه اشترى طعامه وشرابه من مال كسبه من حرام، فاحذر أن تكون من أولئك، فإن آكل الحرام لا تقبل صدقته ولا يستجاب دعاؤه، ولا يبارك له في نفقته ـ ويخشى ألا يقبل عمله ـ.

ولعله من أجل التنبيه على خطر الحرام على الصيام وشؤمه على بعض الصوام أن الله تعالى ختم آيات الصيام في سورة البقرة بقوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:188].

والباطل خلاف الحق، وكل مالٍ أخذ بغير حق فهو حرام، مثل ما أخذ عن طريق الغش والسرقة والربا والميسر والرشوة وأثمان المواد والسلع المحرمة ونحو ذلك.

السادس: إن تيسر لك أن تعتمر في أي وقت من هذا الشهر الكريم دون تفريط في مسؤولية أو تقصير في واجب، فاحرص على ذلك، لقوله ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**»، وفي رواية: «**حجة معي**»، وقد يسر الله ـ وله الحمد ـ العمرة في هذا الزمان حيث يكفي لأدائها بضع ساعات، وليس من شرط العمرة طول الإقامة بمكة؛ بل متى ما فرغت من أنساكها بالحلق أو التقصير فقد تمت عمرتك.

جعل الله أعمال الجميع خالصة لوجهه، وزادهم من جوده وفضله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

من حكم الصوم

الحمد لله الذي شرع الصيام، وجعله من أسباب مغفرة الآثام، ودخول الجنة دار السلام، لما فيه من الحكم والأحكام، والصلاة والسلام على النبي سيد الأنام، وعلى آله الأطهار وصحبه الكرام.

أما بعد:

فإن الله تعالى: ـ وهو العليم الحكيم ـ قد شرع الصيام لحِكم كثيرة منها:

الحكمة الأولى: أنه عبادة ضرورية للمكلفين في كل عام يترتب عليها منافع كثيرة لا غنى بهم عنها، ولهذا كان جنسه مشروعًا لجميع الأمم قبل هذه الأمة، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:183].

ففي ذكر قوله: ﴿كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، فائدتان:

أحدهما: بيان أهميته وكمال مصلحته وحاجة الأمم إليه.

الثانية: تخفيفه على النفوس، وأنه ليس تكليفًا محضًا فرض على هذه الأمة بل على جميع الأمم قبلنا.

الحكمة الثانية: أنه محصل للتقوى الشرعية، فهو وقاية من عذاب الله تعالى، وذلك من جوانب عدة منها: أنه يضيق مجاري الشيطان من البدن وبالتالي لا يتمكن من إغراء الناس بالشهوات المحرمة وإيقاعهم فيه، وكذلك النفوس الصائمة تترفع عن مفارقة الآثام حال الصيام، فإن من البديهي أن الذي ترك الحلال الطيب؛ تقربًا إلى الله تعالى من باب أولى أن يترك ما حرم الله عليه؛ طلبًا لثواب الله تعالى وحذرًا من عقابه.

الحكمة الثالثة: ما في الصيام من الوقاية الصحية، فإنه يذهب الأخلاط من البدن.

الحكمة الثالثة: وفيه وقاية خلقية، فإن الصائم يترفع عن مقابلة المسيء إليه بفاحش القول بالمثل بل يدع اللغو والرفث، وإن سابه أحد أو شاتمه أجابه: «**إني امرؤ صائم**»، وفي ذلك قطع لدابر الفتنة والشر.

الحكمة الرابعة: كما أن الصيام يمنع ملذات النفس وشهواتها المحرمة ما لا يمنع من سائر العبادات.

الحكمة الخامسة: والصوم سر بين العبد وبين ربه لا يظهر إلا له، فلذلك صار مختصًا به، فإنه لا يمتنع عن المفطرات حال الخلوة ـ مع التمكن منها ـ إلا مؤمن.

الحكمة السادسة: كلما قل الأكل ضعفت الشهوة، وكلما ضعفت الشهوة قلّت المعاصي، والجنايات على الآخرين، فكان الصوم وقاية من الإثم والظلم.

رزق الله الجميع حسن الصيام وطول القيام وغيرهما مما يوصل إلى رضوان الله تعالى وجنته وينجي من غضبه وعقوبته آمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

سنة الفطر فى رمضان

الحمد لله ذي الفضل والمنن، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي جاء بخير سنن.

أما بعد:

فإن من سنن الهدى ومعالم التوفيق والدلائل على بقاء الخير أن يكون المسلمون حريصين على لزوم سنة الرسول المصطفى ﷺ في دينهم عامة وفي صيامهم خاصة، **ومن ذلك أمور:**

الأول: تعجيل الفطر إذا تحقق غروب الشمس: فإن في ذلك إحياءً للسنة، وإظهارًا للدين، ومخالفة لسنة المغضوب عليهم والضالين، ودلالة على بقاء الخير في الأمة، لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»**.

وثبت أيضًا عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تزال أمتي على سنتي ما لم تنتظر بفطرها النجوم»**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لا يزال الدين ظاهرًا ما عجل الناس الفطر»**؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون.

وخرّج عبد الرزاق في مصنفه عن عمرو بن ميمونة رضي الله عنه قال: «كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس فطرًا...الخ».

الثاني: السحور في وقت السحر: لقول النبي ﷺ: «لا **يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور»**، وسماه النبي ﷺ: الغداء المبارك، وأخبر: **«إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»**.

الثالث: السحور والفطر على الرطب فإن لم يتيسر فعلى التمر: فكما كان من أخلاق النبوة تعجيل الفطر، فقد كان من هدي النبوة أيضًا الفطر على الرطب والتمر، فعن سليمان بن عامر الضبي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«نعم سحور المؤمن التمر»**، وقال ﷺ: **«إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإنه بركة فإن لم يجد تمرًا فالماء فإنه طهور»**.

فلم يرشد النبي ﷺ لهذين الأمرين: **«التمر والماء»** في الفطر إلا لما لهما من الخاصية والمناسبة الصحية وغيرها للصائم، فإن الشرع لا يرشد إلا لما مصلحته كاملة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مفسدته كاملة أو راجحة، وأعظم المصلحة ما يحصل للقلوب من الرقة والخير نتيجة اتباع السنة وترك اتباع الهوى والمألوف.

وإن كان قد جاء من اكتشافات العلم الحديث الآن أن التمر والماء أفضل إفطار للصائم لما له من الفوائد الطبية والصحية، إلا أن المسلم يكتفي بأنه يتبع السنة، فاللهم اجعلنا ممن يتبعون سنة نبيك بإحسان.

الرابع: الدعاء عند السحور والفطر: فإن دعوة المسلم الصائم مستجابة وخاصة عند هاتين السُّنَّتين العظيمتين، فيتخير من جوامع أدعية القرآن والسنة ما يناسب حاله وحاجته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما أعظم دعاء الصائم القائم

الحمد لله مجيب من دعاه، وهادي من استهداه، أحمده تبارك وتعالى وأخلص له الدعاء فلا معبود بحق سواه.

أما بعد:

فقد جاء الإرشاد الرباني الكريم لأهل الإيمان السائلين عن الرحمة في ثنايا آيات الصيام، إذ يقول الحق سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:186]، ولعل من فائدة ذلك إغراء الصائمين بدعاء الله تعالى في سائر الأوان، وخصوصًا في نهار الصيام وليله؛ فإن الصائم مبارك.

* ووقت الصوم مبارك، وقد قال ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر**»، وفي حديث آخر: «**ثلاث دعوات مستجابة**»، وذكر منها: «**دعوة الصائم**».

وفي حديث حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول إذا أفطر: «**ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله**»، وكان يقول: «**اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت**».

* والأدعية المأثورة الواردة في القرآن والسنة كلها مشتملة على التوجيه إلى طلب سَنِيِّ المراتب وجليل المطالب وأكمل الثناء، والعناية بالأولويات والمهمات، ففي الدعاء بها أخذ بأجمع الأدعية مع الأدب مع الله تعالى ومراعاة المناسبات، فينبغي حفظ ما تيسر منها، والدعاء به، مع الإخلاص لله تعالى وكمال التضرع والافتقار، والحذر من الغفلة التي يبتلى بها بعض الناس حيث ينشغلون بالمتاع الدنيوي عن الزاد الحقيقي، ومفاتيح خزائن الخير ومغاليق أبواب الشر، والفرصة الخيرة إذا سنحت كثرت العوارض دونها إلا لمن عُني بالمجاهدة لله تعالى فإنه فائز بهداية الله تعالى ومعيته.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

*****

تذكرة بشأن
القيام عامة ورمضان خاصة

الحمد لله المؤمن المهيمن، جعل القيام لذة وشرفًا للمؤمن، وأحد الخصال التي توجب لصاحبها الفوز بجنة الأبرار، والصلاة والسلام على النبي المختار، وآله وصحبه الكرام الأطهار.

أما بعد:

فإن قيام الليل من العبادات الجليلة، والنوافل العظيمة، وهو آية الصلاح، وسبب للفلاح ودأب الصالحين، ومن البشارات بحسن الخاتمة، والفوز بالأجر العظيم، والثواب الكريم، قال تعالى مثنيًا على صالحي أهل الكتاب من قبلنا: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:113-114]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان:64]، فكان جزاؤهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان:75-76].

وصح عن النبي ﷺ أن الله تبارك وتعالى قال: « **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟﴾ [السجدة:17].

ولما سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قومًا يقولون: والله لا نبالي إذا صمنا رمضان وصلينا المكتوبة ألا نقوم من الليل، فقالت: والذي نفسي بيده لا يسألهم الله إلا عما افترض عليهم، ولكنهم قوم يخطئون بالليل والنهار ـ تعني: أن قيام الليل من أسباب مغفرة الذنوب وتكفير الخطايا ـ، والله ما أنتم إلا من نبيكم ﷺ وما نبيكم إلا منكم، والله ما ترك رسول الله ﷺ قيام الليل.

فتلخص مما سبق جملة من فضائل قيام الليل، منها:

- أنه من آيات الصلاح، وأسباب الفلاح، وسبب لتكفير الخطايا، وسير على سنة محمد ﷺ والصالحين قبله، وسبب للنجاة من النار، والفوز بالجنة، وسبب للفوز بما أعده الله لأهل قيام الليل من النعيم المقيم والأجر العظيم.
- وقيام رمضان شعيرة دينية، وسنة نبوية، قال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»، والقيام يتحقق بصلاة التراويح وراء الأئمة في المساجد، ففيها خير كثير وأجر وفير، قال فيه النبي ﷺ: «**من قام مع الإمام حتى ينصرف ـ يعني يفرغ من صلاة التراويح ـ كتب له قيام ليلة**»، فبقيام نصف ساعة أو أكثر منه بقليل من كل ليلة يفوز المرء بقيام رمضان كله.

ومما ينبغي أن يغتنم في القيام طول الليل في الشتاء، فليحرص المسلم على أن يصلي في بيته ما كتب الله له من نافلة الليل قبل النوم وقبل السحور، فإن النبي ﷺ قال: «**إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة...**»، وقال: «**صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح فليوتر بواحدة**».

وصح أن النبي ﷺ صلى أول الليل وأوسطه وآخره، وانتهى وتره إلى السحر. ومن أوتر مع الإمام في المسجد ثم تيسر له أن يصلي بعده من الليل ما كتب له، فليكتفِ بالوتر الأول ولا يوتر مرة أخرى؛ لقوله ﷺ: «**لا وتران في ليلة**».

وصح أنه ﷺ صلى بعد الوتر ركعتين، ومع أن المغرب وتر النهار، فقد شرع الله تعالى بعدها ركعتين سنة راتبة كان النبي ﷺ يحافظ عليها في الحضر.

فاحرص أيها الأخ المسلم على قيام الليل وعلى الوتر، واحذر أن يغرك البطالون وأهل الكسل، فإنهم لم ينصحوا لأنفسهم حتى ينصحوا لك.

أسأل الله للجميع القبول للعمل ومغفرة التقصير والزلل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

حول قيام رمضان

الحمد لله الذي بلغنا رمضان، ويسر تلاوة القرآن، ونوع أعمال البر والإحسان، أحمده سبحانه إذ يسر القيام، وجعله من مدخلات الجنة دار السلام.

أما بعد:

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»، وصح أنه ﷺ خرج ليلة في جوف الليل في رمضان فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس، فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم فصلى ﷺ في الليلة الثانية، فصلى الناس معه، فأصبح الناس، فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلى، فصلى الناس بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله...إلخ، فهذا أصل صلاة قيام رمضان جماعة.

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**»، وقد جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان النبي ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة»، وقد ذكر جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ لما أحيا بالناس ليلة أنه صلى ثمانيَ ركعات، وأوتر ـ أي: بعد الشفع ـ، وهذا معنى حديث عائشة الثابت في الصحيحين.

وثبت في طرق صحيحة كما في الموطأ وغيره أن عمر رضي الله عنه حين جمع الناس على صلاة التراويح أمر أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يصليا بالناس إحدى عشرة ركعة، وكانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا أول الفجر للسحور.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**صلاة الليل مثنى، مثنى**»، فلم يحصر ذلك بعدد، فدلّ ذلك على السعة في الأمر وأنه إذا صلى إمامًا بجماعة فليقتصر على إحدى عشرة؛ أسوةً بفعله ﷺ وتخفيفًا على جماعته (إلا إذا كانت رغبتهم في طول القيام)، ومن صلى لنفسه ولم يرغب الإطالة خشية السآمة أو النوم أو رفقًا بنفسه فليعوض التطويل بزيادة عدد الركعات أخذًا بقوله ﷺ: «**صلاة الليل مثنى، مثنى**»، ويقول ﷺ: «**إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**».

فليصل المسلم صلاة الليل حسب طاقته، فمرة ـ مثلًا ـ إحدى عشرة ركعة، وأخرى تسع ركعات، وثالثة سبع ركعات، وإذا كسل أو شغل فثلاث ركعات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله الحنان المنان، الذي أكرمنا ببلوغ شهر رمضان، وأسبغ علينا فيه من الفضل والخير، وتوّج هذا الشهر بليلة القدر، ليلة خير من ألف شهر.

أما بعد:

فإن العشر الأواخر من رمضان خير من أوله وأوسطه، وفي كلٍ خير، فإن الله تعالى قد اختص هذه الليالي العشر بمزيد من الأجور الكثيرة والخيرات الوفيرة، والله تعالى عليم حكيم يضع الأمور مواضعها اللائقة بها، فلولا أن هذه الليالي العشر الأخيرة تستحق التفضيل ما فضلها، ونوه بفضلها.

ومما يبين فضل العشر الأواخر من رمضان أمور:

الأول: أن الله تعالى أقسم بها في قوله تعالى سبحانه: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:2]، والله تعالى لا يقسم إلا بعظيم ذي شأن، فإن في الإقسام بالشيء من المخلوقات دلالةً على فضله وشرفه، وتذكيرًا للعباد بعظم النعمة بإيجاده، وتنبيهًا لهم على أن ذلك الشيء من آيات التوحيد ودلائل القدرة، وأن على العباد أن يغتنموا ما يمكن اغتنامه منه في مرضاة الله تعالى ويشكروه على الإنعام به.

وهكذا فإن الإقسام بليالي العشر من رمضان تنبيهًا على فضلها وشرفها، وعظيم النعمة بها، وتذكيرًا للمخاطبين على كثرة بركتها وخيرها، وحثًا لهم على اغتنام لياليها بالتقرب إلى الله تعالى بما شرع فيها من الطاعات وجليل القربات، فإنها أفضل ليالي السنة على الإطلاق ـ كما أن أيام العشر من ذي الحجة أفضل أيام السنة على الإطلاق ـ، كما هو مذهب جمع من محققي أهل العلم.

الثاني: أن النبي ﷺ كان يخص تلك الليالي بمزيد من الاجتهاد ويوليها ما تستحق من العناية؛ إشهارًا لفضلها وحثًا للأمة على طلب فضائلها وبركاتها، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله، وفي صحيح مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان ـ تعني: النبي ﷺ ـ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرها.

وتواتر أن النبي ﷺ كان يعتكف تلك الليالي، فيلازم المسجد، فلا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان، فكان النبي ﷺ في هذا العشر يقطع الأشغال ويفرغ البال، ويشتغل بصالح الأعمال من صلاة وصدقة وتلاوة للقرآن وجود بأنواع الإحسان والذكر والدعاء استزادة من الخير والهدى. فتفرغ النبي ﷺ لها واعتكافه فيها من أكبر الأدلة على فضلها وشرفها .

الثالث: إن فيها ليلة القدر قطعًا؛ لقوله ﷺ: **«التمسوها في العشر الأواخر من رمضان»**، وقوله ﷺ: **«التمسوها في الوتر من العشر»**، وهذه الليلة ليلة شريفة عظيمة البركة ادخر الله فيها لهذه الأمة خيرًا كثيرًا . ويكفي نص الله عز وجل على أنها الليلة المباركة، كما قال سبحانه في تنزيل القرآن الذي هو أعظم كتب الله تعالى شأنًا وبركة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:1].

ومن أدلة فضلها وشرفها قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر:3]، وألف شهر تزيد على ثمانين سنة، فهي ليلة واحدة ولكن خير من ثمانين سنة خالية منها، وهذا يدل على فضل العمل فيها وكثرة ما يعطي الله تعالى من يقومها من الأجر العظيم والثواب الكريم، ومما يدل على فضلها، ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **«من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»**، ولأن يبذل المرء الدنيا كلها ـ لو ملكها ـ من أجل أن يتخلص من خطيئة واحدة من خطاياه لم يكن ذلك كثيرًا، فكيف وقائمُ تلك الليلة يُغفر له ما تقدم من ذنبه، وهي إحدى ليالي هذه العشر، فبقيامها يُغفر ذنبه دون أن يخسر شيئًا من ماله مع ما يحصل له من الخير الكثير والأجر الكبير والعتق من النار.

وقد أخفى الله تعالى هذه الليلة في العشر الأواخر ـ لما له سبحانه من الحكم ـ؛ ليعظم الاجتهاد في تحريها،

ويكثر العمل، ويضاعف الثواب، فإن العباد إذا قاموا كل ليلة من تلك الليالي راجين أن تكون ليلة القدر كان لهم عند الله تعالى ما احتسبوا، فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فيكون لهم ثواب عشر ليال على أن كل واحدة منها ليلة القدر.

والصحيح أن تلك الليلة تنتقل في ليالي العشر، فتكون مثلًا في سنة ليلة ثلاث وعشرين، وفي أخرى ليلة سبع وعشرين وفي ثالثة ليلة تسع وعشرين، وقد تكون أول ليلة في العشر، وقد تكون آخر ليلة في العشر؛ لأن النبي ﷺ حث الأمة على التماسها في جميع ليالي العشر، وما ورد في الأحاديث الشريفة بتحديدها في ليلة معينة، فالمراد من تلك السنة التي أخبر النبي ﷺ إنها فيها بعينها؛ لأنه جاءت الأخبار عنها من طريق الوحي، والوحي انقطع بموت النبي ﷺ.

الرابع: إجماع المسلمين ـ علمائهم وعامتهم مستندين إلى نصوص الكتاب والسنة ـ على فضل تلك الليالي وشأن العمل الصالح فيها، والأمة لا تجتمع إلا على الحق، فإنها معصومة من أن تجتمع على ضلالة، والخير كله في الاقتداء بالسلف الصالح واتباع سبيل المؤمنين، والشر كله في مشاقة الله ورسوله واتباع غير سبيل المؤمنين.

* والمقصود أنه ينبغي للمسلم الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان بأنواع الأعمال الصالحة؛ اغتنامًا لفضلها وطلبًا لبركتها والتماسًا لليلة القدر فيها، وأخذًا بسنة النبي ﷺ الذي مات وهو عليها، فيحيي سنة قيامها واعتكاف أيامها، وليكون ممن يحيون السنن ويسابقون إلى الخيرات وأسباب المغفرة والجنات، وليبرأ من حال أهل السآمة والكسل الذين ينشطون أول الشهر ويفرطون في موسم العشر.

نسأل الله تعالى أن يجيرنا من تلك الحال، وأن يلحقنا بالسلف الصالح فيما كانوا عليه من الهدى والدين، وأن يجمعنا بهم في منازل المقربين، آمين .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

*****

مهمات في الاعتكاف

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الاعتكاف: هو لزوم مسجدٍ ليلةً أو يومًا فأكثر، قطعًا للعلائق عن الخلائق لله اشتغالًا بعبادة الخالق، فهو لزوم المسجد للعبادة.

* وهو مشروع في كل وقت؛ لما ثبت أن عمر رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: إني كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال ﷺ: «**فأوفِ بنذرك فاعتكف عمر ليلة**» أخرجه البخاري، وأخرج الطبراني بإسناد حسن أن النبي ﷺ قال: «**من اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله تعالى، جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق، كل خندق أبعد مما بين الخافقين**».
* والاعتكاف في رمضان أفضل، وهو الذي لازمه النبي ﷺ حتى توفاه الله؛ كما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام...الخ»، وأفضله العشر الأواخر من رمضان، لمواظبة النبي ﷺ، وتأكيده ﷺ في الأحاديث الصحيحة المتواترة.
* والسنة أن يكون الاعتكاف في المسجد الجامع حتى لا يخرج المعتكف من المسجد الذي اعتكف فيه، وأن يكون حال الاعتكاف صائمًا في النهار، وأن لا يخرج إلا لما لابد منه من حاجة الإنسان اليومية، إما لأكل أو لقضاء حاجة، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «السنة في المعتكِف أن لا يخرج إلا لحاجته التي لابد منها، ولا يعود مريضًا ولا يمس امرأته، ولا اعتكاف إلا في المسجد جماعة، والسنة فيمن يعتكف أن يصوم»، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن عائشة، وروي معناه عن ابن عباس وابن عمر.
* وللمعتكِف أن يضع له فراشًا في المسجد ينام عليه وقت النوم حال اعتكافه؛ لما روي عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان إذا اعتكف طُرح له فراش أو يوضع له سرير وراء أسطوانة التوبة.
* وبكل حال فالمقصود من الاعتكاف مزيد من الاجتهاد في العبادة من صلاة وتلاوة قرآن ودعاء وذكر، فينبغي للمعتكف أن يشتغل بما انقطع له من العبادة، وأن لا يجعل معتكفه منتدى للأصحاب والسُّمار، فإن ذلك خلاف السنة وخلاف مقصود الاعتكاف.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

زكاة الفطـــر

الحمد لله الرب العظيم، الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد المخبر بأن الأعمال بالخواتيم.

أما بعد:

فقد فرض الله تعالى على لسان عبده ورسوله ﷺ المُبَلِّغ عن الله دينه إلى عباده زكاة الفطر على كل مسلم يدرك عيد الفطر، فرضها الله تعالى على الكبير والصغير، الذكر والأنثى، الحر والعبد، المسافر والمقيم، الصحيح والمريض، الغني والفقير، الذي يجد صاعًا من طعام فاضلًا عن حاجته وحاجة من ينفق عليه يوم العيد.

فقد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما قالا: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر.

وفيها عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «**كنا نعطيها - يعني: زكاة الفطر - صاعًا من طعام، قال: وكان طعامنا الشعير والزبيب والإقط والتمر**»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير، من المسلمين.

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يخرجها عن الحمل قبل ولادته، وأمر بها النبي ﷺ أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة - يعني: العيد -، وقد رُوي عن غير واحد من السلف أن المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:14]، تقديم زكاة الفطر قبل صلاة العيد.

وقد شرع الله تعالى هذه الزكاة وفرضها؛ تكميلًا للصيام، وجبرًا لما قد ينقصه من اللغو والآثام، وتطهيرًا للصوام وتنمية للعمل، وشكرًا لله عز وجل، ومواساةً للفقراء والمساكين، وإغناءً لهم عن ذل السؤال والحاجة يوم العيد؛ ليشاركوا إخوانهم الأغنياء أفراحهم، ولأنها من أسباب إشاعة المحبة وإظهار الفرح بالعيد، وهو شعيرة من شعائر الإسلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين**».

والمقدار الواجب صاع بصاع النبي ﷺ، ومقداره أربع حفنات يكفي - الرجل المتوسط خلقة اليدين - من البر الجيد، ويقدر بكيلوين ونصف أو يزيد قليلًا ليكمل ثلاثة كيلوات، وتخرج من طعام البلد، فإذا كان طعامهم البر تخرج منه، وإن كان طعامهم الذرة تخرج منه، وإن كان طعامهم الدخن تخرج منه، وهكذا تخرج من الطعام الذي يقتاته أهل البلد حتى تتحقق المواساة للفقراء بتوفير طعام لهم يوم العيد يشاركون فيه إخوانهم الأغنياء سرورهم بالعيد وغبطتهم فيه.

فليخرج المسلم صدقته طيبة بها نفسه من أطيب طعامه أو أوسطه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران:92].

ووقت إخراجها الواجب ليلة العيد إذا ثبت برؤية الشهر أو إتمام رمضان ثلاثين يومًا، وأفضل وقت لإخراجها بعد صلاة الفجر يوم العيد وقبل صلاة العيد. ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين، المهم أن يتسلمها الفقير والمسكين قبل صلاة العيد سواء سلمها المتصدق للفقير نفسه أو بواسطة وكيل له، فإن تأخر إيصالها إلى الفقير عن صلاة العيد أثم المتصدق إن كان مفرطًا وإن كان غير مفرط فلا شيء عليه، ويخرجها.

وزكاة الفطر ينبغي أن تخرج طعامًا لا نقودًا؛ لأن النبي ﷺ أخرجها طعامًا ولم يدفع قيمتها، وكانت قيمة الطعام موجودة في زمانه ﷺ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنهم أخرجوا قيمة زكاة الفطر، فلو كان إخراج القيمة أهدى لسبقونا إليه، فإن الخير والهدى في اتباعهم، والشر والشؤم في مخالفتهم في جميع أمور الدين.

إضافة إلى أن إخراج القيمة يؤدي إلى خفاء تلك الشعيرة العظيمة من شعائر الدين وجهل المسلمين بأحكامها، ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: لا يعطي القيمة، قالوا: إن عمر بن عبدالعزيز كان يأخذ القيمة. قال أحمد: يَدَعُون قول رسول الله ﷺ ويقولون قال فلان، وقد قال ابن عمر: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا...الخ.

ومما ينبغي أن يخرج المسلم زكاة الفطر في بلد إقامته؛ ليواسي بها الفقراء المجاورين له، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يعطي زكاة الفطر من يقبلها ـ وهو العامل الذي يكلف بتلقي صدقات الناس ـ.

ولم يثبت عن النبي ﷺ أنهم كانوا ينقلون زكاة الفطر من البلد إلى بلد كما تنقل زكاة المال من البلدان إلى بيت المال، وذلك يدل على أن الأحوط للمسلم أن يصرف زكاة فطره في بلده الذي هو مقيم فيه، فإن ذلك أظهر لهذه الشعيرة وأبعد عن التكلف، وأحوط لبراءة الذمة؛ لأن إرسالها إلى الأمصار يؤدي إلى تأخرها وإخراج القيمة بدلًا عنها وذلك لا يجوز، وقد قال ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»، وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**».

اللهم يسر لنا اتباع سنة نبينا محمد ﷺ، وبارك لنا فيما رزقتنا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين.

*****

مع أفراح العيـــد

الحمد لله رب العالمين، ذلك الفضل العظيم، والكرم الواسع العظيم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله النبي الكريم، والشافع العظيم، وعلى آله وأصحابه، الذين اغتبطوا بالإسلام فسبقوا إليه، وأحسنوا في تبليغه للأنام.

أما بعد:

فيعيش المسلمون في شتى أصقاع الدنيا أفراح عيد الفطر المبارك وحق لعبدٍ منّ الله تعالى عليه بإكمال عدة الصيام، ووفقه لتحقيق القيام، وجعله من أهل الإحسان، ويسر له جملة من خصال الإيمان، وفاز بليلة القدر، وأدى زكاة الفطر، ولهج بصالح الدعوات، وذكر الله تعالى في سائر الأوقات، وكبّر الله وحمده وهلله ليلة العيد، وصلى صلاته، وهي أعظم شعيرة لله على العبيد أن يفرح بهذا العيد، وأن يلهج لله تعالى بالثناء والدعاء والشكر بأنواع الذكر والتحميد.

حق لعبدٍ هذا شأنه أن يفرح وأن يظهر الفرح في يوم العيد؛ لأن إظهار ذلك من الشعائر، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:58]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«للصائم فرحتان: فرحة عنده فطره، وفرحة عند لقاء ربه».**

فيوم العيد هو يوم الفطر الأعظم، فإن إظهار الفطر فيه من الشعائر التعبدية التي يجب أن تظهر، وأن تعظم، والصوم فيه محرم بكل حالٍ، والواجب تعظيم شعائر الملة وحرمات الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج:30]، وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج:32].

فإظهار الفطر والفرح بالعيد من تعظيم شعائر الله، وإخفاء ذلك أو مناقضته من أعظم المحرمات عند الله.

* ولكن هاهنا أمر تجب مراعاته من كل مسلم مؤمن بالله واليوم الآخر، وهو أن رخص الله تعالى ينبغي أن تقبل وتستعمل على نحو ما شرع، وألا يتذرع بها ويتوسل بها إلى شيء من المخالفات والبدع، فلا يجوز أن تتخذ الرخصة سُلَّمًا إلى المعصية، ولا يحل لعاقل أن يتظاهر بعد التنسك لله بالتمرد عليه بالعود إلى المعصية، فيكون كما وصف الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [النحل:92]، فيبارز ربه ـ الذي طالما أنعم عليه ولطف به ـ يوم العيد وما بعده من الأيام بالعصيان، وأنواع الإثم والطغيان، فيكون من المتمردين على جبار السماوات والأرض متشبهًا بإبليس اللعين الذي تمرد بعد النسك، فأبلس من كل خير وخسر وهلك، كأولئك الذين يجاهرون يوم العيد وما بعده بترك فرائض الصلوات، ويبارزون الله تعالى بمنكرات الأصوات وشر الحالات، والكلُّ غدًا بين يدي الله موقوفون، وبأعمالهم مجزيون، وعلى تفريطهم نادمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ ﴾ [آل عمران:30].

* وكم من ظالمٍ يعضّ ـ حينئذ ـ أصابع الندم على ما اقترف من الإثم، ويكون كما وصف الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:29]، فليحذر العاقل أن يكون من هذا الصنف المذموم الملوم.

* وحقيقة ناصعة لا ينبغي أن تغيب عن البال، وهي أن شهر رمضان بما شرع الله فيه من جلائل الطاعات وأنواع القربات بمثابة دورة تدريبية، يتكثف فيها العمل وتتضاعف فيه المثوبة حتى يعتاد المسلم الخير ويتحلى بالاستقامة ويتأهل للحسنى، بحيث يفترض أن يكون العمل الصالح سجية للمسلم؛ لأنه طالما اعتاده وألفه وأحبه، لإيمانه بحسن عاقبته وعظم مثوبته وشؤم مخالفته؛ ولاسيما وهو في كل يوم في اقتراب من أجله وبعد من أمله وأحرى بلقاء ربه، والأعمال بالخواتيم، ومن بورك له في شيء فيلزمه،

فإذا كان ما يبنى في شهر يهدم في لحظات، ولا فرق عند الشخص بين مراضي الله ومساخطه، كان ذلك انفصامًا في الشخصية وأمارة سوء السرية والنية، وفسادًا في المقاييس، وانقلابًا في الموازين، وأمارة على الخسران، ومن كان بهذه المثابة، فإنه لا يحسد على حاله فكيف يقر على عمله فضلًا عن أن يُقتدى به.

فاللهم غفرًا وسترًا، واجعلنا من أئمة المتقين لا من الهداة إلى النار يا ستير يا غفار.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تذكرة في قضاء الصوم

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خِلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد الذي كان عبدًا شكورًا.

أما بعد:

فمن أفطر يومًا أو أكثر من رمضان ـ لعذر ـ يشرع له القضاء وجوبًا مع القدرة؛ وأن عليه أن يقضي بعدد الأيام التي أفطرها؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:184].

* والمبادرة إلى القضاء بعد رمضان أولى لما في التعجيل من الإسراع ببراءة الذمة والخروج من العهدة، والدلالة على حب الخير، والمسارعة إليه، وقد قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:184]، وقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:61].

* فإن أخر القضاء بعد رمضان بعدة أشهر جاز ذلك إلى شعبان من العام؛ سواء كان التأخير لعذر أو لغير عذر؛ لما ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يكون عليّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان»، وهذا من تيسير الله سبحانه على عباده في القضاء.

* ويجوز القضاء مفرقًا، فلا يشترط أن يصوم أيامًا متتابعة إلا إذا خشي دخول رمضان الثاني، وهو لم يقض ما عليه من الصيام، فإن شاء الصائم قضى الأيام متتابعة، وإن شاء قضاها متفرقة؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:184]، فلم يشرع القضاء متتابعًا، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (في القضاء) لا بأس به أن يفرق، ولم يصح (فيما أعلم) دليل على وجوب التتابع.

ومن مات وعليه صيام من رمضان لم يقضه مع تمكنه من القضاء صام عنه وليه أو غيره، وقال جماعة من أهل العلم منهم الإمام أحمد رحمه الله لا يصام عنه، ولكن يطعم عنه عن كل يوم مسكينًا.

* أما إذا كان الصيام الذي في الذمة صيام نذر، فينبغي لولي الميت وغيره أن يحتسبوا في قضائه عنه، ولو صام عدة أشخاص في يوم واحد عدد الأيام الواجبة على الميت أجزأ ذلك.

ويدل على مشروعية قضاء صيام النذر عن الميت قوله ﷺ: «**من مات وعليه صوم صام عنه وليّه**»، وحديث الرجل الذي قال للنبي ﷺ: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ قال: «**نعم، فدين الله أحق أن يقضى**».

وقال الإمام أحمد: «لا يُصام عن الميت إلا النذر، قال أبوداود: فقلت لأحمد: فشهر رمضان؟ قال: يطعم عنه».

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

*****

فى فضل صوم يوم عاشوراء

الحمد لله الذي يحب الشاكرين، ويزيد المحسنين ويتوب على التائبين، فيغفر ذنوب المذنبين، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله نبينا محمد داعي الهدى وإمام أهل التقى، وعلى آله وأصحابه أولي الأحلام والنهى.

أما بعد:

فإن الصيام عبادة جليلة، وقربة عظيمة، قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة:١٨٤]، ولقد صحت فيه الأحاديث عن النبي ﷺ بأن الله تعالى اختصه من بين سائر العبادات لنفسه، فقال: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»، وأنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، فيشفعه الله فيه، وبأن الصوّام يدعون من باب في الجنة يقال له: (الريان) لا يدخل منه سواهم، إلى غير ذلك مما جاء من الأحاديث في فضله في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة، فكيف إذا وقع الصيام في شهر الله المحرم الذي صومه أفضل الصوم بعد رمضان؟!

وقد جاء في فضل صوم يوم عاشوراء أحاديث صحيحة تبين فضله، **وفيما يلي ذكر جملة من تلك الفضائل:**

الأولى: أن صومه يقع في شهر الله المحرم الذي صومه أفضل الصيام بعد رمضان، قال ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم**».

الثانية: أن صومه من شكر الله تعالى، فإن موسى عليه السلام صامه شكرًا لله عزَّ وجلَّ على نصرة الحق وأهله، وخذلانه للباطل وأهله، والله تعالى يحب الشاكرين، ومن شكر الله حفظ عليه نعمه وزاده.

الثالثة: أن صومه من اتباع رسل الله عليهم الصلاة والسلام والسير على هديهم وسننهم، وقد قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:90]، وقال سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:21]، وقال ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»، وحشر معهم يوم القيامة، ولذا قال ﷺ لليهود: «**نحن أحق بموسى منكم**»، فصام ﷺ عاشوراء اتباعًا لموسى عليه الصلاة والسلام، وأمر بصيامه.

الرابعة: أن صومه يكفر الله به السنة الماضية، ولا يخفى ما في ذلك من الخير الكثير، فقد سُئل النبي ﷺ عن صيام عاشوراء، فقال: «**أحتسب على الله أن يكفر السنة الماضية**».

الخامسة: أن في صومه إظهارًا للسنة في يوم يظهر فيه أهل الباطل خلافها، «**ومن سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ومن عمل بها إلى يوم الدين**»، ومن أصول أهل السنة والجماعة العناية بإظهار السنن إذا أظهر أهل الأهواء مخالفتها.

فلهذه الفضائل وغيرها كان النبي ﷺ يصومه ويرغب الناس بصيامه.

لكن شرع ﷺ مخالفة اليهود في صيامه، فقال: «**صوموا يومًا قبله أو يومًا بعده**»، وصح عنه ﷺ أنه قال: «**لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع**»، يعني: مع العاشر.

فينبغي لك أخي المسلم أن تبادر إلى صيامه، إن تيسر لك؛ رغبةً في فضائله، وطمعًا في جزيل مثوبته.

وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه، وجعلنا ممن يظهر بهم دينه وسنة نبيه ﷺ آمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

مواصلة صالح العمل بعد رمضان

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد عبده ورسوله ومصطفاه، وآله وصحبه من المتبعين له على هداه.

أما بعد:

فقد جعل الله تعالى ـ وله الفضل والمنة ـ شهر رمضان المبارك بمثابة دورة تدريبية مليئة بأنواع من العبادات العملية والخلقية القاصرة على النفس والمتعدية إلى الناس، **وهذه الدورة ذات جوانب:**

الجانب الأول: الالتزام بالأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة ـ خصوصًا في النهار ـ وعلى امتداد الشهر: فإن المسلم يتحلى بالصيام، فيقوى إيمانه فيحافظ على فريضة الصلاة حيث أمر الله تعالى بها، وذلك لعلم المسلم أن الصلاة أعظم عند الله تعالى من الصيام؛ لأن الصلاة مفروضة في كل الليالي والأيام، والصوم مرة في العام، ولأنها شرط النظر في العمل يوم القيامة وشرط من شروط قبوله، فإنها أول ما ينظر من العمل فإن وجدت نُظر في سائر العمل، وإن لم توجد لم ينظر فيه، ومن جهة أخرى، فإن تركها كفر لدى جماعة من أئمة الإسلام، ومن كفر لا يقبل منه صوم ولا غيره.

وكذلك فإن المسلم يتحلى بالجود والكرم رجاء أن يجود الله تعالى عليه بالعفو والمغفرة وجزيل المثوبة، فيؤدي الزكاة الواجبة ويكملها بالصدقة النافلة، وينفق على أهله وغيرهم نفقات طيبة، والله تعالى قد وعد أهل الصلاة والزكاة والطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ بالرحمة، فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور:56]، وقال في آية أخرى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة:71].

والعاقل يعلم أنه محتاج إلى رحمة الله تعالى وعفوه، بل إنه يدخر رحمة الله الخاصة لوقت الشدة إذا ألمت به حاجة أو حضره الموت وفي القبر ويوم الحشر، ولغير ذلك من الأحوال الحرجة والمواقف الضيقة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

ومن تعرف على الله بطاعته حال الرخاء تولاه الله بعنايته ولطفه عند الشدة والبلاء، قال الله تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ﴾ [الصافات:143-145].

الجانب الثاني: الجانب الخلقي: حيث يعوِّد الصيامُ الصائمَ الصبر والحلم والعفو والصفح، فلا يرفث ولا يصخب ولا يقابل السيئة بمثلها، بل يرد على من سابه أو خاصمه بقوله: **«إني امرؤ صائم»**.

فكل هذه العبادات الجليلة والإحسان المتواصل والأخلاق الحميدة وغير ذلك من شرائع الإسلام جنسها موجود طول العام، والحاجة داعية إليها في حق الخاص والعام، وإنما رمضان بمثابة دورة مكثفة تمارس فيها تلك الأعمال والأخلاق؛ لتزداد رسوخًا في النفوس وتصلح بها القلوب وتنتفع بها المجتمعات وتعظم بها الأجور لوقوعها في زمن فاضل يضاعف فيه العمل والثواب، ويجبر بها المرء مصابه في نقص عمره وقرب أوان انقطاع عمله ونزوله قبره؛ ليمهد لرمسه قبل نزع نفسه، فإن عمر الإنسان في عد تنازلي بحسب مضي اللحظات والأيام وتوالي تصرم الشهور والأعوام.

فمن أدرك ذلك وتصوره علم أنه بعد رمضان بأمس الحاجة إلى مواصلة العمل والتخلص من الآثام والزلل؛ لأنه على قدر بعده من ذلك الشهر يدنو من القبر، ولهذا نصح الله تعالى الجميع بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء:136]، أي: دوموا على خصال الإسلام وحقائق الإيمان حتى تلقوا الرحمن، وبقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:99].

والمقصود بالعبادة: الطاعة بفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور حتى يأتي اليقين وهو الموت الذي قد استيقن الجميع أمره وآمن المؤمن بما بعده.

الجانب الثالث: عبادة خصوصية ليالية، وهو القيام في العشر الأواخر أول الليل وآخره، والاعتكاف لمن تيسر له دون تفريط في مسؤولية، فقيام أول الليل وآخره في العشر الأواخر دورة خصوصية مكثفة حتى يتحقق

بها الانقطاع إلى الله عز وجل في ضراعة وتبتل، طلبًا للعتق من النار والفوز بجنات تجري من تحتها الأنهار في معية المصطفَين الأخيار، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا...إلى قوله تعالى: أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:64-75]، والغرفة: هي الجنة ففازوا بالنجاة من النار، وسكنى الجنة دار الأبرار بما صبروا.

ومن ضعف في قيام العشر الأواخر فقد نقص صبره، ومن هجره فقد نفذ صبره، وإنما ينال أطيب العيش في الدنيا والآخرة بالصبر، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فلا إيمان لمن لا صبر له.

ومن عاش هذا الشهر الكريم بجليل أعماله، وعظيم خصاله المثمرة لصلاح القلوب وصفاء السرائر ونور البصائر، والأنس بمناجاة الله تعالى، والتلذذ بذكره طمعًا في فضله ورحمته، وحذرًا من غضبه وعقوبته ؛ من عاش هذا الشهر الكريم بهذه المعاني والقيم والأعمال والابتهال ثم نكص على عقبيه بعده، فهجر المساجد وانقطع باب عمله من السماء من دخول أعمال صالحة منه فقد نقض غزله بعد قوة أنكاثًا، وبرهن من واقع أمره وآخر عمله براهين يقينية على أنه لا يصلح لمرافقة محمد ﷺ والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بما وعدهم الله به في قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:100]؛ لأنه انقطع في عرض الطريق وارتضى غير سبيلهم لما تخلى عنه التوفيق.

فالعبرة ـ أخي المسلم ـ بالخواتيم، وآخر سجل الموظف له أثره في تقويم أدائه، وما يترتب عليه نهاية خدمته، وللناس نصائح لبعضهم في البحث على المربح من أمور الدنيا، والنصح في أسباب الفلاح في الآخرة أولى؛ لأن خسران الآخرة هو الخسران المبين.

رزقني الله وإياكم الثبات على العمل والإيمان، وجعل حظنا في خاتمتنا الإحسان، وجمعنا مع نبيه في الجنان، إنه هو الحنان المنان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين.

*****

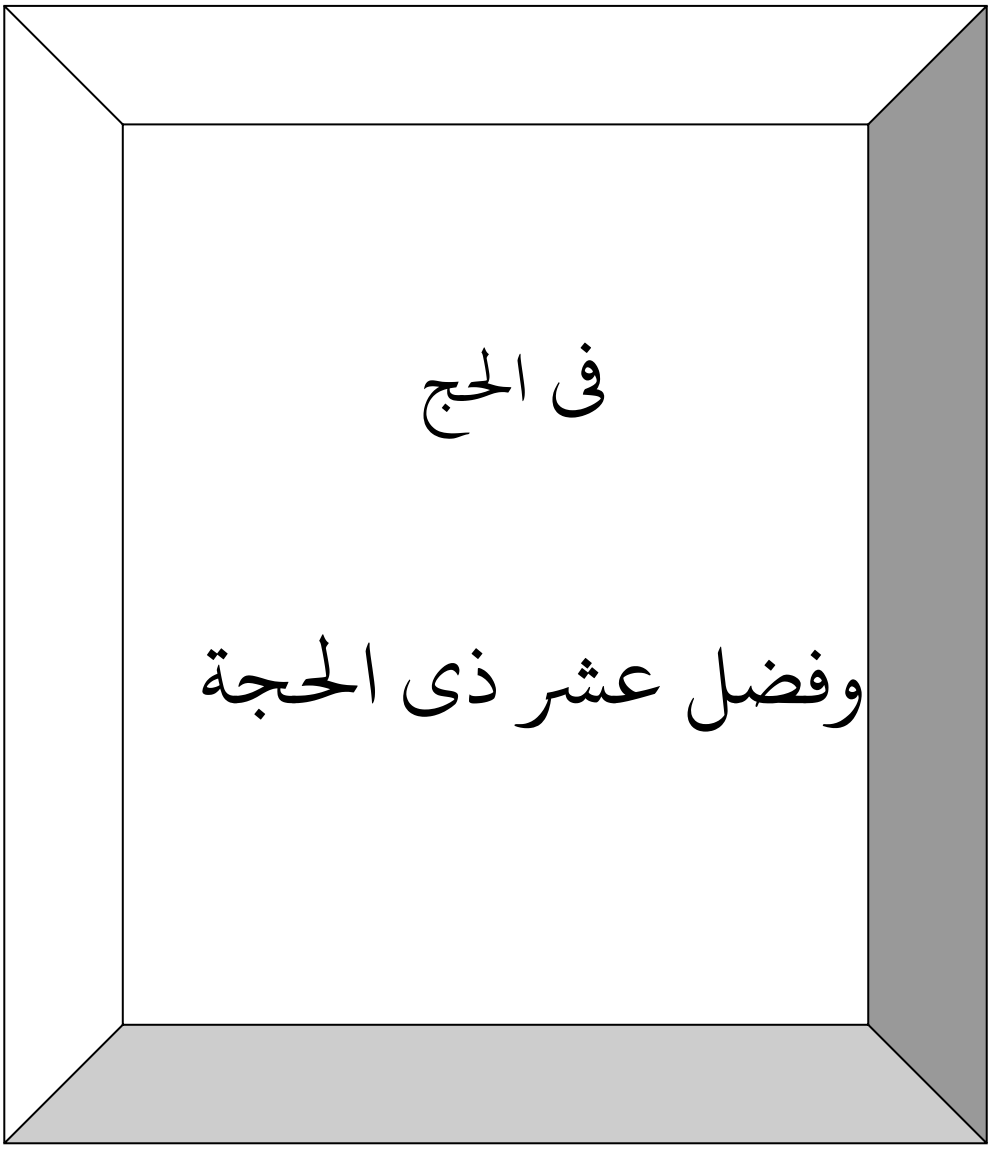
فى الحج
وفضل عشر ذى الحجة

فضل الأيام المعلومات وما ينبغي فيها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من فضل الله تعالى على عباده، أن خصّ بعض الأيام بمزيد فضل على بقيتها؛ **ولعل من حكمة ذلك:**

1- أن يتجدد النشاط في العبادة.

2- وأن يتبين فضل العمل المرغوب فيه.

3- وأن يتميز أهل المسارعة في الخيرات من غيرهم؛ لتتجلى حكمة الله تعالى في الجزاء بالفضل لذوي الفضل، والعدل في أهل الغفلة والكسل.

فمن تلك الأيام المخصوصة بمزيد تفضيل الأيام المعلومات من ذي الحجة. **وفيما يلي ذكر مهمات مما يتعلق بها:**

أولًا: منزلتها وفضل العمل فيها:

فالأيام المعلومات: هي الأيام العشر الأول من ذي الحجة، ذلكم الشهر العظيم، فإنها أيام مباركة وموسم يتنافس فيه الطامعون بالتجارة الرابحة.

فقد ذكر جماعة من أهل العلم ـ رحمة الله تعالى عليهم ـ أنها أفضل أيام السنة على الإطلاق، كما أن ليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل ليالي السنة على الإطلاق.

وحسبك بأيام منها يوم عرفة ويوم النحر التي يشترك في خصائصها الكريمة وبعض عباداتها الجليلة المسلمون عامة الحجاج وأهل الأمصار، وذلك من فضل الله تعالى على عباده، والله ذو الفضل العظيم.

فهذه الأيام العشر هي المعنية بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج:28]، وقوله ﷺ: **«ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه العشر»**، قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟، قال: **«ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه فسأله ثم لم يرجع في ذلك بشيء»**.

وفيه دلالة واضحة على عظم شأن العمل الصالح، وكثرة ثوابه في هذه الأيام؛ ولأن العمل الفاضل إذا صادف الزمان الفاضل، تضاعف ثوابه كثيرًا ولاسيما ما خص الله تعالى به تلك الأيام من عمل خاص بها دون غيرها، فإنها تكون أعظم شأنًا وأكثر ثوابًا. وتحقيقه وتحسينه من تعظيم حرمات الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:30]، ومن تعظيم شعائره﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:32].

ثانيًا: الأعمال المشروعة في هذه الأيام:

1- **توقي المعاصي والآثام فيها؛** خشية الله تعالى، وحذرًا من عظم العقوبة على الذنب فيها؛ لأن من أسباب عظم العقوبة ارتكاب الذنب عمدًا في الزمن الفاضل أو المكان الفاضل، فتوقي الذنب من تعظيم حرمات الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:30]، ومن ترك شيئًا لله تعالى عوضه خيرًا منه، وإنما هو جهاد الشيطان والهوى والنفس لحظة واحدة هي لحظة الهم بالمعصية، فمن جاهد عدوه وهواه لله تعالى في تلك اللحظة، نصره الله تعالى وأثابه.

2- **التوبة إلى الله تعالى من الذنوب،** بترك المعصية لله تعالى، والندم على اقترافها، والعزم على ألا يعود إليها، ويصلح العمل فيما يستقبل من أيامه إن أعطاه الله عمرًا أو يرد المظالم إلى أهلها أو يستحلهم منها ما أمكن، والله تعالى يحب التوابين ويفرح بتوبتهم ويقبلها منهم، يقول تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ

ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ ﴾ [المائدة:39]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات:11].

ومن صفة المؤمنين الموعودين بالمغفرة والجنة ما أشار الله تعالى إليه بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران:135].

3- **الإكثار من ذكر الله تعالى في تلك الأيام؛** لقوله تعالى:﴿لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ ﴾ [الحج:34]، وقوله ﷺ: «**فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل**».

4- **صيام ما تيسر منها؛** فإن الصيام من جليل العمل الصالح الذي يحبه الله تعالى واختصه لنفسه، ووعد بالجزاء عليه من غير حصر ولا عدد، بل جزاء يليق بمنزلة هذه العبادة عنده ويليق بجوده وكرمه، وخصوصًا صيام يوم عرفة لغير الحجاج، فقد صح الحديث فيه أنه: «**يكفر السنة الماضية والباقية**».

5- **السعي للحج لمن تيسر له،** والتزود له بما يلزم من طيب النفقة واستكمال جميع الأسباب التي تتحقق بها الاستطاعة، ويتمكن بواسطتها من أداء الحج على الوجه الشرعي، ومن ذلك التقدم قبل يوم عرفة، بما تيسر من الأيام لإيقاع عمرة التمتع والقران قبل يوم عرفة، والنظر في أمر السكن ووسيلة التنقل والصلاة في البلد الحرام؛ طمعًا في ثواب الصلاة فيه إلى غير ذلك من فوائد التقدم وهي كثيرة.

6- **العناية بأمر الهدي والأضحية** واختيار الأفضل فيها، فإنه مع التبكير بشأنها يمكن حسن الاختيار ويعظم ثواب الانتظار.

7- **كثرة التلبية من الحجاج والتكبير المطلق والمقيد في حق غيرهم** بما في ذلك الأمصار، فإن هذه العبادات من الشعائر الدينية وجليل الأذكار الشرعية.

ثالثًا: القيام بأعمال يوم النحر من عامة المسلمين:

أ- فالحجاج يرمون جمرة العقبة، وينحرون هديهم ويحلقون ويطوفون لتكميل مناسكهم في ذلك اليوم.

ب- وأهل الأمصار يصلون العيد، ويذبحون الأضاحي، ويتواصلون ويذكرون الله تعالى.

وهكذا فهذا اليوم أعظم أيام الحج شأنًا وأجلها عملًا لدى الحجاج وأهل الأمصار، بل هو يوم الحج الأكبر ويوم الجوائز، فهنيئًا لمن حقق تلك الأعمال، وأخلص فيها لذي الكرم والجلال، وأحسن الاقتداء بالنبي ﷺ واجتنب موجبات الإثم ومنقصات ثواب العمل.

وفق الله الجميع لجليل الأرباح وأسباب الصلاح وموجبات الفلاح.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المقصود بالحج

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن **الحج: لغة:** القصد إلى معظَّم.

وشرعًا: هو قصد البيت الحرام والمشاعر العظام ـ في أشهر الحج ـ لأداء مناسك الحج على وجه التعبد لله تعالى والاتباع للسنن المأثورة عن النبي ﷺ.

أما العمرة: فهي **لغةً**: الزيارة.

وشرعًا: زيارة بيت الله الحرام، لأداء النسك الخاص بالعمرة، تقرُّبًا لله تعالى وعملًا بالسنة.

فمن هذا التعريف نستنتج الفوائد التالية:

الأولى: أن تعظيم المناسك والمشاعر مما يتعبد لله تعالى به، فلابد أن يكون على وفق الشرع لا بالأهواء ولا بالبدع، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[الحج:30]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج:32].

الثانية: أن القصد من الحج طاعة الله تعالى والإخلاص له وشهود منافع الحج، وهذه لا تُنال على وجه التمام والكمال في الدنيا والآخرة إلا إذا تجرد إخلاص العبد فيها لله تعالى، فلا يطلب بِحَجِّهِ مباهاة، ولا لقبًا، ولا غير ذلك من أعراض الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:5]، وقال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾ [الزمر:2،3].

الثالثة: أن للحج طريقةً بيّنها النبي ﷺ بقوله وفعله، وقال للناس: **«خذوا عني مناسككم»،** فلابد من تحري سنة النبي ﷺ، وهي طريقته في حجه، فمن تعمّد مخالفة السنة أو لم يرفع بها رأسًا، فإنه يخشى أن يرد عمله عليه؛ لقوله ﷺ: **«ومن رغب عن سنتي فليس مني»**.

الرابعة: أن للحج مناسك محددة، ومشاعر معظمة، فلا بد من إيقاع كل نسك في وقته وصفته ومشعره الذي حدده النبي ﷺ، فلا يتجاوز به موضعه، ويؤدى في غير زمانه.

وكذلك العمرة لها مناسك شرعها الله تعالى، وبينها النبي ﷺ بوجوه بيانه كما كان من أمر الحج، فلا ينال الثواب والمنافع المرتبة عليهما إلا بأدائهما على وفق الشرع المطهر خالِصَيْنِ لله تعالى، صوابًا على سنة نبيه الذي اصطفى، وأرسله بالدين والهدى.

فاحرص ـ أخي المسلم ـ على الفقه في الدين عامة وفي مناسكك خاصة، وطيب النفقة واصطفي الرفقة التي تذكرك بالسنن وتعينك على خير سنن.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

وجوب الحج ومنزلته من الدين

الحمد لله الذي فرض على المستطيع من عباده حج بيته الحرام، وجعله مرة في العمر وليس كل عام، وجعل من ثوابه تكفير الذنوب والآثام، ودخول الجنة دار السلام.

أما بعد:

فإن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو فريضة عامة على الأمة كل عام، وفريضة على المسلم المكلف المستطيع مرة في العمر، بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة، فمن استطاع الحج فلم يحج مرة في عمره، فإنه على خطر من سوء الخاتمة والعقوبة الشديدة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:97].

وثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«يا أيها الناس: إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا»**، وأجمع المسلمون على وجوب الحج على المستطيع مرة في عمره.

ويكفي في الزجر عن تركه قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:97]، فسمى الله تارك الحج الواجب عليه مع الاستطاعة كافرًا، فهل يرضى عاقل أن يصبح كافرًا وهو بين المسلمين؟!

والاستطاعة تتحقق بأربعة أمور:

الأول: وجود الزاد: وهو النفقة الكافية له ولأهله الذين تلزمه نفقتهم حتى يرجع من حجه.

الثاني: توفر الراحلة، وهي وسيلة النقل أو أجرتها، إذا كان على بعد مسافة قصر أو أكثر.

الثالث: أمن الطريق بأن يكون الغالب على المسافر السلامة، فلا يكون عليه خطر من قتل أو نهب، أو ضياع قبل أداء حجه، أو بعده، وهو في مسيره إلى أهله.

وتزيد المرأة شرطًا رابعًا وهو وجود محرم لها، وهو من تحرم عليه على التأبيد بنسب، أو سبب مباح، فإذا لم تجد محرمًا وأيست من وجوده، فهي غير مستطيعة بنفسها، فإن كانت مستطيعة بمالها أنابت من يحج عنها، وإلا سقط عنها الوجوب.

فحقَّ على من استطاعه أن يبادر إليه، وأن يلتمس رضا الله تعالى فيه، وما أعد من المثوبة في الدنيا والآخرة عليه.

فإن لم يفعل فليحذر من سوء الخاتمة وخطر التبعة، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:97]، ذلك لأن تركه مع الاستطاعة نوع استكبار على الجبار، وإعراض عن هدي نبيه المصطفى المختار ﷺ.

وفي التنزيل: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، وقال ﷺ: **«من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»**.

ولقد كان أهل الجاهلية في الجاهلية يعظمون البيت ويحجونه، ويهدون إليه ويحترمونه، فتبًّا لمن كان أهل الجاهلية أعرف بقدر البيت والحج منه، وأرغب منه في خيره وبره وهو قد رغب عنه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

*****

فضل الحج والعمرة والاهتمام المبكر

الحمد لله الذي شرع العمرة والحج، أحمده سبحانه، أحبُّ الحَجِّ إليه العَجُّ والثَّجُّ، وأصلي على عبده ورسوله محمد ﷺ أفضل وأشرف من اعتمر وحج، وبعثه الله تعالى إلى أمته بأكمل شرعة وأحسن منهج.

أما بعد:

فإن الحج والعمرة نسكان جليلان ادخر الله تعالى فيهما لأمة محمد ﷺ خيرًا كثيرًا وأجرًا عظيمًا كبيرًا.

* فهما من الجهاد في سبيل الله، ولا يخفى عظم ثوابه عند الله تعالى؛ إذ يقول في وعده الكريم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [التوبة:20-22].
* والسفر إليهما من النفير للتفقه في دين الله، والدعوة إلى دين الله وهداه؛ لما يحصل في ذلك من الفقه في المناسك خصوصًا، وكثيرٍ من أحكام الدين عمومًا، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقا إلى الجنة»**، وقال عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى دين الله: **«من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»**، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: **«فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم»**.
* ومن فضائل الحج والعمرة محو الذنوب ودفع الفقر، وتلك منافع دينيــة واقتصادية. قال ﷺ تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكيرُ خبث الحديد والذهب والفضة.
* ناهيك بما يتحقق في الحج من ربح التجارة والإجارة، وفيه نزل قول الحق﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[البقرة:١٩٨]، وكم فيه من تقوية التعارف والتواد والتعاون بين أهل الإسلام، وإغاظة أعداء الإسلام، والنصيحة للمسلمين، والتشاور فيما من شأنه إعلاء الدين.
* ومن فضائلهما أنهما يكفران الآثام، وسبب لدخول الجنة دار السلام، قال ﷺ: **«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»**، وقال ﷺ: **«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كهيئة يوم ولدته أمه»**.

وفضائلهما كثيرة وعوائدهما الكريمة على أمة الإسلام وفيرة.

ولقد بادر النبي ﷺ في أمر الحج وأخذ يمهد له قبل أدائه بسنة، فإن الصحيح أن فرض الحج كان سنة تسع من الهجرة، ولكن لم يتمكن النبي ﷺ من الحج تلك السنة لأمور واعتبارات معلومة لدى أهل العلم بالسنة والسيرة، وأمر أبا بكر أن يحج بالناس وأرسل عليًا معه يعلن ببراءة وأن لا يحج العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان استعدادًا لمقدمه ﷺ حجة الوداع في السنة العاشرة، وهذا من الاهتمام المبكر بالحج والاهتمام بشأنه ومراعاة الأولويات، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب:21].

ونسكٌ هذا شأنه يستحق من المؤمن الشاكر التفكير الجاد والمبكر في إمكانية أدائه في أقرب فرصة؛ مسارعة إلى ذلك الأجر الكبير والخير الوفير، ولذا فإن الصحيح وجوب فرض الحج على الفور لمن استطاع إليه سبيلًا ـ لأدلة ليس هذا موضع بسطها ـ، مع ما في ذلك من المسارعة إلى براءة الذمة، والخروج من العهدة،

قبل مفاجأة الأجل، ووجود المانع والشغل، وأما نفل الحج والعمرة، فتجارة رابحة ولاسيما مع مواتاة الفرصة، والمؤمن كيس فطن، ومن خصال المؤمنين المسارعة إلى الخيرات والمبادرة بالأعمال الصالحات كما وصفوا بذلك في محكم الآيات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

فضل العمرة فى أشهر الحج

الحمد لله الذي فرض العمرة والحج، وضح لذلك السبيل والمنهج، فلا يماري فيها إلا صاحب اللجج، والصلاة والسلام على محمد سيد البشر، خير من حج واعتمر، وعلى آله وصحبه أصحاب الفضائل الكثر، وعلى من تبعهم بإحسان فلم يتقدم أو يتأخر.

أما بعد:

فإن من المتفق عليه لدى أهل العلم أن شهور السنة كلها وقت للعمرة.

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لامرأة كانت قد عزمت على الحج مع النبي ﷺ ولكنها لم تتمكن من ذلك بسبب مرض زوجها ثم وفاته: **«إن عمرة في رمضان تعدل حجة»**، وفي رواية: **«حجة معي»**، فدل ذلك على فضل إيقاع العمرة في رمضان.

ولكن قد ثبت في الأحاديث الصحيحة من وجوه متعددة أن النبي ﷺ قد أدى عمره كلها في أشهر الحج: شوال، وذي القعدة، وذي الحجة، وآخرهن عمرته ﷺ التي كانت مع حجته، فإنه ﷺ قد حج قارنًا.

وكان جمهور الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ في تلك العمرة، وأكثر ما كانوا في حجة الوداع، وكان منهم القارن والمتمتع والمفرد، ثم لما طافوا وسعوا صبح رابع من ذي الحجة، ألزم النبي ﷺ كل من لم يسق الهدي من مفرد أو قارن ـ لما طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة ـ أن يحلوا من إحرامهم ويجعلوها عمرة، فصار الصحابة جميعًا ما بين قارن ومتمتع، والقارن متمتع من حيث معنى التمتع العام الذي هو جمع العمرة والحج في أشهر الحج بسفر واحد من غير أن يفصل بينهما بالرجوع إلى بلده.

فيتبين من ذلك: أن أفضل الأزمنة ـ لإيقاع العمرة ـ وأحقها بها أشهر الحج، فوقوع العمرة ـ وهي حج أصغر ـ في أشهر الحج نظير وقوع الحج في أشهره، وذلك من وجهين:

الأول: أن الله لم يكن ليختار لعُمَرِ نبيه إلا أفضل الأوقات وأشرفها.

الثاني: أن النبي ﷺ لم يكن ليختار لأصحابه إلا أفضل الأوقات للعمرة، فإنه حريص عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبادرة إلى أداء الحج قبل الشواغل

الحمد لله الذي أمر بالطاعات ونهى عن المخالفات، وحضَّ عباده على المسارعة والمبادرة إلى الأعمال الصالحات، وأثنى على مستبقي الخيرات، وشهيد لهم بالسبق في محكم الآيات.

أما بعد:

فإن من القواعد المقررة عند أهل العلم أن الأصل في الأوامر الشرعية المبادرة في الامتثال ـ من المكلفين ـ متى استطاعوا، ويحرم التأخير إلا لعذر يقتضيه في ميزان الشرع.

فإن الله تعالى قد أمر باستباق الخيرات، والمسارعة إلى المغفرة والجنات، وشهد للمتسابقين بالسبق والفوز بالقرب والثواب، وذم سبحانه المسوفين والمماطلين وتهددهم بشديد العقاب، وعدّ ذلك من صفات المنافقين المتوعدين بالدرك الأسفل من النار، ولن تجد لهم نصيرًا.

إذا تقرر ذلك، فإن الحج من أعظم فرائض الله تعالى على المستطيعين من عباده، والركن الخامس من أركان الإسلام، وكان فرضه ـ على الصحيح ـ في السنة التاسعة من الهجرة.

ولقد بادر النبي ﷺ لأدائه لكن لم يتمكن من السفر إليه في تلك السنة لعوارض معروفة عند أهل العلم بسيرته ﷺ، منها:

- وجود بعض من أهل الشرك في الحج.
- كون بعض الناس يطوفون بالبيت عراة على عادة أهل الجاهلية.

فأمر ﷺ الصديق على الحج تلك السنة، وأردف من ورائه عليًّا رضي الله عنه يؤذن الناس ببراءة، وأن لا يحج البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وذلك تهيئة لمقدم النبي ﷺ في السنة العاشرة، وحتى يتسامع الناس بذلك، فيتهيأوا للائتمام بالنبي ﷺ؛ ليأخذوا عنه المناسك وغيرها من مهمات الدين.

فتبين من ذلك أن الواجب على المستطيع السالم من الموانع أن يبادر لأداء فريضته **ليكون من:**

أ- المبادرين إلى امتثال أوامر الله تعالى، المثني عليهم في التنزيل، والموعودين بالسبق في الآخرة والثواب العظيم.

ب- المتأسين بالنبي ﷺ المستمسكين بسنته ﷺ قولًا وفعلًا.

ت- وليكون خارجًا عن طائلة الوعيد في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:97].

ث- وحذرًا من سوء الخاتمة بسبب التفريط والتسويف، قال ﷺ: **«تعجلوا الحج** ـ يعني: الفريضة ـ **فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»**، وروي عنه ﷺ قال: **«من أراد الحج فليتعجل، فقد يمرض المريض وتضل الضالة وتعرض الحاجة»**، وروي عنه ﷺ التحذير لمن لم يتعجل الحج بأن يموت يهوديًا أو نصرانيًا إلى غير ذلك، مما هو من شؤم المماطلة والتسويف.

فبادر ـ أُخَيَّ ـ لأداء فرضك، وارضِ الله تعالى بطاعته يرضك، ولا تسوف فتخسر وتهلك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

من فقه المناسك

الحمد لله الذي شرع المناسك، وأجزل مثوبة الناسك، الذي يحقق الإخلاص لله تعالى في القصد والاتباع للنبي ﷺ في الكيفية في جميع دينه، ومنه المناسك.

أما بعد:

فإن الإحرام لغة: مأخوذ من التحريم وهو المنع؛ لأن المحرم يمتنع بالإحرام من أشياء معلومة، منعه منها الله تعالى ورسوله ﷺ.

*** والإحرام شرعًا:** هو نية الدخول في النسك من عمرة أو حج أو بهما جميعًا، مع التلبية بما نواه أو سوق الهدي.

فإذا أحرم مريد الحج أو العمرة أو هما معًا، فمعناه: أنه قد دخل بإحرامه في عقد موثق مع الله تعالى، فيجب عليه أن يمضي بالنسك الذي تلبس به حتى يتمّه لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:196]، وأن لا يخرج من الإحرام إلا بأدائه، فإن عرض له ما يحول بينه وبين أدائه، فليخرج منه وفق الشرع، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ [البقرة:196].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال لضباعة رضي الله عنها حين وصلت الميقات وهي شاكية ـ أي: مريضة ـ: «**حجي واشترطي فإن لك على ربك ما استثنيت**».

فتبين (مما سبق) أن الإحرام عقد مع الله تعالى معظم، وعهد محترم يجب الوفاء به على وجه الكمال حسب الاستطاعة، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل:91]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:1].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»، وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها**» الحديث، وفيه: «**وإذا عاهد غدر**».

فيجب تعظيم الإحرام؛ لأنه من حرمات الله عزَّ وجلَّ قال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:30]، ويجب احترامه؛ لأنه من شعائر الدين الظاهرة، فلا يستهين به المحرم، ولا يؤذي محرمًا غيره، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:32]، وصحّ عن النبي ﷺ أنه قال مخبرًا عن ربه تبارك وتعالى: «**وحرم أشياء فلا تنتهكوها**».

*** فمتى أحرم المسلم أو المسلمة بالنسك وجب عليه أمور:**

الأول: أن يتم النسك الذي أحرم به على وجه المستطاع، فلا يلغيه ولا يفسده.

الثاني: إذا عرض له مانع يمنعه من أداء النسك بحيث يفوته الحج أو يطول عليه انتظار العمرة بحيث يشق عليه، **فله حالتان:**

1- إن كان اشترط بأن قال عند الإحرام: «**فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني**»، فإنه يخلع ملابس إحرامه بنية الخروج من الإحرام، ولا شيء عليه، لا فدية ولا غيرها.

2- إن كان لم يشترط عند الإحرام، فإنه يتحلل من إحرامه بالإحصار بأن يذبح هديًا في المكان الذي أحصر فيه، ويحلق رأسه، فإن لم يجد صام عشرة أيام على قول الجمهور، أو سقط عنه الهدي بالعجز على قول بعض أهل العلم، وبذلك يخرج شرعًا من الإحرام.

وفي كلتا الحالتين يقضي نسكه إن كان فريضة، فإن لم يكن فريضة ففي الأمر سعة.

الثالث: إن ارتكب محظورًا من محظورات الإحرام التسعة جاهلًا أو ناسيًا أو مكرهًا، فلا شيء عليه، لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة:286]، وفي الصحيح قال الله تعالى: «**قد فعلت**»، وثبت عن النبي ﷺ قوله: «**إن الله عفا لأمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**».

الرابع: من ارتكب محظورًا من محظورات الإحرام عالمًا عامدًا غير مكره، **ففيه تفصيل:**

1. **أن يكون المحظور الذي ارتكبه هو الجماع، وفيه تفصيل:**

أ- فإن كان الجماع قبل الانصراف من عرفة فإنه يفسد به حجه، وقد أفتى الصحابة رضوان الله عليهم بأن يتم النسك الذي أحرم به ـ ولو كان فاسدًا ـ، ثم يقضيه من العام القابل صحيحًا، وعليه فدية بدنة ـ ثني من الإبل أو البقر ـ.

ب- وإن وقع الجماع بعد عرفة فالحج صحيح، لكن عليه فدية ذبح رأس من الغنم يصلح أضحية جبرًا له (على الراجح)، وهكذا لو كان الجماع بعد التحلل الأول وقبل التحلل الثاني.

2. **وإن ارتكب محظورًا غير الجماع، ففيه تفصيل أيضًا:**

أ- فإن كان المحظور هو إنزال المنيِّ بإرادة الشخص من غير جماع أو احتلام ـ عن طريق الاستمناء مثلًا وغيره ـ ففيه فدية ذبيحة تصلح أضحية، أو سُبع بدنة جبرًا لنسكه على الراجح مع التوبة والاستغفار.

ب- أما إذا كان إنزال المنيِّ بغير إرادة الشخص، عن طريق الاحتلام مثلًا فهذا ليس عليه شيء.

3. أما إن كان المحظور من قبيل ما اصطلح الفقهاء ـ رحمهم الله تعالى ـ على تسميته أو إلحاقه بفدية الأذى مثل: قص الشعر، أو قلم الظفر، أو لبس المخيط، أو مس الطيب ونحوها، فيخير من فعل شيئًا من ذلك بين صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين أو ذبيحة، لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:196].

4. أما إن كان المحظور من قبيل ترك الواجب، كالإحرام دون الميقات، أو الانصراف من عرفة قبل الغروب أو ترك المبيت بمزدلفة أو منى ليالي أيام التشريق مع وجود مكان له أو ترك رمي شيء من الجمرات أو ترك طواف الوداع، فهذا فيه فدية ذبيحة من الغنم تصلح أضحية أو سُبع بدنة، لما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من ترك شيئًا من نسكه فليهرق دمًا)، وهذا في حكم المرفوع.

5. وإن كان المحظور من قبيل قتل الصيد، فإن كان له مثلٌ، فمثل ما قتل من النعم، لقوله تعالى: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة:95]، وإن لم يكن له مثل ـ كالحمام ونحوه ـ فذبيحته مطلقًا.

6. وإن كان المحظور قطع شجر من شجر الحرم البري (الذي لم يغرسه بنو آدم)، فيقوم بقدره، فالشجرة الكبيرة فيها ذبيحة، والصغيرة فيها قيمة بما تساوي من المال.

ومما ينبغي أن يُعلم أن كل هذه الفديات غير الإحصار وفدية الأذى قبل الوصول للحرم من ذبائح أو إطعام أو مال لمساكين الحرم، أي: يتعين أن تذبح بمكة داخل أميال الحرم.

فبهذا البيان لشأن الإحرام وما يلزم لمن انتهك حرمته أو أفسده من الفدية المغلظة أو العادية تتجلى لنا منزلة الإحرام وخطره، وأنه يحرم نقض الإحرام والخروج منه بعد عقده وقبل أداء النسك الذي أحرم به إلا وفق ما شرع العليم الحكيم؛ لأن الإحرام عقد عظيم الشأن، فإنه من أوثق المواثيق، وأشد العقود، وأعظم الحرمات، وأظهر شعائر الدين، فلا تحل الاستهانة به والتلاعب به وأن من ألغاه أو رفضه، فإنه لا يزال في حكمه، فهو محرم أبد الدهر إلا أن يؤدي النسك الذي أحرم به أو يخرج من عهدته وفق ما شرع الله تعالى وبين رسوله ﷺ وأفتى به الصحابة رضي الله عنهم.

وبذلك يتبين جرم بعض الناس الذين ينقضون الإحرام أو يفسدونه لأدنى سبب دون أن يراجعوا أهل العلم

ويسترشدوا منهم كيفية الخروج الشرعي منه، وأن هؤلاء خصمهم الله تعالى يوم القيامة إن لم يتوبوا ويصححوا ماوقعوا فيه من قبل أن يموتوا، قال تعالى:

﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [النساء:13،14].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

الدعاء فى المناسك

الحمد لله وحده الذي أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، ويسر العمل وأجزل الإثابة، وكثَّر أسباب محو الذنوب ليقي عباده عذابه.

أما بعد:

فإن الدعاء: طلب، أي: سؤال الله تعالى حاجات الدنيا والآخرة، أو ثناء عليه سبحانه بالتحميد والتسبيح والتكبير والتهليل، وهو مفتاح خزائن الخير، وسبب سعادة الدنيا والآخرة، واتقاء الضرر والشقاء في العاجل والآجل.

فكم حفظ الله تعالى على عبده ـ بالدعاء ـ من نعمه؟

وكم زاده من كرمه؟

وكم صرف عنه من بلية، ولطف به عند شدة؟

وكم أعطاه من جزيل العطايا وجليل المنح ما لم يكن له في حساب، ولم يخطر له على بال؟

بل إن الله تعالى إذا أراد أن يعطي العبد من ألوان جوده وأنواع ألطافه، شرح صدره للدعاء، وذلل به لسانه، أو أجرى الدعاء له على لسان عبد صالح يدعو له بظهر الغيب.

فالدعاء عبادة وتوحيد، وسبب موصول بين الله وبين العبيد، وقد أمر الله تعالى باللهج به والإخلاص له فيه، وذم الذين يعرضون عنه مستكبرين أو يتركونه غافلين، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:60]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر:14]، وقال جل ذكره: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:186].

وقد قال عمر رضي الله عنه: والله إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فإني إن ألهمت الدعاء علمت أن الإجابة معه.

وقد أفادت الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ أن المسلم يُستجاب دعاؤه بكل حال ما لم يستعجل أو يدعُ بإثم أو قطيعة رحم، أو يتعاطى مانعًا من موانع إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فدعاء المسلم مستجاب بشرطه، فإما أن يقضي الله له حاجته، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، وإما أن يدخرها له يوم القيامة، ولذا قال ﷺ: **« ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»**، وأخبر أن من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه.

وكم في القرآن والسنة الصحيحة من جوامع الدعاء التي دعا بها رسل الله المكرمون عليهم الصلاة والسلام وعباده الصالحون، واقترنت دعواتهم بالإجابة مع ما ادخر الله لهم من الكرامة وعظيم الإثابة، فمن دعا الله تعالى مخلصًا بأدعية الكتاب والسنة، حصَّل عليَّ المطالب وسني المراتب في الدنيا والآخرة، واتقى ما يضره ويسوءه في العاجلة والآجلة، ومن ترك الدعاء أو صد عنه كان ممن نسي الله فنسيه وأنساه نفسه، وأغفل قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطًا.

إذا عُلم هذا، فإن مناسك الحج كلها مواطن وأوقات وأحوال يستجاب فيها للمسلم الدعاء، ويتحقق له فيها عظيم الرجاء، **وبيان ذلك:**

1- **أن يدعو بعد التلبية:** فمن مواطن إجابة الدعاء أن يدعو بعد التلبية، فإذا لبى بنسكه من حج أو عمرة فليدعُ بما شاء ـ كما نص عليه أهل العلم بالمناسك ـ أثناء الطواف، وعند الصعود على الصفا والمروة، فقد كان النبي ﷺ إذا صعد هلل الله، وكبره، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم رفع يديه ودعا ـ يفعل ذلك ثلاثًا في بداية كل شوط ـ، وهذا يدل على أنه فرصة إجابة للدعاء، وهكذا حال السعي، فإنه يلبي ويكبر ويدعو ما تيسر له.

2- **حال وقوف الحاج بعرفة**: يستجاب له فيها الدعاء، فقد وقف ﷺ على راحلته رافعًا يديه يدعو من حين فرغ من صلاة الظهر والعصر جمعًا وقصرًا في وقت الظهر إلى أن غربت الشمس.

3- كذلك فإن من مواطن إجابة الدعاء **الوقوف بالمشعر الحرام بمزدلفة**: فقد ذهب النبي ﷺ إلى المشعر الحرام ـ موضع المسجد الآن ـ فاستقبل القبلة ورفع يديه ودعا حتى أسفر جدًّا ثم أفاض إلى منى قبل طلوع الشمس.

4- **ومن مناسك الحج الحَريَّة بإجابة الدعاء:** بعد رمي الجمرة الصغرى ـ الأولى ـ والوسطى أيام التشريق، فقد وقف النبي ﷺ في الأيام الثلاثة أيام التشريق عند الجمرة الأولى والوسطى بعد الفراغ من الرمي يدعو بقدر ما يقرأ القارئ سورة البقرة.

فينبغي للحاج والمعتمر أن يغتنم نسكه بكثرة الدعاء، وصدق الضراعة، والإلحاح على الله تعالى في طلب جليل مطالب الدنيا والآخرة، وليدعُ دعاء الموقن بالإجابة؛ لعلمه بغنى ربه وجوده وقدرته وكرمه وحبه للدعاء وكرمه في العطاء، فإن الله تعالى يستحي أن يرد يدي عبده صفرًا خائبتين، وعليه أن يتحرى جوامع الأدعية في القرآن والمأثورة عن النبي ﷺ؛ فإنها جامعة لخيري الدنيا والآخرة، ويتحرز المسلم إذا تقيد بها من الوقوع في الإثم والاعتداء في الدعاء ويكون قد اتبع الهدى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*****

التوحيد في مناسك الحج

الحمد لله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وكل من أخلص لله ووحده.

أما بعد:

فإن الحج توحيد كله في مقاصده، وأذكاره، وأعماله، فأهم شروط قبولـه أن يبتغي به وجه الله تعالى؛ ذلك لأن الإخلاص شرط لقبول جميع العبادات، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:5]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:110]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:97]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البقرة:196].

والإخلاص: هو أن يقصد بالعبادة المشروعة وجه الله تعالى، فلا يلتفت بشيء منها إلى أحد من خلقه كائنًا من كان، ولا يطلب بها حظًّا من حظوظ النفس أو عرضًا من أعراض الدنيا.

فالحج حق لله تعالى على العبد ـ بشرطه ـ مرة في العمر، والإخلاص أداء حق الله تعالى إليه، وعدم الالتفات بشيء فيه إلى الخلق، فمن جمع فيه بين الإخلاص لله تعالى في القصد، واتباع السنة في الكيفية، فقد جمع أسباب القبول والمثوبة، قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:112].

ومن معالم التوحيد في الحج ما يلي:

1. أن التلبية ـ التي هي شعار الحج ـ توحيد صريح؛ لأنها تتضمن التصريح بإجابة الله وحده، ونفي الشريك عنه، والثناء عليه بأن الحمد والنعمة والملك لله وحده لا شريك له، وفي ذلك براءة من تخليط المشركين وتنقصهم لرب العالمين حيث كانوا يقولون في تلبيتهم: **«لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك»**، فيشركون في التلبية ويجاهرون بالشرك.

   من أجل ذلك جاء شعار الحج التوحيد الصريح: **«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»**، قال جابر رضي الله عنه وهو يصف حجة النبي ﷺ: **«فأهل** ـ أي: لبّى ـ **بالتوحيد»**.
2. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«إنما جُعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة والوقوف بعرفة ورمي الجمرات لإقامة ذكر الله تعالى»**؛ ذلك لأن جميع هذه الشعائر المعظمة والمشاعر المحترمة إنما تقصد على وجه التعبد لله تعالى، والتقرب إليه سبحانه وتعالى بما شرع من النسك فيها، وذكر الله تعالى هو توحيده، أي: إفراده فيما هو مختص به وعدم قصد غيره في شيء من عبادته . وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»**.
3. وقد ثبت في السنة الصحيحة أن النبي ﷺ وقف على الصفا والمروة وفي عرفة والمشعر الحرام وعند الجمرة الصغرى والوسطى، ودعا الله تعالى رافعًا يديه يكرر ذلك، والدعاء هو العبادة؛ لأن أدل وأجمل مظاهره العبودية بالتواضع والانقياد والذل والافتقار والاضطرار إلى الله عز وجل، ودعاء الله تعالى وحده هو عبادته التي هي توحيده، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، مع قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أي: يوحّدون.

4. ومن مقاصد الأذان بالحج أن يأتي الناس من كل جهة رجالًا وركبانًا؛ ليشهدوا منافع لهم، ومن ذلك ذكرهم الله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الأنعام بالتسمية والتكبير عند نحرها، والتقرب إلى الله تعالى بذلك في الأيام المعلومات والمعدودات، فإن النسك من أعظم مظاهر التوحيد والعبودية لله تعالى من العبيد، وقد جعل الله تعالى النحر قرين الصلاة، وأثنى به على المؤمنين في محكم الآيات؛ لأنه من أجلّ الأعمال الصالحات. فيجتمع لهم شرف العبادة وشرف الزمان وشرف المكان، فيتضاعف الثواب من جميع هذه الوجوه، ثم يزيدهم الله من فضله.
5. وهكذا أيام مني، فإنها أيام أكل وشرب وذكرٍ لله عز وجل، **وذكر الله:** هو توحيده بالأقوال والأعمال والمقاصد والأحوال، وبهذا يتجلى أن الحج توحيد كله وجهاد من أجل توحيده، ولذلك كان خامس أركان الإسلام، وكان أداؤه لله تعالى وعلى الكيفية المأثورة عن نبيه ﷺ؛ مع اجتناب الرفث والفسوق والجدال من أسباب محو الآثام، ودخول الجنة دار السلام، وسعة الرزق، ومرضاة الحق، فهنيئًا لمن أدى فرضه على وجه الإخلاص والإحسان وتنفل به ما أمكن طاعة للملك الديان.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الحج ومغفرة الذنب وسعة الرزق والنجاة من النار ودخول الفردوس مع الأخيار، وأن يجمعنا والمسلمين بمنافعه العاجلة والآجلة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

الوقوف بعرفة وفضله

الحمد لله الذي يهدي من استهداه، ويجيب من دعاه، ويتوب على من أخلص التوبة له ورجاه.

أما بعد:

فإن معنى «**الوقوف بعرفة**»: هو حضور الحاج يوم عرفة بالمكان المسمى بعرفات بنية أداء شعيرة الوقوف من ظهر اليوم التاسع من ذي الحجة إلى غروب الشمس، ويمتد وقت الموقوف لمن لم يدرك في النهار إلى طلوع الفجر من ليلة العاشر من ذي الحجة.

* وإن يوم عرفة يوم عظيم من أيام الله عزَّ وجلَّ يشرع فيه من العبادات ما لا يشرع في غيره، ويغفر لأهل الإسلام فيه من الخطيئات والجرائر ما لا يغفر في غيره.

* وحسب طالب الحق ومريد الخير ما جاءت به نصوص السنة الصحيحة بشأنه، **وبيان فضله:**

1 ـ فالوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم، قال ﷺ: «**الحج عرفة**»، والمراد التنبيه على أن من فاته الوقوف ـ في وقت الوقوف ـ فقد فاته الحج، وهذا معلوم بإجماع المسلمين.

2 ـ وهو يوم يكثر فيه العتق من النار، كما ثبت في صحيح مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عزّ وجلّ فيه عبدًا من النار من يوم عرفة**».

3 ـ وهو يوم يدنو فيه الجبار ـ جلّ وعلا ـ من عباده كما في إخباره ﷺ عن ربه يقول: «**وإنه ليدنو يباهي بهم الملائكة فيقول: ماذا أراد هؤلاء**»، رواه مسلم.

وخرّج ابن حبان والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء، فيقول لهم: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثًا غبرًا**».

4 ـ وفيه يغفر الله الذنوب العظيمة كما في مصنف عبد الرزاق بإسناد حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وفيه: «**قال: وأما وقوفك بعرفة فإن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: هؤلاء عبادي جاءوا شعثًا غبرًا من كل فج عميق يرجون رحمتي ويخافون عذابي، ولم يروني، فكيف لو رأوني؟ فلو كان عليك مثل رمال عالج، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوبًا غسلها الله عنك**».

وفي الموطأ، ومصنف عبد الرزاق بإسناد حسنه جمع من أهل العلم، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما رئي الشيطان أصغر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة، لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الأمور العظام؛ إلا ما رئي يوم بدر...**إلخ.

وفي ابن ماجه بإسناد صحيح «**قال غداة جمع**» ومن طريق آخر عن أنس رضي الله عنه قال: وقف النبي ﷺ بعرفات، وكادت الشمس أن تؤوب أي تغرب، فقال: «**إن الله تطاول عليكم في يومكم هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأل، ادفعوا باسم الله**».

فيوم هذا بعض شأنه، ينبغي للمسلم الذي بلغه الله إياه أن يغتنم وجوده فيه بين المسلمين في الإكثار من ذكر الله تعالى، وتكرار شهادة التوحيد مع الإخلاص لله تعالى في الدعاء، والاجتهاد بالضراعة إلى الله عزَّ وجلَّ، فقد صح عن النبي ﷺ قوله: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة**»، وقال أسامة بن زيد رضي الله عنه: وقف النبي ﷺ بعرفة فجعل يدعو...الخ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله بعرفة ـ يعني: يدعو ـ يداه إلى صدره كاستطعام المسكين.

وأن يختار الجوامع من الدعاء من القرآن والسنة، ويكرر الدعاء ثلاثًا، ويستقبل القبلة رافعًا يديه، وأن يكرر التوبة والاستغفار من ذنبه وخطاياه بصدق، لعل الله أن يعم بفضله على الحجاج، فيرحمه معهم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

أعمال يوم النحر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إل يوم الدين.

أما بعد:

فإن يوم عيد الأضحى هو يوم النحر ويوم الحج الأكبر، وهو أفضل أيام السنة على الإطلاق كما قال المحققون من أهل العلم، وذلك لما يقع فيه من الأعمال الجليلة من المسلمين الحجاج والمقيمين في الأمصار، فمن الحجاج **تقع الأعمال التالية:**

1- **رمي جمرة العقبة ضحى يوم العيد** ويمتد وقت الرمي إلى الليل، فالرمي هو تحية منى، وهو أول الأعمال يوم العيد إذا تيسر للحجاج، فلا ينبغي أن يقدم عليه غيره؛ لأن النبي ﷺ أولَ ما عمل يوم النحر رمى جمرة العقبة.

2- **نحر الهدي وذبحه ـ إذا تيسر ـ** ؛لأنه فعل النبي ﷺ فإن لم يتيسر فيوم العيد والثلاثة الأيام بعده ولياليها كلها أيام ذبح، فالأمر واسع بحمد الله، ومنى كلها منحر، وفجاج مكة كلها طريق ومنحر، فلينحر الحاج نسكه في أي مكانٍ داخل أميال الحرم.

3- **الحلق أو التقصير**، والحلق أفضل؛ فإن النبي ﷺ دعا للمحلقين بالرحمة ثلاث مرات وللمقصرين مرة، وإذا قصر فليأخذ من مجموع شعر الرأس، فإنه نسك لا يحل التهاون به.

4- **الطواف بالبيت والسعي بعده** ـ في حق المتمتع والمفرد والقارن إذا لم يسعيا بعد طواف القدوم ـ، والرمي والحلق أو التقصير والطواف والسعي بعده لمن عليه سعي، فإن هذه الأعمال مشتركة بين جميع الحجاج، فمن فعل اثنين منها حل التحلل الأول الذي يبيح له لبس الثياب والطيب وتقليم الأظافر، أما الزوجة فلا تحل له حتى يفعلها جميعًا.

5- وأما الأضحية والتكبير والذكر، فهي مشروعة للحجاج وغيرهم يوم العيد وأيام التشريق بعده ولياليها، وهن من صالح العمل وجليل القرب، فإظهار ذلك يوم العيد من إعلان الشعائر وتعظيمها، وذلك دلالة على تقوى القلوب لعلّام الغيوب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

لا يذبح هدى المتمتع قبل يوم العيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن المتفق عليه بين أهل العلم بحجة النبي ﷺ حجة الوداع أن النبي ﷺ وأصحابه الذين قدموا مكة معه لما طافوا بالبيت، وسعوا بين الصفا والمروة، وفرغوا من ذلك، **صاروا فريقين:**

الأول: الذين ساقوا الهدي، وقرنوا بين الحج والعمرة، وهم النبي ﷺ وعدد يسير من أصحابه رضي الله عنهم، فهؤلاء لم يحلوا من إحرامهم، بل بقوا محرمين أسوةً بالنبي ﷺ وبإقراره، وقد قال ﷺ: «**لا يحل مني حرام حتى يبلغ الهدي محله**»، فلما صار يوم النحر، ورمى ﷺ جمرة العقبة، نحر هديه، وحلق رأسه، وحل إحرامه، وهكذا فعل كل من ساق الهدي من الصحابة رضي الله عنهم فما نحر ﷺ هديه لا هو ولا أصحابه القارنون إلا يوم العيد، وذلك باتفاق المسلمين.

الثاني: الذين تمتعوا وحلوا إحرامهم لما فرغوا من الطواف والسعي يوم قدومهم ـ ضحى اليوم الرابع من ذي الحجة ـ، وكان منهم أمهات المؤمنين، فإنهن كن ما بين متمتعة وهن الأكثر، وقارنة وهي عائشة فقط حين لم تستطع أداء عمرتها بسبب الحيض، فأمرها النبي ﷺ أن تدخل الحج على العمرة، فصارت قارنة لهذا الظرف، فهؤلاء جميعًا لم يذبحوا هديهم ذلك اليوم، أي: يوم قدومهم مكة، ولا الأيام التي بعده قبل يوم النحر، **ومن أدلة ذلك:**

1- أنه لم يرد في أحاديث إحلالهم ـ على كثرتها ـ أن النبي ﷺ أمرهم بذبح الهدي، ولا أن أحدًا منهم فعله.

2- أن النبي ﷺ ذبح هدي أزواجه يوم النحر، وكن كلهن متمتعات سوى عائشة رضي الله عنهن.

فدل ذلك على أنه لا ينبغي أن يذبح هدي التمتع قبل يوم العيد، وقد قال تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب:21]، وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»، والله أعلم.

ثم اشتركت الأضحية مع الهدي في هذا الأمر، فلا تذبح إلا يوم النحر، وما ذبح منها قبل يوم النحر فإنما هو لحم يقدمه المرء لأهله، فعلامَ يتعجل المؤمن ويفقد منها حظه في مشاركة أهل المناسك؟!

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآل بيته وصحبه أجمعين.

*****

تذكرة بشأن الأيام المعدودات

الحمد لله قابل التوبات، وغافر الزلات، جعل للتوبة بابًا مفتوحًا لا يغلق، وقدم لذلك مواسم للخير لمن صدق فيها العبادة وحقّق، ومنها الأيام المعدودات، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [البقرة:203].

الأيام المعدودات: هي الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر من شهر ذي الحجة، وهي أيام التشريق، سُميت بذلك؛ لأنهم كانوا يشرقون فيها اللحم أي: يقطعونه على شكل سيور ثم يجففونه؛ ليتزودا به في سفر رجوعهم إلى أهلهم من الحج.

فهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر:

أ- **فاليوم الأول منها:** هو الحادي عشر ويسمى: «**يوم القر**»؛ لأن الحجاج يستقرون فيه في منى، فلا يفكرون فيه في النفر إلى أهليهم؛ لأن أعمال المناسك لم تكمل بعد، وكانوا يسمونه: «يوم الرؤوس»؛ لأن من الحجاج من كان يشتغل فيه برؤوس الهدي وتشريق اللحم.

ب- **أما اليوم الثاني:** فهو اليوم الثاني عشر ويسمى: «**يوم النفر الأول**»؛ لأنه يرخص فيه لمن رمي الجمرات فيه بعد الزوال أن ينفر من منى إلى مكة قبل غروب شمس ذلك اليوم، فيطوف الوداع ثم يتوجه إلى بلده.

ت- **وأما اليوم الثالث عشر:** فهو: «**يوم النفر الثاني**»؛ لأن الأفضل لمن تيسر له من الحجاج أن يقيم في منى بقية يوم الثاني عشر وليلة الثالث عشر، ثم يرمي الجمرات الثلاث بعد الزوال من يوم الثالث عشر، ثم ينفر من منى لطواف الوداع ثم التوجه إلى بلده، ولا يجب عليه إلا إن غربت شمس اليوم الثاني عشر من ذي الحجة، وهو مقيم في منى.

فتلكم هي الأيام المعدودات، وهي أيام التشريق، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، فليس يوم النحر منها كما قد يفهمه بعض الناس.

وذكرُ الله تعالى فيها أنواع:

1- فمنه التسمية والتكبير عند ذبح الهدي، وكل هذه الأيام بلياليها وقت لذبح الهدي حتى غروب شمس يوم الثالث عشر.

2- ومنه رمي الجمرات في تلك الأيام الثلاثة بعد الزوال، ومن لم يتيسر له الرمي نهارًا رمى في الليل عن اليوم الذي قبل تلك الليلة لا عن اليوم الذي بعدها عند جمهور أهل العلم.

3- ومنه التكبير المطلق والمقيد بأدبار الصلوات في تلك الأيام في قول جمهور أهل العلم، فيشترك في التكبير الحجاج وغيرهم من عامة المسلمين في الأمصار، فقد كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يكبرون في تلك الأيام، ويرفعون أصواتهم بالتكبير في منى حتى ترتج الجبال من صدى أصواتهم.

4- وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ ، أي: من تعجل السفر إلى أهله يوم الثاني عشر بعد رميه الجمرات بعد الزوال وطواف الوداع بعده، ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ ، أي: فلا حرج عليه في الترخص في النفير إذا اتقى الله تعالى بأداء ما عليه من نسكه على الوجه الشرعي، واتقى الله في جميع الأمور، بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، فقد رخص النبي ﷺ للناس في النفير من منى ذلك اليوم.

5- قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ ، أي: من تأخر فبات في منى ليلة الثالث عشر ورمى الجمرات الثلاث يوم الثالث عشر بعد الزوال ثم نفر بعد ذلك من منى ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ في الترخص في التأخير، وهو أفضل عملًا، وأكثر أجرًا، وهو فعل النبي ﷺ وخصوصًا أصحابه رضي الله تعالى عنهم.

6- وقوله تعالى: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ، أي: إذا اتقى الله تعالى في أداء نسكه على الوجه الشرعي، واتقى الله في جميع الأمور بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

7- وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وصية لجميع الحجاج بالتقوى، وهي وصية الله للأولين والآخرين؛ لأنه سبب للخير في الدنيا والآخرة، ووقاية من الشر في العاجلة والآجلة، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:282]، وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:2،3]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق:5].

وقد ضمن سبحانه للمتقين النجاة من النار بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [مريم:72]، وضمن سبحانه للمتقين دخول الجنة بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:63]، وكل من كان في التقوى أكمل كان أعلى منزلة في الجنة وأفضل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:54،55].

8- وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:203] تذكير لهم بيوم الحشر والنشور، فإن تجمعهم في تلك المشاعر ثم تفرقهم منها ما بين مقبول ومردود ومنقوص من أعظم المذكرات، يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الزلزلة:6]، وحث لهم على الاستعداد بخير الزاد، والتوبة قبل المعاد ولاسيما أنهم يستقبلون مخاطر السفر، فقد يكون انصرافهم من تلك المشاعر إلى المقابر فيرتهنون بما عملوا، ويتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق:9].

نسأل الله تعالى للجميع حسن الختام، وتكفير الآثام، والنجاة من النار، والفوز بالجنة دار الأبرار.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

ضحوا تقبل الله ضحاياكم

الحمد لله الذي أجزل العطية، وأثاب المضحِّيَ حسنةً بكل شعرة من الأضحية، ويضاعف الله لمن يشاء، والصلاة والسلام على محمد خير البرية، وعلى آله وصحبه أعلام الهدى والصحبة النقية، ومن تبعهم على صراطهم السوية.

أما بعد:

فهذه مهمات تتعلق بالأضاحي ينبغي أن يعلمها المسلم؛ حتى يضحي على وفق الشرع، **وفيما يلي ذكر جملة منها:**

أولًا: منزلة الأضحية من الدين:

* **الأضحية:** شعيرة معظمة، وسنة مؤكدة في حق من يقدر عليها، اتباعًا لسنة الخليلين إبراهيم ومحمد عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهي قربة جليلة، ونسك عظيم من أفضل ما يتقرب به المسلمون إلى ربهم يوم عيد الأضحى والأيام الثلاثة بعده، قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:2]، وقال سبحانه: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ [الحج:34].

ولقد صحّ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أقام رسول الله ﷺ بالمدينة عشر سنين يضحي، ولما سئل رضي الله عنه عن الأضحية أواجبة هي؟ قال: ضحى رسول ﷺ والمسلمون بعده.

وقد ضحى المسلمون كذلك في حياته وبعد وفاته، حتى استحب بعض أهل العلم للشخص أن يستدين ويضحي إذا كان يستطيع السداد فيما بعد؛ اغتنامًا لموسم الأضحية وعظيم ثوابها، وإظهارًا لشعيرة من شعائر الإسلام.

ثانيًا: فضل الأضحية:

وجاء في فضلها ما رواه الترمذي وحسنه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: « **ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله تعالى من إهراقة دم، وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله تعالى بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفسًا**»، وروي أن النبي ﷺ سُئل عن الأضحية، فقال: «**سنة أبيكم إبراهيم**» قالوا: ما لنا فيها. قال: «**بكل شعرة حسنة**» رواه ابن ماجه عن زيد بن أرقم، ورواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحيرة يوم العيد.

ويكفي في فضلها أن الله تعالى جمع بين النسك والصلاة، فجعل الأضحية والهدي قرينة الصلاة، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:162]، وقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:2]، وكان النبي ﷺ كثير النحر، كثير الصلاة، وهما أجلّ ما يتقرب بهما المسلمون في أمصار المسلمين يوم العيد.

ولما كان للأضحية هذا الفضل العظيم، فإنه ينبغي أن تظهر في مجتمعات المسلمين، فتشتهر في الأحياء والمدن والقرى والهجر، فينبغي أن تذبح في البيوت، وأن يعرف الصغار قيمتها وحكمتها، ويأكلوا منها ويهدوا منها، فلا يجوز إخفاؤها، ولذا أفتى المحققون من أهل العلم بأن ذبح الأضحية أولى من التصدق بثمنها وإرسالها إلى خارج البلد؛ لأن التوكيل على إخراجها هناك من أسباب خفاء الشعيرة والجهل بأحكامها في بلد المضحين. فلو ذبحت في البلد ثم أرسل ما لا يحتاج إليه بعد ذبحها كان أولى؛ لأنه يتحقق به إظهار الشعيرة ونيل ثواب الصدقة.

ثالثًا: تجزئ الأضحية الواحدة عن الشخص وأهل بيته:

والأصل في الأضحية: أنها قربة يتقرب بها المسلم الحي إلى ربه يوم العيد، وينتفع الميت بالأضحية إذا أوصى بها من ثلثه، أو تبرع بها وارثه له، أو أشركه معه في أضحيته، ولقد كان الرسول ﷺ يضحي بالكبش

الواحد عنه وعن أهل بيته، وفيهم الأحياء والأموات، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ أمر بكبش أقرن يطأ في سواد ويبرك في سواد وينظر في سواد، فأتي به؛ ليضحي به، فقال لها: يا عائشة هلمي المدية - يعني السكين - ثم قال: اشحذيها بحجر، ففعلت، ثم أخذها، وأخذ الكبش فأضجعه ثم ذبحه ثم قال: **«بسم الله اللهم تقبل من محمد وآل محمد»**، وفي حديث أبي رافع عند أحمد قال: فمكثنا سنين ليس لرجل من بني هاشم يضحي قد كفاه الله المؤنة - برسول الله ﷺ - والغرم وعند الترمذي، وابن ماجه، عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: كان الرجل في عهد رسول الله ﷺ يضحي بالشاة عنه وعن أهل بيته، فيأكلون ويطعمون.

رابعًا: ذبح الأضحية أفضل من إرسالها إلا الأمصار أو التصدق بثمنها:

ولما كانت الأضحية شعيرة دينية، ونسكًا عامًا في الأمصار كان ذبحها أفضل من التصدق بثمنها - ولو مع الحاجة -؛ لما في ذبحها من إظهار الشعيرة ولأنه يمكن مواساة الفقراء بلحمها بعد ذبحها، فيحصل الأمران: الذبح والصدقة، وهو عمل النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، فإنهم كانوا يضحون مع ما بالمسلمين في زمانهم من الشدة والفقر حتى أن النبي ﷺ كان يحث أصحابه على الأضاحي، ويأمرهم بتفريق لحمها على الفقراء، وينهاهم عن ادخاره فوق ثلاثة أيام، كما ثبت في الصحيحين عن سلمة ابن الاكوع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وبقي في بيته منها شيء»**، فلما كان من العام المقبل، قالوا: يا رسول الله نفعل كما فعلنا في العام الماضي؟! فقال رسول الله ﷺ: **«كلوا وأطعموا وادخروا، فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها»**.

خامسًا: صفة أضحية النبي ﷺ:

* وثبت في الصحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: **«ضحّى رسول الله ﷺ بكبش أقرن فحيل يأكل في سواد ويمشي في سواد وينظر في سواد»**، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: **«ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين»**، والأملح هو الذي فيه سواد وبياض والبياض أكثر، وفي المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: دم عفراء أحب إليّ من دم سوداوين. والعفراء البيضاء بياضًا ليس بالشديد، قال الإمام أحمد رحمه الله: يعجبني البياض.

ومن تأمل الأحاديث الواردة بشأن أضحية النبي ﷺ، وتوجيهه للأمة في ذلك تبين له أنه ينبغي أن يجتمع في الأضحية أوصاف عدة هي: **أن تكون: كبشًا من الضأن، فحلًا خصيًا، أقرن، أعفر، به سواد وبياض**، والسواد في فمه وعينيه وبطنه وأسفل قوائمه، وما سوى ذلك أبيض ليس بالبياض الخالص، و**أن يكون ثنيًا، ويجزىء الجذع من الضأن، وأن يختار السمين العظيم الجسم**، فيجمع فيه السِّمن، وعظم الجسم، وجمال الصورة، وتمام السن.

سادسًا: وقت ذبح الأضحية:

ومما ينبغي أن يعلم أن وقت ذبح الأضحية يبدأ بعد الفراغ من صلاة العيد، فلا يجوز أن تذبح قبل الصلاة، فمن ذبح قبل صلاة العيد، فذبيحته غير مجزية بل هي ذبيحة لحم، فعليه أن يذبح بدلا عنها، ويمتد وقت الذبح إلى غروب الشمس يوم الثالث عشر من ذي الحجة؛ لقوله ﷺ: **«وكل أيام التشريق ذبح»**.

ويجوز ذبح الأضحية ليلًا - في تلك المدة - لكن الذبح نهارًا أفضل لما فيه من اتباع السنة، وإظهارًا للشعيرة، ولكن قد تدعو الحاجة إلى الذبح ليلًا فيسّر الله ذلك، وله الحمد والشكر.

سابعًا: ومما يتعلق بالأضحية كذلك:

أنه ينبغي أن يباشر المضحي ذبح أضحيته بنفسه - إن تيسر له - اقتداء بالنبي ﷺ، وأن تكون الأضحية سليمة من العيوب، فإن ذلك من تعظيم شعائر الله، ومن يعظم شعائر الله، فإنها من تقوى القلوب، فلا يكون فيها عور، ولا عرج، ولا مرض، ولا هزال، ولا قطع، ولا كسر قرن، ولا غير ذلك من العيوب، ولذا أمرهم النبي ﷺ أن يستسمنوا الأضاحي وأن يستعظموها، وأن يستبشروا القرن والأذن.

ومن أحكام الأضحية أن من أراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره ولا ظفره شيئًا من دخول عشر ذي الحجة،

حتى يذبح أضحيته؛ لقوله ﷺ: **«إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمسن من شعره وبشره شيئًا»**، وفي رواية: **«فليمسك عن شعره وأظفاره»**، وهذا خاص بمن يبذل عن الأضحية، فمن أخذ من شعره وأظفاره شيئًا ناسيًا فلا شيء عليه، وإن كان متعمدًا أثم وأضحيته صحيحة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

فى ختام المناسك

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

قال الله تعالى في سياق آيات المناسك: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:200]، فأمر تعالى بأن يلهج الحجاج بذكره سبحانه كما يلهجون بذكر آبائهم أو أشد، والمعنى على ما قال جماعة من المفسرين رحمهم الله تعالى **على أمرين:**

المعنى الأول: أن يلهجوا بذكر الله تعالى كما يلهج الأطفال بذكر آبائهم وأمهاتهم مما يدل على شدة التعلق بالله تعالى؛ وذلك لأن الطفل لا يعرف إلا أباه وأمه، فتعلقه بهما شديد، وهكذا حال من لا يعرف إلا ربه ـ جل وعلا ـ فهو الذي يستحق أن يلهج بذكره آناء الليل وآناء النهار؛ لعظم حقه وكمال حبه وكثرة إحسانه وشدة تعلق قلوب العباد به.

المعنى الثاني: أن أهل الشرك كانوا إذا فرغوا من المناسك، وقفوا عند الجمرات وأخذ الشخص منهم يعدد مآثر آبائه وأجداده على وجه التمدح والتعاظم والتفاخر على الآخرين، فأمر الله تعالى أهل الإيمان أن يذكروا الله تعالى بعد فراغهم من مناسكهم، وأن يثنوا عليه أكثر مما يتمادح أهل الجاهلية بآبائهم ويعددوا من مآثرهم ومفاخرهم، فإن حق الله أعظم وإحسانه أجلّ.

والآية ـ على كل من التقديرين ـ توجه إلى كثرة ذكر الله تعالى، والمبالغة في الثناء عليه بما هو أهله وإظهار الافتقار إليه في ختام المناسك؛ لعظم حقه وكثرة ما أنعم به مع صدق الضراعة إليه أن يمن بالعفو وأن يختم بالقبول وأن يمنح عباده الجليل من مطالب الدنيا والآخرة وأن يحسن الختام والمنقلب.

ولهذا ذكر سبحانه أنواع الناس في الطلب والاحتياج إلى الله تعالى:

- **فمنهم من همه الدنيا، ولا رغبة له في الآخرة؛** لقصور نظره ونقص عقله وقلة فقهه، إذ ملأت الدنيا قلبه، فأعمته عن آخرته، ولهذا أشار الحق إليه بقوله سبحانه: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة:200]، ومن كانت الدنيا همه فرّق الله شمله، وشتت ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له.
- **وأما الصِّنف الآخر الموفق:** فهو الذي جعل الآخرة همه ولم ينس نصيبه من الدنيا؛ لفقهه في دينه وعلمه بقيمة آخرته، وأن طلب الآخرة يأتي على مطالب الدنيا والآخرة، وقد أشار إلى ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة:201]. ومن كانت الآخرة همه جمع الله له ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة.

ومن جوده سبحانه أن يعطي كلًّا من سعته، يقول تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة:202]، ولذا قال سبحانه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:18-21].

فينبغي للحجاج في ختام مناسكهم، أن يلهجوا بذكر الله تعالى، والضراعة إليه، وأن يكون جل مطلبهم الفوز بالأرباح في الآخرة ولا يفوت ذلك عليهم من دنياهم شيئًا، فإن ذكر الله تعالى ودعاءه هو مخ العبادة وحقيقة التوحيد، والوسيلة العظمى لتحصيل المطالب وأعلى المراتب في الدنيا والآخرة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

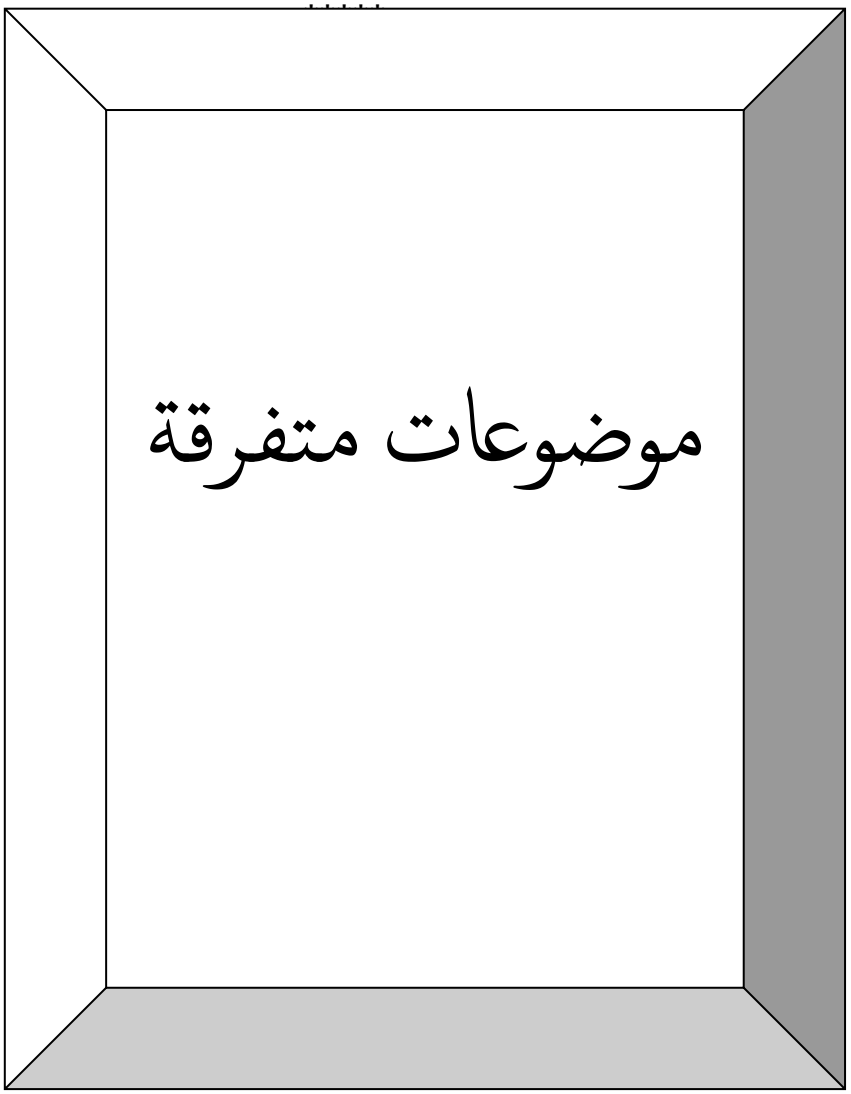
موضوعات متفرقة

فضل القرآن الكريم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده؛ ليكون للعالمين نذيرًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الذي أنزل الله عليه الكتاب والحكمة، وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيمًا، وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون.

أما بعد:

فإن القرآن: هو كلام الله المتعبد بتلاوته، المنزل على قلب محمد ﷺ بلسان عربي مبين، المعجز بأقصر آية منه، الذي أعجز الورى عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، المبدوء بالحمد لله رب العالمين، المختتم بالجنة والناس.

وهو أصدق الحديث، وأفضل الكلام، وأشرف الذكر، وفضله على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه.

وصفه الله تعالى بأوصاف تنبئ عن عظمة شأنه وقوة حججه وبرهانه وبليغ بيانه وحسن عاقبته على تاليه والمتدبر له، ويمنه على أهله العاملين به، فوصفه الله تعالى بأنه نور وهدى وموعظة وذكرى وتبصرة وشفاء، وأنه فرقان وبيان إلى غير ذلك من أوصافه العظيمة ونعوته الكريمة ولو لم يكن من ذلك إلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:9]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل:77]، وقوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران:103]؛ لكفى في التنويه بشرفه والإشادة بفضله.

وهو النور المبين، والصراط المستقيم، والحبل المتين الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَقُ من كثرة الرد، وناهيك بكتاب هذا شأنه وأثنى الله تعالى على بركته وبيانه.

* وكم في سنة النبي ﷺ من الحث على العناية بالقرآن، والترغيب بما في تلاوته وتدبره من فضل الرحمن، كقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا**»، وقوله: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي شفيعًا لأهله**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر فيه مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**».

فكل هذه النصوص وأمثالها كثيرة في الإشادة بفضائل القرآن والتنبيه على حسن أثره وبركته على أهل العلم والإيمان، والحض على العناية بتلاوته وتجويد قراءته والتغني به، «**فما أذن الله** ـ أي: استمع ـ **لشيء أذنَهُ** ـ أي: استماعه ـ **لرجل حسن الصوت يتغنى بالقرآن**».

فكن ـ أخي المسلم ـ من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وذلك بتعلمه وتدبره وفهمه ومعرفة مراد الله به بفهم السلف الصالح، والعمل به والتخلق به، والدعوة إليه، وتعليمه وتحكيمه على نفسك، ودعوة الناس إلى العمل به والتحاكم إليه، والحذر من الإعراض عنه ومخالفته والاشتغال بتلاوته، كل ذلك على الهدي المأثور عن النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، تكن مباركًا أينما كنت، وبفضله تنال الفوز بالجنة والكرامة.

جعلني الله وإياك من أهله وأئمة الناس فيه، وجعله حجة لنا ورفعة عنده يوم نلاقيه.

وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

واجب الأمة نحو تعليم القرآن والمشتغلين بحفظه

الحمد لله ذي الفضل والنعمة، منزل الكتاب والحكمة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الذي بشر بخيرية من تعلم القرآن وعلمه، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فمن المتقرر لدى كل مسلم أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي أنزله سبحانه؛ هداية لعباده وموعظة لهم وذكرى ونورًا وشفاء وتبيانًا لكل شيء، وهاديًا للتي هي أقوم إلى غير ذلك من أوصافه العظيمة الدالة على عظمته وعظم بركته وحسن عاقبته على من يتعلمه ويتلوه حق تلاوته.

فهو فضل الله تعالى على عباده، أنزله على محمد ﷺ الرحمة المهداة وهما ـ أعني القرآن والرسول ـ أعظم ما يُفرح بهما في هذه الحياة الدنيا، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:58]، فيشرع الفرح بهما، وينبغي إظهار الاغتباط بهما.

وقد صح عن النبي ﷺ قوله: **«ما أذن الله** ـ أي: استمع ـ **لشيء أذنَهُ** ـ أي: استماعه ـ **لرجل حسن الصوت يتغنى بالقرآن»**، كيف لا، وقد قال ﷺ: **«ما بعث الله نبيًا قبلي إلا آتاه من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ** ـ يعني: القرآن وبيانه من السنة ـ، **فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»**، وقد تحقق ذلك بحمد الله، فصارت هذه الأمة أكثر الأمم اتباعًا للمرسلين، وهي أكثر أهل الجنة يوم الدين، ومن أسباب ذلك إيمانها بالقرآن وعنايتها بتعلمه وتعليمه والعمل به وتحكيمه واحترامه وحسن الأدب معه وتعظيمه وإجلال وتكريم حفظته العاملين به.

وقد تضمّن الحديث السابق إشارةً إلى أمرين:

الأول: أن الكتب التي أنزلها الله تبارك وتعالى على المرسلين، وأعظمها شأنًا القرآن أعظم آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي أيدهم الله تعالى بها على الإطلاق.

الثاني: عظم أثر القرآن العظيم في إصلاح القلوب، وإنارة البصائر، وهداية المكلفين إلى دين الله تعالى ، لا سيما وقد تكفل الله تبارك وتعالى بتيسيره وبيانه وحفظه.

فالقرآن هو آية الله الباقية على مر الدهور، والمعجزة المستمرة على توالي العصور، والنظام الشامل، والشرع الكامل للمكلفين من الجن والإنس، وقد بلّغه النبي ﷺ كما أُنزل إليه، وبيّنه للناس كما أوحاه الله تعالى إليه على وجه اتضحت به المحجة وقامت به الحجة وزالت به المعذرة ووجب العمل.

وكتابٌ هذا شأنه ينبغي أن يكون محل عناية المسلمين عامة وأولياء الأمور خاصة، وأن تتضافر جهود الجميع ـ كلٌّ على حسب طاقته ـ على توجيه الهمم إليه، وإعانة أهل الإسلام على حسن تعلمه وتلاوته وفهم معانيه، ومعرفة كيفية العمل به والدعوة إليه.

أ- فالآباء يوجهون أبناءهم إلى مجالس دراسته وحفظه، ويرغبونهم ويلزمونهم ويؤدبون المتكاسل واللاعب.

ب- وجماعات تحفيظ القرآن تُعنى بتوفير المدرسين الأكْفاء المؤهلين الأمناء ذوي الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح والخلق الحسن.

ت- وتواصل جهات تعليمه متابعة الإشراف وتقويم الأداء ودراسة النتائج؛ ضمانًا لتحقيق الغرض، وحذرًا من ظهور نشء يقرءون القرآن، ويتأولونه على غير تأويله، فيَهلكون ويُهلكون غيرهم.

ث- وأهل المال والفضل يبذلون أموالهم بسخاء في سبيله؛ طمعًا في مضاعفة المثوبة ورفعة الدرجة في الدنيا والآخرة، فإن هذا الاتجاه أفضل ما تُنفق فيه الأموال، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ:39].

ج- ومعلمو القرآن يتذكرون قوله ﷺ: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**، فيصبرون على التعليم والمتعلمين ويعلمونهم الآيات وما فيها من العلم والعمل، ويحتسبون اللحظات والأنفاس عند الله تعالى في الموازين،

وقد جلس أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى لتعليم القرآن أكثر من خمسين سنة.

ح- وولاة الأمور من العلماء والحكام وكافة المسؤولين في الدولة يؤدون واجبهم نحو هذا المشروع الخيِّر بنصيحة وحسن رعاية وجدية في المتابعة؛ كما ينصحون لسائر فئات الأمة؛ أداءً للأمانة وضمانًا للمسيرة، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وأجرهم على الكريم عظيم الإحسان. مع إخلاص النية.

خ- وإخلاص القصد لله تعالى مع الاستغاثة به وحسن الأسوة بالنبي ﷺ تكلل الجهود بالنجاح وتوفر أسباب الصلاح والفلاح، ولن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وقد أصلح أولها الإيمان بالله ورسوله والعمل الصالح ابتغاء وجه الله تعالى عن علم ويقين، والنصح للخاص والعام، ومحبة الخير لسائر أهل الإسلام.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:66-70].

وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وأزواجه وذرياته.

*****

واجب المجتمع نحو حفظة كتاب الله

الحمد لله الذي أنزل الكتاب لكل شيء تبيانًا، وأقام فيه على خلقه برهانًا، وقيض لحفظه البر والفاجر، فالبر مأمون، والفاجر محزون، وصلى الله وسلم على النبي الأمي، وعلى من تبعه على نهجه النقي، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن القرآن العظيم هو كلام رب العالمين أصدق القيل وأحسن الحديث، وأبرك الذكر وأشرف الكتب، هدى لمن تلاه حق تلاوته، ونور لمن اتبعه وتمسك به، وتذكرة لمن تدبره وعقله، وله الأثر المبارك على من استمسك به في صلاح سريرته وجمال سيرته ونور بصيرته وانشراح صدره وتيسير أمره وقوة حجته وبلاغة عبارته، إلى غير ذلك من عواقبه الحميدة وآثاره الحسنة.

ولهذا أمر الله تعالى بتلاوته، وحث على تدبره، وأوصى بالتمسك به، وأثنى على أهله العالمين به المتخلقين بأخلاقه المتأدبين بآدابه، وجعلهم أئمة عباده وخاصته من خلقه؛ لما يحصل بذلك من تحقيق العمل به وتطبيق أحكامه ونشر هداياته والتعبد لله تعالى به والإحسان إلى عباده بهدايتهم إليه . ولا يكون المرء مباركًا أينما كان حتى يكون عالمًا بكتاب الله تعالى، عاملًا به، داعيًا عباده إليه.

ولقد جاءت السنة الصحيحة عن النبي ﷺ بالأمر بتعلمه وتعليمه والثناء على المعتنين به، ووعدهم بالوعد الكريم والأجر العظيم من الرب الرحيم، كقوله ﷺ: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**، وقوله عليه الصلاة والسلام: **«إن الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا»**، وقوله ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»**، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وشهيرة.

وعليه فإن تشجيع المجتمع بكافة فئاته لحفظة كتاب الله تعالى والمنتسبين لحلقات تحفيظ القرآن والجهات المشرفة على ذلك يُعد من نفيس القرب وجليل العبادات؛ لما يرجى أن يتحقق بذلك من حفظه وضبطه وتذكرة الناس به، وصيانته من الغلط والتحريف، أو تأوله على غير تأويله مما ينتج عنه سوء فهمه والعمل به باتباع المتشابه منه، وترك محكمه، فلذلك تنبغي العناية به وبحفظته حتى يُتلى حق تلاوته، وحتى يثبت حفظتُه على منهاج السلف الصالح في العلم والاعتقاد والقول والعمل والهدي والدعوة والبعد عن الشبه وأسباب الزيغ والفتنة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة:2]، وقال سبحانه: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:3]، وصح عن النبي ﷺ قوله: **«من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله»**، وقوله ﷺ: **«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»**، وقوله: **«من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته».**

* فكن ـ أخي المسلم ـ ممن يعين على هذا المسلك الراشد، والنهج القويم، والاتجاه الخير، تحمد العاقبة، وتربح في التجارة في الآخرة، ساهم في هذه المسيرة الخيرة، وأعن هذه النخبة المباركة ـ المشتغلين بتعلُّم القرآن وتعليمه ـ برأيك، وجهدك ومالك وجاهك وقلمك، وابذل ما استطعت من إمكاناتك، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٩٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡ﴾ [البقرة:٢٧٢]، واحذر أن تكون ممن لا يرفع بهذا الخير رأسًا، فإن الله تعالى غني عنك، وله من العباد منهم خير منك، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد:38].

جعلني الله وإياك من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، ومن أئمة الناس فيه، وحشرنا إليه وفدًا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

*****

معالم من المنهاج النبوى

الحمد لله الذي أنزل الهدى، وجعل نبيه محمد ﷺ إمامًا لمن اهتدى، وقائدًا إلى جنة المأوى، وعلى آله وصحبه أدلاء من أراد التقوى.

أما بعد:

فقد كان من معالم المنهاج النبوي ـ على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ـ مبادرة الأوقات والمناسبات، بما شرع الله تعالى فيها من فرائض الطاعات، وفعل جنسها من جليل القربات؛ تحببًا إلى الله تعالى، وتجملًا بين يديه، ومسارعة إلى مغفرته وجنته، وطلبًا لرفعة الدرجة لديه، وعمارة للوقت بما يحب، وتكميلًا لما يستحب، طلبًا لعظيم الأجر، وكريم المثوبة، وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى فضلًا عن أن تستقصى.

وأنا أذكرُ لك معالم بارزة وقواعد جامعة لهذا المنهاج الكريم تجمع أساسه وتفصل أجناسه:

أولًا: الاشتغال بالذكر والحض على الإكثار منه:

- فلقد كان النبي ﷺ يذكر الله تعالى في كل وقت وحين، وأوصى غيره بقوله: **«لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»**، وقال: **«سبق المفردون»**. فقيل: ومن المفردون يا رسول الله؟ **فقال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»**، إحالة على قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق** ـ يعني: الفضة، ـ **وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم** ـ يعني نافلة الجهاد ـ، قالوا: بلى يا رسول الله! قال: **ذكر الله»**، وسُئل ﷺ عن أفضل أهل كل عمل؟ فقال: **« أكثرهم لله تعالى ذكرًا »**.
- وإنما كان ذكر الله تعالى بهذه المثابة؛ لأنه أدل شيء على توحيد الله تعالى وخشيته وحبه والرغبة الصادقة في رضاه وحبه، فإن من أحبّ شيئًا أكثر ذكره، وفيه صلاح القلب وطمأنينة النفس وانبعاث الهمة والجوارح إلى طاعة الله تعالى وقوتها على ذلك وانكفافها عن معصيته ومخالفته؛ رغبة إليه ورهبة منه.

ثانيًا: العناية بشأن الصلاة فريضة ونافلة:

- وكان ﷺ إذا أُذن للصلاة وثب وترك شغله الذي بين يديه، واشتغل بأمر صلاته، وأخبر أن أحب العمل إلى الله تعالى الصلاة لوقتها، ويحض على الصلاة مع الجماعة، ويبين أنها أكمل للصلاة، وأعظم للأجر وأرضى لله تعالى وأرفع للدرجة عنده، وأنها براءة من النفاق ومن النار، ويقول: **«من سمع النداء** ـ يعني: الأذان ـ **فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر»**، وقال ﷺ لرجل طلب منه الترخيص في ترك الجماعة: **«أتسمع النداء؟»**، قال: نعم، قال: **«فأجب»**، وفي رواية: قال: **«لا أجد لك رخصة»**.
- وكان ﷺ يتوعد المتخلفين عن الجماعة من غير عذر بتحريق بيوتهم عليهم ويصفهم بالنفاق ويحذرهم من سوء الخاتمة، وبين أن ترك الصلاة محبط للعمل، وأنه شرك وكفر وسبب للحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف ونحوهم من أساطين الكفر وأكابر الطغاة المتجبرين على الله تعالى والذين يعرضون على النار غدوًا وعشيًا ـ مدة البرزخ ـ ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب، والنصوص في هذا معلومة، وشهرتها تغني عن ذكرها.

ثالثًا: الاهتمام بالصدقة والزكاة والتشديد بشأنها:

- وذات مرة قام ﷺ من مصلاه ـ حين صلى العصر ـ مسرعًا إلى بيته ثم رجع إلى المسجد، فلما رأى أن الناس قد استنكروا مبادرته قال: **«إني ذكرت تبرًا** ـ يعني: ذهبًا ـ **عندنا من الصدقة لم يقسم فأمرت بقسمته»**.

- وكان ﷺ يحض على الزكاة والصدقة، وبين أنها لا تنقص المال، وأن الله تعالى يخلف على المرء ما أنفق صدقة وزكاة، ويقول: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»**، ويقول: **«ما يسرني أن لي مثل أحد ذهبًا تمضي عليّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وشماله ومن وراء ظهره»**.
- وكان ﷺ أجود الناس وأسخاهم بما في يده وأبعدهم عن المن بفضله، وما ذلك إلا لحسن ظنه بربه، وصدق توكله عليه، وعظيم رجائه له وشديد رغبته في مثوبته، وحبه لما يحبه الله من الإحسان، وزهده في الدنيا والتماسه لما فيه رفعة الدرجة في الآخرة.

رابعًا: الإكثار من صوم النافلة والتأكيد على الوصية به:

- وكان ﷺ يصوم يومي الاثنين والخميس، ويقول عنهما: «**إنهما يومان تعرض فيهما أعمال العباد على الله تعالى، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**»، فيتزين ﷺ لعرض عمله على ربه بالصيام الذي قال الله تعالى فيه: « **كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»، وكان ﷺ لا تشاء أن تراه صائمًا إلا رأيته، ولا تشاء أن تراه مفطرًا إلا رأيتـه، وما ذلك إلا أنه ﷺ كان إذا شغل عن صيام اعتاده بسفر أو مرض أو نحوهما قضى ما فاته من تلك الأيام فصامها سردًا.

خامسًا: الشفاعة الحسنة والحض عليها:

- وكان ﷺ إذا جاء طالب شفاعة أو صاحب حاجة شفع له وسعى في حاجته؛ حتى إنه ﷺ شفع لأحد أصحابه عند يهودي، فلم يشفعه، وشفع لدى مولاته بريرة لزوجها مغيث أن تبقى على زواجه بها بعد عتقها فلم تقبل منه، وكان ﷺ إذا جاءه صاحب حاجة أقبل على أصحابه، فقال: «**اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**»، وفي رواية: «**ما أحب**»، وكان يقول: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»، ويقول: «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**».

سادسًا: الحض على الإحسان إلى مستحقه:

- فقد كان ﷺ يحسن إلى الناس بقوله وفعله، فيعفو عن المسيء، ويحلم على الجاهل، ويبذل المعروف، ويحض الناس على الإحسان بالكلمة الطيبة ويخبر أنها صدقة، ويقول: كل معروف صدقة، ويحض على إماطة الأذى عن الطريق، والإحسان إلى البهائم، ويخبر أن ذلك من الصدقات التي تنال بها المغفرة وتدخل بها الجنة.

وأدلة هذا المنهاج النبوي كثيرة ومعالمه شهيرة، فعليك ـ أخي المسلم ـ أن تحذو حذو نبيك ﷺ وأن تتأسى به، وتستن بسنته حتى يحبك الله، ويغفر لك ويمن عليك بواسع فضله، ويشرح لك صدرك ويضع عنك وزرك، ويرفع لك ذكرك، ويجعلك مباركًا أينما كنت على نفسك وأهلك ومن حولك.

رزقنا الله وإياك ذلك، وألحقنا بنبينا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فإن المرء مع من أحب يوم القيامة، وآية الحب الاتباع، والحذر من هجر السنة والابتداع.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وصايا من جوامع الكلم

الحمد لله وكفى، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى، اعتنى عليه بقوله تعالى، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:3،4].

أما بعد:

فإن من المتفق عليه بين أهل العلم بسيرة النبي ﷺ أن النبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارًا، فيعبر عن المعاني الكبيرة الكثيرة بألفاظ واضحة يسيرة .

فمن جوامع كلمه ﷺ ما وصّى به أحد أصحابه رضي الله عنهم قائلًا: **«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»**.

فهذه ثلاث وصايا عظيمة جوامع لخيري الدنيا والآخرة:

الوصية الأولى: اتق الله حيثما شئت:

يعني: الوصية بتقوى الله تعالى في كل حال وزمان ومكان.

والتقوى: اتخاذ وقاية بين الشخص وبين عذاب الله تعالى بفعل طاعة الله علي نور الله؛ رجاء ثواب الله وترك معصية الله علي نور من الله؛ خوف عقاب الله، فلا يراه الله حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، وغايتها أن يدع مالا بأس به خشية مما به بأس.

والوصية بالتقوى هي وصية الله للأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:131]، وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ [النساء:1]، وصحّ عن النبي ﷺ قوله: **«وأكرم الناس عند الله تعالى أتقاهم له»**.

ومن ثمرات التقوى: المخرج من الضيق، والرزق من غير احتساب، وتيسير الأمور، وتكفير السيئات، وعظم الأجور، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق:2،3]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [الطلاق:4]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق:5].

ومن ثمراتها: العلم النافع، والفرقان بين الحق والباطل، وإيتاء الرحمة والنور، ومغفرة الذنوب، وزيادة الفضل، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:282]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال:29].

وأعظم ثمرات التقوى: النجاة من النار، ووراثة الجنة دار الأخيار، فإن الله تعالى لما ذكر النار، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾ [مريم:72]، وقال الله تعالى في الجنة: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم:63].

وبالجملة: فأسعد الناس وأوفرهم حظًّا من خيري الدنيا والآخرة وأعظمهم أجرًا وأعلاهم رتبة في الجنة وفوزًا برضا الله تعالى؛ أكملهم حظًّا من التقوى.

الوصية الثانية: أتبع السيئة الحسنة تمحها:

فإنه لما كان ابن آدم خطّاءً وخير الخطائين التوابون، فمهما اجتهد الإنسان في تحقيق التقوى، فإنه لابد أن يحدث منه ما ينقص تقواه، ولذلك أرشد الله ورسوله العبد إلى ما يحصل به تدارك ذلك، وسد ما يحصل من خلل، فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود:114]، وقال ﷺ: **«وأتبع السيئة الحسنة تمحها»** يعني: إذا أسأت، فأحسن؛ ذلك لأن الله تعالى يمحو السيء بالحسن، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ

﴿يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود:114]، وكما جاء عنه ﷺ أنه قال: «**من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله**».

فما دام ابن آدم كلما عصى تاب، وكلما غفل ذكر الله، وكلما ظلم أصلح مع الندم على فعله والعزم على ألا يعود لمثله، فإنه لا يبقي عليه خطيئة، فما أعظمها من وصية لمن عقلها وعمل بها.

الوصية الثالثة: خالق الناس بخلق حسن:

فإن حسن الخلق عبادة عظيمة، وخليقة كريمة، أثنى الله تعالى به على رسوله ﷺ، وذكره من محاسن خصال صالحي عباده، وضمن لأهله المغفرة والجنة وكل وعد كريم، قال الله تعالى مثنيًا وممتنًا على نبيه الكريم بما جبله عليه من الخلق الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4].

ووصف سبحانه عباده المتقين بقوله:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:134-136].

فالتقوى، والسخاء، وكظم الغيظ، والعفو عن المسيء ـ إذا ترجحت مصلحة العفو عنه ـ والإحسان إليه، واجتناب الفواحش، والتوبة عن الذنوب، وحل عقدة الإصرار، كل هذه من خصال أهل الخُلق العظيم، وجزاؤهم عند الله عليها المغفرة والجنة.

والوصية بالخلق الحسن وصية بالإحسان في معاملة الناس، ولن يتأتى ذلك إلا بالخلق الحسن، فإنما يوسع الناس بالأخلاق لا بالأرزاق.

والخلق الحسن تتحقق به سلامة الصدور، واتقاء الشرور، وصلاح ذات البين، والتعاون على كل خير.

وثبت عن النبي ﷺ أن الخلق الحسن أثقل شيء في ميزان العبد، وأن أهل الخلق الحسن أحب الناس إلى النبي ﷺ وأقربهم منه منزلة يوم القيامة، وإن الخلق الحسن من أكرم العطايا، وضمن ﷺ بيتًا في الجنة لمن حسن خلقه، وأقر من قال: يا رسول الله، ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة، فقال: «**أجل**»، أي: الأمر كذلك، والمعنى: أن حسن الخلق جمع لصاحبه خيري الدنيا والآخرة.

والخلق الحسن يتحقق بخمسة أمور:

الأول: طلاقة الوجه عند اللقاء، فإنه من المعروف لقوله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**».

الثاني: الكلمة الطيبة، فإنها صدقة، قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة:83]، وقال ﷺ: «**والكلمة الطيبة صدقة**»، وقوله ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة**».

الثالث: كف الأذى عن الناس، فإنه صدقة من المرء على نفسه؛ لقوله ﷺ: «**تدع الناس من الشر فإنها صدقة منك على نفسك**»، وقوله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، وقوله ﷺ: «**والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**».

الرابع:تحمل أذى الناس ما كانت فيه المصلحة راجحة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:134].

الخامس: الإحسان إلى الناس مع إساءتهم ـ إذا كان في ذلك إصلاحًا ـ؛ طلبًا لمرضاة الله تعالى، وإصلاحًا لهم، وأداءً لحقهم الذي أوجبه الله تعالى عليهم، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى:﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [آل عمران:134].

وسوء الخلق من أعظم أسباب الجنايات، ومسببات الأمراض المهلكة للبريات وجماع شرور الدنيا والآخرة.
فبالخلق الحسن يحسن المرء إلى نفسه وإلى غيره، ويتقي الشر كله، ولهذا أوصى به النبي ﷺ.
جعلنا الله جميعًا من أئمة المتقين، ومن التوابين المتطهرين، وبأخلاق النبي ﷺ مقتدين، فإنه المخاطب بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:4].
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

التحذير من ترويج الكذب على رسول الله ﷺ

الحمد لله القائل: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ [النحل:105]، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله القائل: «**من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**».

أما بعد:

فقد روى مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم** ـ يعني: احذروهم ـ **لا يضلونكم لا يفتنوكم** ».

ولقد تداول بعض الناس ـ خلال أيام مضت ـ وريقة مشتملة على خرافة منسوبة إلى شخصية مجهولة يُدعى ـ الشيخ أحمد حامل مفاتيح الحرم ـ، وهذه الفرية يُروج لها منذ عشرات السنين، وتتضمن زعم المذكور رؤية النبي ﷺ، وأنه أوصاه بمضمونها وأمره أن يبلغها الناس وأن ينشرها ويحثهم على نشرها، ومن لم يوزعها جاءه من المرض كذا وكذا، ومن أهملها أصابه من البلاء كذا وكذا، إلى آخر ما جاء في تلك الوريقة من الخرافة والكذب والافتراء وما شابه ذلك، وفيها آيات قرآنية قصد من إيرادها لبس الحق بالباطل.

ومن تأمل تلك الوصية المزعومة، وعنده أدنى مسحة من عقل، تبين له أنها كذب على الله ورسوله من أجل فتنة الناس وتضليلهم.

وبيان بطلان هذه الوصية بما يلي:

الأول: أنه لا يُعرف شخص بهذا الاسم ولا في هذه الوظيفة حتى يمكن الرجوع إليه ومعرفة حاله من جهة ديانته وعدالته حتى ينظر فيما نسب إليه.

الثاني: ركاكة أسلوب تلك الوصية الذي يتنافى أن تكون من كلام مَنْ أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارًا ﷺ.

الثالث: أن النبي ﷺ لم يمت حتى بلّغ كل ما أنزل إليه من ربه وبينه، وقد ترك أمته على بيضاء نقية، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولقد توفي النبي ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وترك عند الصحابة رضي الله عنهم عنه خبرًا. فكيف بما هو أهم من ذلك من النصيحة والترغيب والترهيب؟!

ولقد اعترف أساطين اليهود بأن النبي ﷺ علم أمته كل ما تحتاج إليه فقالوا: علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ـ أي آداب قضاء الحاجة ـ، فقال الصحابة رضي الله عنهم: أجل ـ يعنون أنه ﷺ علمهم ذلك ـ، فلم يحوج ﷺ أمته إلى خرافة تتلقى عن مجهول بواسطة رؤيا منامية، فجزاى الله نبيه محمدًا ﷺ عن أمته خير ما يجزي نبي عن أمته، وجزى ذلك الأفاك الكذاب المضل ما يستحقه.

الرابع: أن هذا الأفّاك الكذّاب جعل هذه الوصية المفتراة أعظم من القرآن وأفضل حيث زعم أن من كتبها وأرسلها من بلد إلى بلد حصل له كذا من المال، ومن لم يكتبها وأهملها يعاقب أو عوقب بتعرضه لحادث أو موت ولده وأنه يحرم الشفاعة، وهذا من أعظم الكذب على الله، فإن من كتب القرآن وأرسله إلى بلدان عديدة لا يقطع بأن يحصل له ذلك، فكيف يحصل ذلك لكاتب هذه الفرية ومروجها، فهل تكون هذه الوصية أعظم من القرآن؟!

الخامس: زعمه أن النبي ﷺ قال: قد مات من الجمعة إلى الجمعة مائة وستون ألفًا على غير الإسلام، فهذا من أعظم الكذب؛ فإنه من أمور الغيب، والنبي ﷺ لا يعلم ما تحدث الأمة أو ما يحدث لها بعد وفاته؛ لأن هذا من الغيب، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل:65]، وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليُذادن أقوام من أمتي عن حوضي فأقول: أصحابي إنهم من أمتي فيقال: إنك لا تدري ما**

أحدثوا بعدك إنهم لم يزالوا مرتدين منذ تركتهم، فأقول: سحقًا سحقًا – أي: بعدًا بعدًا –»، فإذا كان النبي ﷺ لا يدري ماذا أحدث بعض أمته بعده، فكيف يدري بعد موته أنه قد مات من أمته بين جمعتين مائة وستون ألفًا على غير الإسلام؟! وهذا الأمر من أعظم الفرية والكذب على النبي ﷺ.

وأما ما في الوصية المزعومة من ذكر بعض المنكرات وقرب يوم القيامة، فهذا أمر واقع. وفي الكتاب والسنة من التحذير من المنكرات، والإخبار بأشراط الساعة وقربها ما فيه غنى عن هذه الفرية، ولكن هذا الكذَّاب ذكر هذه الأمور من أجل أن يلبس على الناس بذكر شيء من الحق، فإن الباطل الخالص لا يروج على العقلاء، وإنما يروج على بعض الناس إذا خلط بشيء من الحق، فيظنوه حقًا كله.

والخلاصة: أن هذه الوصية المزعومة وما اشتملت عليه من أنواع الإفك من ذكر فوائد تحصل لمن كتبها ووزعها وأضرار وأخطار يتعرض لها من أهملها ومنعها كل ذلك من الكذب البين والإفك العظيم على الله ورسوله والإحداث في دينه ما ليس منه، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل:105]، وقال ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**، متفق عليه.

وفي صحيح البخاري، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار»**، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: **«لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار»**، وفيهما أيضًا أنه ﷺ قال: **«إن كذبًا علي ليس ككذب على أحد، من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»**.

فتصوير هذه الوصية المفتراة على النبي ﷺ وتوزيعها من الكذب على الله ورسوله، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: **«من حدَّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»**، فالذي يروج هذه الوصية المكذوبة من الكاذبين على الله ورسوله المؤذين لله ورسوله المرجفين في المدينة، وقد توعد الله هؤلاء باللعنة، وهي الطرد والإبعاد عن مظان الرحمة، وبالعذاب المهين في الدنيا والآخرة.

ألا فليتق الله الناصحون لأنفسهم، وليحذروا من ترويج الكذب والخرافة والتعاون على الإثم والعدوان ومعصية الرسول، فإن من روج لذلك كان شريكًا لمفتريه ومبتدعه في إثمه وشؤمه وعقوبته في الدنيا والآخرة.

رزقنا الله وإياكم الفقه في الدين، والسير على سنة نبيه ﷺ، وأعاذنا جميعًا من مضلات الفتن وأحاديث الدجالين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

خصائص الأمة المسلمة ومقومات تميزها والمحافظة على هويتها

الحمد لله الذي جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وجعلنا ـ باتباعنا نبينا ﷺ ـ الشهداء على الناس، ويوم القيامة أكرم أمة، وأكثر من يدخل الجنة من الناس.

أما بعد:

فقد خصَّ الله تعالى أمة الإسلام بخصائص عظيمة، ومنح كريمة، جعلها الله تعالى مميزة للمسلمين من بين سائر الأمم، وسببًا لحفظ كرامتهم والمحافظة على هويتهم، وأمانًا لهم من التميع والذوبان في المجتمعات الأخرى، والمؤهلة لهم أن يصبحوا قدوة للعالم وقادة الأمم، ما تمسكوا بها عن إخلاص لله تعالى على الوجه الذي شرع وحذروا من لبسها بالأهواء والبدع، وأدركوا نعمة الله تعالى عليهم فيها وعظم مسؤوليتهم عنها، وأخذوا الحيطة والحذر من أعدائهم الحاسدين لهم عليها أن يفتنوهم أو يخرجوهم منها.

فمن تلك الخصائص العظيمة والأسس القويمة:

الخصيصة الأولى: أنْ هداهم الله ـ وله المنة والفضل ـ للإسلام الدين الحق الذي شرعه الله تعالى ويسره وأكمله وأتم به النعمة وختم به الأديان، فجعله ناسخًا لها مشتملًا على أحسن ما فيها، فكل ما تحتاج الأمة إليه في حياتها يوجد فيما أوحي إلى النبي ﷺ من القرآن والبيان؛ إما نصًّا أو قد اشتملت عليه قواعده ومقاصده، وذلك الوحي العظيم المعصوم المحفوظ خالدًا إلى آخر الدهر فلا ينسخ ولا يتبدل، ولا يقبل الله تعالى دينًا سواه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج:78]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:17]، وقال جل ذكره: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:19]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:85]. وفي المأثور عن النبي ﷺ: **«الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين».**

فالناس يتخبطون في ظلمات الباطل، وأهل الإسلام يمشون بينهم بنور الله الذي تنكشف به ظلمات الجهالة ودياجير الباطل، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:22]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:122].

والإسلام: هو الاستسلام لله تعالى، أي: الذل والخضوع له سبحانه وتعالى؛ محبةً له سبحانه، وخوفًا منه، وإجلالًا له؛ بحيث يلتزم المسلم للإسلام ويستقيم عليه؛ امتثالًا للمأمور، وتركًا للمحظور، وتسليمًا لما يصيبه دون تسبب منه من مكروه المقدور، مغتبطًا بفضل الله تعالى عليه، معترفًا بعظيم نعمة الله تعالى عليه أن جعله من عباده وحده، وصانه من ذل العبودية لغيره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:161-163].

فأساس الإسلام وقاعدته وهي أعظم خصيصة وميزة لهذه الأمة؛ توحيد الله تعالى باعتقاد تفرده في ربوبيته، وهي التصرف المطلق في الملك والخلق والتدبير والأفعال، وما ثبت له سبحانه من الأسماء الحسنى وصفات الكمال، وتَنَزُّهُهُ عن الشريك والند والمثال، وإفراده بالألوهية باعتقاد أنه الإله الحق الذي لا يستحق الألوهية سواه ولا تنبغي العبادة إلا له، وإخلاص النيات والأقوال والأعمال له سبحانه في سائر الأحوال على وفق الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، والبراءة من الشرك وأهله وبغضهم وعداوتهم، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ

هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [لقمان:30].

الخصيصة الثانية: أن الله تعالى اختص أهل الإسلام بالقرآن العظيم، والحبل المتين، والنور المبين، والصراط المستقيم، والذكر المبارك، الذي أنزله الله تعالى تبيانًا لكل شيء، وهاديًا للتي هي أقوم، وضمّنه قواعد الاعتقاد الصحيح، وكليات الشريعة الميسرة، وأسس الأحكام الحكيمة وأمهات الأخلاق الحسنة المرضية، والتنبيه على ما يخالف ذلك أو ينقصه والنهي عنه، وأثنى على القرآن العظيم بأنه ذكر مبارك، وموعظة وذكرى، وهدى وشفاء، إلى غير ذلك من أوصافه العظيمة، ونعوته الكريمة، الدالة على عظيم بركته وحسن أثره وعاقبته على أهله في الدنيا والآخرة.

وتعهد سبحانه بحفظه على مر الزمان وصيانته، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فهو آية الله الباهرة ومعجزته الظاهرة التي أيد بها خليله وخيرته من خلقه محمدًا ﷺ ، وتحدى خصومه على مر الزمان أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، ولذا صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما بعث الله نبيًا قبلي إلا آتاه الله من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**».

والنصوص من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر في الحث على التمسك بالقرآن وما صح عن النبي ﷺ من بيان، والتذكير بعظم المنة به، وأنه حبلُ نجاةٍ لمن تمسك به، وسبب أمنه من الفتن والمهلكات، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:3]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف:43،44]، وقوله ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله**»، وقوله يوم غدير خم: «**إني تارك فيكم ثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما أحدهما: كتاب الله فتمسكوا به ... إلخ**».

فأمة هداها ومنهاج حياتها أصح الكتب وأحكم الشرائع، والمحفوظ المصون على مر القرون، كيف ترضى أن تكون تابعة لغيرها، خاضعة لقوانين الأرض والنظم الجاهلية، قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:50].

فالتمسك بالقرآن والعمل به على الوجه الذي بينه النبي ﷺ بفهم الصحابة الذين هم أئمة السلف الصالح؛ صمام أمان وحبل نجاة، ووسيلة لحفظ هوية الأمة وكيانها من التلاشي والاضمحلال في خضم ثقافات الأمم ومناهجها في أي زمان ومكان، وتلك من أعظم المنح وجلائل المنن من غفور رحيم.

الخصيصة الثالثة: أن جعلهم الله أتباعًا لخير خلقه، وصفيه من رسله، محمد ﷺ خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين، وخيرته من خلقه أجمعين، وأعظمهم جاهًا وأعلاهم مقامًا بين يديه يوم الدين، المبعوث بالحنيفية السمحة، والذي أثنى عليه ربه بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم:4]، وقوله: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾ [الأحزاب:٢١]، وأخبر ﷺ أنه أعلم الناس وأخشاهم لربه وأتقاهم له، وأمر الناس بالتمسك بسنته واتباعه على هداه؛ ليبرهنوا على حبهم لربهم وليحبهم الله ويغفر لهم ذنوبهم ويؤتيهم من فضله، فهو ﷺ أعظم إمام، وهديه أكمل هَدْي، فالاقتداء به والسير على منهاجه أمنة من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة، وضمانة للسعادة في الدارين بطيب المعاش وسعادة الأبد، وتلك أمنية البشرية جمعاء، ولن تُنال إلا بما بعث الله به محمدًا ﷺ من الدين والهدى.

فإنه ﷺ أعلم الخلق بموجبات رضا الله تعالى وأسبابه، ودواعي مغفرته ورضوانه وثوابه؛ كما أنه أعلم الخلق بما يتحقق به صلاح الدنيا والدين، وأرحم الخلق بالخلق، وأنصحهم لهم بما يسعدهم في الدارين، لا خير إلا دل الأمة عليه ورغبها فيه، وكان ﷺ قدوتها في السبق إليه، ولا شر إلا نبّه الأمة عليه وحذرها منه، وكان صلوات الله وسلامه عليه أبعدها عنه، فقد قال ﷺ لأمته في الدجال قولًا لم يقله نبي لأمته قبله، وما توفي ﷺ وطائر يقلب جناحيه في الهواء إلا واستودع عند أصحابه منه خبرًا وعلمًا، وما من فتنة أو شخص أو حادث

ذي شأن إلا وأخبر ﷺ أمته عنه ونصحها بشأنه، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه، فأحفظهم أعلمهم، ولم يتوف ﷺ إلا بعد أن بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة ونصح الأمة، وتركها على نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، والآثار عنه ﷺ في التحذير من البدع والأهواء وأهلها، ومن اتباع اليهود والنصارى والفرس والروم وبيان سوء عواقب ذلك على الأمة وما يترتب عليه من الفتن العظيمة والعقوبات البليغة، والآثار عنه ﷺ في ذلك كثيرة وشهيرة.

الخصيصة الرابعة: ما أمر الله تعالى به الأمة في كتابها وسنة نبيها ﷺ من الاعتصام بحبل الله جميعًا، وترك الاختلاف والتفرق بالاجتماع على ولاة أمورها من الأمراء والعلماء، وطاعتهم في غير معصية الله تعالى، والنصيحة لهم والصبر على ما قد تُبتلى به الأمة من خطأ اجتهادهم أو شيء من تقصيرهم أو جورهم أو أثرتهم، وترك الافتيات عليهم والخروج عن طاعتهم، ورد أمور الأمن والخوف إليهم، والتحذير من كل مغرض يريد أن يفرق بين الأمراء والعلماء، أو بين الطائفتين وبين الأمة، وأن الساعي في التفريق بين الجماعة وشق عصا الطاعة داعي فتنة وضلالة، يجب قتله؛ اتقاءً لشره وفتنته، والنصوص في هذا الشأن كثيرة وشهيرة.

فباغتباط الأمة المسلمة بهدايتها للإسلام وعملها بالقرآن الذي هو أصح دستور وأشرف كلام وتمسكها بهدي نبيها عليه الصلاة والسلام، الذي هو أشرف مرسل وأكمل إمام، وحذرها من الشرك والبدع، والأهواء والدساتير البشرية والأعراف القبلية الجاهلية، وإقرارها بالاصطفاء والاجتباء، وإدراكها لأخطار الضلال والانحراف والجفاء، تأمن الفتن والخطوب، وتغلب الأمم والشعوب، وتتقي غضب علّام الغيوب في الدنيا والآخرة، وتتقي به الضلال والشقاء في العاجلة والآجلة، وتصبح مهدية، لسعيها راضية، إلى جنة عالية، وفي أمنة من أن تصلى نارًا حامية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الأخوة الإيمانية: مواثيقها وحقوقها

الحمد لله الذي جعل المؤمنين إخوة، وجعل لهم في نبيهم محمد ﷺ هدى وأسوة، وأوصاهم بالتقوى وجعل في قلوبهم الرحمة والإيمان والحكمة.

أما بعد:

فقد أحكم الله تبارك وتعالى ـ بفضله ـ الرابطة الدينية والأخوة الإيمانية بين المؤمنين برباط وثيق، بل بعدة مواثيق تجعلهم أمة واحدة بالإيمان والتقوى، وبنيانًا قويًا واحدًا متشابكًا متماسكًا يشد بعضه بعضًا، وجسدًا واحدًا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وإليك بيان هذه المواثيق:

الميثاق الأول: أنهم عباد الله الإله الحق، الذي لا خالق غيره، ولا رب ولا معبود بحق سواه، وقد رضوا به ربًا وتعبدوا له بما شرع تقربًا وحبًا، وقد خاطبهم بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:92].

فمن طاعته وتحقيق عبادته بما يرضيه التحاب والتواد فيه، وترك التقاطع والتشاجر والتهاجر الذي يغضبه ويؤذيه.

الميثاق الثاني: وهم ـ أيضًا ـ أمة القرآن الذي أرسى قاعدة الأخوة الإيمانية بين المؤمنين بقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:10].

ويثني عليهم بما هم عليه من التذلل لبعضهم، والتراحم فيما بينهم، فهم أحبة متراحمون فيما بينهم، أعزة أشداء على أعدائهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:54]، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:29]، فمتى ما نقص التذلل والتراحم فيما بينهم دلّ على نقص دينهم، وتركهم العمل ببعض كتاب ربهم.

الميثاق الثالث: وهم كذلك أمة الإسلام الذي شرعه الله لهم، فأكمله، وأتم به النعمة عليهم، ورضيه لهم دينًا، يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:85]، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم.

ومن كمال الإيمان والتلذذ بحلاوته أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، فإذا نقص حبه لأخيه في الدين ـ من غير مسوغ شرعي ـ دلّ ذلك على نقص إيمانه؛ لتقصيره في حق إخوانه.

الميثاق الرابع: وهم أتباع لنبي واحد هو محمد ﷺ خاتم النبيين وأشرف المرسلين الذي أرشدهم بقوله: **«وكونوا عباد الله إخوانًا»**، وقوله: **«والمسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»**، وإخباره أن الحب في الله بين المؤمنين أوثق عرى الإيمان، وأنه تنال به ولاية الله تعالى.

الميثاق الخامس: وهم أرحام يرجعون إلى أصل واحد، فالتواد بينهم والتعاطف والتواصل من صلة الرحم التي يصل الله تعالى ببره وإحسانه من وصلها ولا يرحم إلا أهلها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:1].

فصلة الرحم من قوة الدين، وقطيعتها من ضعف الدين، فالتقي وَصُول كريم عند الله، والشقي قَطُوع هين على الله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:13].

فكل هذه الروابط والمواثيق القوية المحكمة تقتضي من أهلها أن يتحابوا، ويتوادوا، ويتناصروا، ويتزاوروا، ويتباذلوا في الله، وأن يتعاونوا على فعل الطاعات، وترك المخالفات، وأداء الحقوق الواجبات، والإحسان في سائر الأوقات، وأن يتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر وبالمرحمة؛ رغبةً إلى الله تعالى، ورجاءً له، ورهبةً منه وخوفًا، وسعيًا في تحقيق مراضيه، وفرارًا مما يغضبه ويؤذيه، يقول تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:57].

وقد أوجب الله تعالى على كل مسلم حقوقًا لأخيه لابد أن يؤديها إليه ولو أساء إليه تعبدًا لله تعالى وتقربًا إليه، ولهذا يؤديها المؤمن الحق لله، ولا ينتظر من أخيه جزاءً ولا شكرًا له؛ لأنه يطلب ثوابه من ربه؛ وعليه فإنه لا يتأثر بحسن المعاملة، ولا يمنع ويتغير لسوء المقابلة.

فمن تلك الحقوق:

أ- **ابتداؤه بالسلام**، ورده التحية بمثلها أو أحسن منها، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:86]، ولقوله ﷺ: «**وإذا لقيته فسلم عليه**» وقوله: «**وأن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**».

فالبادئ بالسلام هو أولى الاثنين بالله عزَّ وجلَّ، والبخيل من بخل بالسلام أو رده. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**».

ب- **إجابة الدعوة**، لقوله ﷺ: «**وإذا دعاك فأجبه**»، وخاصة وليمة العرس؛ لأحاديث تدل على وجوب إجابتها ما لم يكن ثَمّ منكر.

ت- **النصيحة**؛ ولا سيما عند طلبها، لقوله ﷺ: «**وإذا استنصحك فانصح له**»، وقال ﷺ: «**الدين النصيحة** ـ ثلاثًا ـ قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»، وكان ﷺ يأخذ على أصحابه عند البيعة النصح لكل مسلم، والنصيحة: هي حيازة الحظ أو الخير للمنصوح له، فتدله على خير ما تعلمه له، وتحذره وتنهاه عن شر ما تعلمه له، وغايتها وكمالها أن تحب له من الخير ما تحب لنفسك، وتكره له من الشر ما تكره لنفسك، فإذا استنصحك في أمر زواج أو وظيفة أو شخص، فأخلص له في النصيحة، واختر له ما تختار لنفسك.

ث- **إذا عطس، فحمد الله**، فَشَمِّتْهُ، أي: قل له: يرحمك الله.

ج- **تنصره ظالمًا أو مظلومًا**، فإن كان ظالمًا، فنصره حجزه ومنعه عن الظلم، وإن كان مظلومًا، فتدفع عنه الظلم، لقوله ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، قالوا: يا رسول الله قد عرفنا كيف ننصره إذا كان مظلومًا، فكيف ننصره إذا كان ظالمًا؟ قال ﷺ: «**تحجزه عن الظلم فذلك نصره**»، وما ذلك إلا لأنك بمنعك إياه عن الظلم تقيه شر نفسه وغيره في الدنيا والآخرة.

فالأخذ على أيدي الظالمين، والسعي في دفع الظلم عن المظلومين بحسب الإمكان من أعظم الحقوق وأجل القرب، وفي الصحيح: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»، وفيه: «**ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**».

وإذا كان من حق أخيك عليك أن تمنعه من الظلم أو تدفع الظلم عنه، فلأن لا تظلمه من باب أولى، ولذا قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**»، أي: لا يظلمه بنفسه ولا يسلمه لغيره حتى يظلمه.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

*****

الاهتمام بأمر المسلمين

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:10]، وأصلي وأسلم على نبيه محمد القائل في بيان أصناف وأوصاف أهل الجنة: «**ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم**».

أما بعد:

فقد أثنى الله تعالى على المؤمنين في التنزيل الحكيم، والذكر المبين بجميل الصفات وجليل الأعمال الصالحات، ومن ذلك قوله سبحانه في صفتهم ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:54]، وقوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:29]، فأثنى عليهم سبحانه بالاهتمام بأمر إخوانهم في الدين، والعناية بشئونهم برفق ولطف ورحمة، وقد ضرب النبي ﷺ لذلك مثلًا بليغًا بقوله: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»، متفق عليه، وقوله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»، متفق عليه.

* فالمؤمنون عامّة يقومون بالواجب نحو إخوانهم في جميع أحوال الدنيا بمقتضى الأخوة الإيمانية، فيهنؤنهم عند حصول المسارّ، ويشاركونهم السرور والفرح في حدود الشرع، ويواسونهم عند المصائب والمضار بعيدًا عن أمور الجاهلية، ويتعاونون على الخير، ويتناهون عن المنكر، ويتناصحون فيما بينهم، ويتآمرون بالمعروف، ويسعون في تحصيل مصالحهم ودرء المفاسد عنهم، ويقوم بذمتهم أدناهم.

وإذا كان هذا شأن المؤمنين عامة، فإن خواصّ المؤمنين من العلماء الربانين والدعاة المصلحين وولاة أمور المسلمين الذين هم أهل العلم والإيمان والبصيرة في الدين والحكمة في دعوة الآخرين أرحم بالمؤمنين والمسلمين من غيرهم، وأحرص على جلب مصالحهم ودفع المفاسد والشرور والفتن عنهم وأكثر اهتمامًا بأمر المسلمين ونصيحة لهم لما أوجب الله عليهم نحوهم.

ولهم في هذا الباب فقه دقيق وخبر شيق لما يعلمون من فضله وعظم المثوبة عليه وخطر التفريط فيه، كقوله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»، وقوله ﷺ: «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**» متفق عليه، وقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» متفق عليه، وقوله ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يدخل الجنة معهم**».

* **وذكر ﷺ من حقوق المسلمين على بعضهم**: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس، ونصرة المظلوم، وإبرار القسم، والنصيحة. للأئمة المسلمين وعامتهم.
* **ودلت النصوص الأخرى على أن من الحقوق**: إكرام الضيف، ورعاية حق الجار، وصلة الرحم، والإحسان إلى اليتيم وابن السبيل، وإصلاح ذات البين، وإغاثة الملهوف، والسمع ولطاعة لولاة الأمور بالمعروف، ولزوم الجماعة، وترك المشاقة والافتيات والمنازعة والفرقة، دعوة الضال، وإرشاد المسترشد، والأخذ على يدي السفيه. فالدعاة إلى الله تعالى هم أئمة الناس في المسارعة إلى الخيرات، فهم خير الناس، وأنفع الناس للناس وطلاب مرضاة الله تعالى في رحمة الناس، والله أعلم.
* فأمر المسلمين هو ما يقوم به شأنهم ويصلح به أمر معاشهم ومعادهم من إقامة الدين، وصيانة الحرمة، وحفظ الحق، وجمع الكلمة، وتأليف القلوب وإصلاح ذات البين، وتقويم السلوك، وسد منافذ الشبهات والمحرم من الشهوات، وأعظم وسائل تحقيق ذلك: التعليم والدعوة، والنصيحة للأئمة والأمة، والتعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، وإغاثة الملهوف، وإسعاف المنكوب، والمواساة عند الترح، والمشاركة في الفرح، وإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعاملة بالخلق الحسن.
* وكما يقوم العلماء الربانيون بهذا الواجب نحو عامة المسلمين، فإنهم يقومون بنحوه مع ولاة أمور المسلمين، مع مراعاة المقام وما تقتضيه الحال.

فليس المقصود العامة فحسب؛ بل والأئمة أولى بالقصد لما يتحقق بصلاحهم وإعانتهم وجمع الكلمة عليهم، والتأليف بينهم وبين رعيتهم من النفع العام والخير المتصل، والتمكين للدين والاستخلاف في

الأرض، وإغاظة الأعداء والنصر عليهم، وإجهاض مؤامرات المنافقين وتهويل المرجفين، وتحصيل رضوان رب العالمين والثواب العظيم في الدارين.

* وهكذا ولاة أمور المسلمين مهتمون بأمر المسلمين والدين، ويتعاونون مع العلماء والدعاة ناصحين ومخلصين، فإن العلماء الربانيين والدعاة المخلصين في الأمة هم حراس العقيدة، والمنهاج الذين يحفظون للأمة دينها بحفظ القرآن، وما أثر عن النبي ﷺ من سنة وبيان، فيحفظون الدين والأمة بالكتاب كما يحفظ ولاة الأمور إقامة الدين ووحدة الأمة بالسيف والقوة، فهؤلاء حفظة الدين بالكتاب وهؤلاء حفظة الدين بالحديد الذين بهما بقاء الحق، وهداية الخلق، وكشف الشبهات، وتفنيد الضلالات، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد:25].

فبالكتاب يهتدي مَنْ قَبِلَ الهُدى، وبالحديد يُقْمَعُ من استحب العَمَى وضادَّ الهُدى. فبيان الكتاب وظيفة الدعاة، وإعمال السيف والقوة مسئولية الولاة، ولا يزال الناس بخير والأمة مرحومة ما كان هذان الصنفان سادتهم وما تقدم الكتاب السيف والقوة وتلي السيف والقوة الكتاب، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالبين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**».

* فالدعاة إلى الله على بصيرة ـ لما أخذ الله عليهم من الميثاق على البيان وحذروا من عقوبة السكوت والكتمان ـ يقومون ببيان ما بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ من الهدى ودين الحق بالأقوال والأفعال والأحوال والتقرير والاعتناء بتصحيح المفاهيم الخاطئة، ويفندون الضلالة الوافدة، ويردون المذاهب الهدامة، ويجادلون ورثة اليهود والنصارى بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فيبطلون دعاوى أهل الخرافة وعبادة القبور، ويكشفون شبهات أهل الأهواء ويفندون دعاة التنصير، ويبطلون ذرائع التغريب، ويوضحون ضلال القاديانية، ويحذرون من المقالات المخالفة للكتاب والسنة.

* وولاة الأمر بما أتاهم الله من لسلطان والقوة والحديد يلزمون بالهدى، ويمنعون البغي والاعتداء، ويكفون من اعتدى ويرهبون الأعداء، فيصونون الحرمة، ويحفظون الملة، ويقمعون أهل البغي والكفر، ويقيمون الدين، ويحافظون على جماعة المسلمين.

وهذا منهاجهم وديدنهم في سائر الأمصار على تعاقب القرون والأزمان، يرشد السابق منهم اللاحق، ويسير الخلف منهم أثر السلف، يحفظون العقيدة، ويصونون الملة، ويحافظون على المنهاج، ويقوِّمون الأمة من الاعوجاج، فهم المحسنون: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:93]، ومنهم المجاهدون: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69]، وهم من أئمة الطائفة الناجية، والفرقة المنصورة بالحق إلى قيام الساعة.

* أما الانزواء والهرب من العمل الإسلامي، فهو في الجملة من نتاج وأسباب ضعف الإيمان، ومن موجبات الحرمان فإن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، والذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم، ولكن قيمة كل امرئ ما يحسنه، وكل ميدان يكون أسبق فيه من غيره.

فيجب على العلماء والدعاة الاهتمام بأمر المسلمين بالقيام بالواجب نحو الدين والأئمة والأمة، وتذكير ولاة الأمور بالواجب نحو الدين والأمة، وإعانتهم حسب الوسع والطاقة، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

والعمل الإسلامي واسع، فينبغي أن يتجه كل امرئ للعمل المتيسر له والذي يفيد فيه، فقد يحسن شخص القضاء، ولا يحسن الخطابة والآخر عكسه، وقد يحسن شخص الإصلاح، ويحسن الآخر الإغاثة، ويحسن الثالث الدعوة وغيره يحسن الحسبة، ومنهم من يجيد المناظرات وتفنيد الشبهات، وآخرون يحسنون نصح الأئمة، وغيرهم لا يصلح إلا للعامة، والناس يكمل بعضها بعضًا.

اللهم اجعلنا من المجاهدين المهديين والأئمة المتقين وابعثنا في دينك مقامًا محمودًا في الدنيا ويوم الدين، آمين.

وصلى الله وسلم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه، أجمعين.

*****

يُمن الاستقامة وشؤم المعصية

الحمد لله الذي وَسِع كل شيء علمًا، وقهر كل شيء عزة وحكمًا، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد خلق الله تبارك وتعالى هذا الملكوت بجميع عوالمه وأحسنه وهيأ كل مخلوق لما خلق له وهداه ويسره، ودبّر هذا الملك العظيم بأمره الكوني القدري، فإنه سبحانه يقول: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم:35].

ونظم سبحانه أمر المكلفين من الجن والإنس بأمره الديني الشرعي الذي أنزله على رسله؛ هداية لعباده ورحمة بهم وإحسانًا، وجعل ختامه دين الإسلام المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ فنسخ الله به الملل والشرائع السابقة، وأبطل به الأهواء والنحل اللاحقة، وجعله دينًا كاملًا خالدًا محفوظًا باقيًا صالحًا مصلحًا إلى آخر الدهر، وعامًّا لكافة المكلفين من الجن والإنس على اختلاف أزمانهم وأوطانهم وأجناسهم ولغاتهم، ومن يبتغ غير الإسلام، دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

فباستقامتهم عليه فعلًا للمأمور به، وتركًا للمنهي عنه، وإيمانًا بالقضاء والقدر به، تُستنزل البركات، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:96]، وتطيب الحياة، قال الله تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:97].

وتحصل النجاة من النار، والفوز بجنات تجري تحتها الأنهار، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم:72]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأحقاف:13،14].

وبالاستقامة على الشرع تُدفع العقوبة، وتُصرف البلية، وتُتقى الهلكة، فينال اللطف في الأمر الكوني القدري، ويرفع شر ما قضى وقدر فيه، ويتوصل إلى أحسن عواقبه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:173-174]، وقال الله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس:98].

وفي الحديث: «**لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر**»، وفي الحديث الآخر: «**إن الدعاء والبلاء يعتلجان بين السماء والأرض فيغلب الدعاء البلاء**»، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ ـ أي: يؤخر ـ له في أثره ـ يعني: عمره ـ؛ فليصل رحمه**»، وفي الحديث الآخر أن صلة الرحم مثراة في المال، محبة في الأهل، منسأة في الأثر.

وكان ﷺ يحث أصحابه على التوبة والاستغفار والدعاء والصدقة عند الكسوف أو القحط مما يدل على عظيم أثر العبادات في صرف العقوبات وحصول الخيرات، وأنها من أسباب يسر الأمور وانشراح الصدور وسعة الأرزاق والائتلاف والاتفاق، وأن المعاصي والمخالفات من أسباب حلول العقوبات وتوالي الكربات وعسر الأمور وضيق الصدور، قال الله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ

يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:40]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى:30].

فبالاستقامة على الشرع والإيمان بالقدر يُدفع البلاء، ويتحقق اللطف في القدر والقضاء، وتُنال سعادة الدنيا والآخرة، وبمخالفة ذلك يقع المرء في المعصية، ويُبتلى بالمصيبة، ويكون عرضة للعقوبة العاجلة والآجلة إلا أن يتداركه الله بعفو أو توبة، ومن عصى الله بشيء عُذب به،﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٩].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

*****

أيُّ امتحان بعد هذا الامتحان!

الحمد لله الكبير المتعال، عالم ما يفعله خلقه بغير سؤال، فيعرض عليهم أعمالهم لإقامة الحجة والبرهان، ثم يفيض على أوليائه العفو والغفران، ويأخذ أعداءه بالذلة والهوان، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

ففي أيام الامتحانات تتوافر الجهود، وتتواصل المساعي من قبل الطلاب، وأولياء أمورهم، والجهات التعليمية؛ لاستكمال أسباب النجاح، وحق لهم ذلك، فإن النجاح في الامتحانات من أسباب علو الهمة، وارتفاع المعنوية، وانفتاح أبواب الطموح، وتجاوز مرحلة من العمر، ومعها مرحلة من التعليم ينفع، وتوقي أسباب الانحراف بسبب الفشل إلى غير ذلك من الإيجابيات الكثيرة.

وبالمقابل فإن الرسوب في الامتحان يقارنه سلبيات كبيرة: نفسية واجتماعية وثقافية وأخلاقية، وكل واحدة منها تعتبر بابًا واسعًا من أبواب الانحراف والفشل في تقييم المستقبل والقيام بالواجب الاجتماعي.

وعليه فإن من الواجب العام، ومن الاعتراف بالفضل لأهله، أن يُشْكَرَ الجادون والمتعاونون والمهتمون بتلك الفترة المهمة من السنة، ومن أعمار الناشئة.

كما يجب النصح للذين يجعلون من نتيجة الامتحان السلبية والتعيير لبعض الممتحنين ـ غير الناجحين ـ منطلقًا لتحطيم المعنويات، والتعيير والتشهير والانتقاص، بتجنب هذا الأسلوب، بل يجب أن تتوافر الجهود مرة بعد أخرى، لانتشال أكبر عدد ممكن ممن لم يحالفهم التوفيق في الدور الأول للنجاح في الدور الثاني، فينبغي أن توفر دورات للتقوية وحوافز مشجعة أثناء الإجازة إلى غير ذلك من أسباب النجاح الممكنة، كما ينبغي التعاطف مع الذين لم يكتب لهم النجاح في الامتحان الثاني؛ لإقناعهم بأن الفشل وسيلة نجاح إذا تكرر الجد فيما بعد، محاولة لاجتياز العقبة، مع بذل الوسع في استكمال أسباب النجاح، ولست بصدد التطويل في هذا الجانب، فإن لدى المختصين والمهتمين ما ليس عندي.

ولكن الذي أحب أن أذكر به هو الامتحان الذي وراء هذا الامتحان، وأعني به الامتحان الذي يلي دخول القبور **«بوابة البرزخ»**، وهو فتنة القبر ونتيجتها وما يترتب على تلك النتيجة من النعيم أو العذاب، فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن هذه الأمة تُفتن، أي: تُمتحن في قبورها، ولا ينجو من هذا الامتحان إلا الذي يموت مرابطًا في سبيل الله تعالى، وأفضل من المرابطين الشهداء، وأفضل من الصنفين النبيون والمرسلون عليهم الصلاة والسلام.

فإن الميت إذا وُضع في قبره، وتولى عنه مشيّعوه بعد دفنه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم لقرب انصرافهم منه، أتاه ملكان فيقعدانه، فيسألانه ثلاثة أسئلة تحتاج إلى إجابات صحيحة، ولا يكون ذلك إلا بتثبيت من الله، وسبب التثبيت الإيمان بالله تعالى، ثم الاستقامة على الشرع في هذه الحياة عن علم صحيح ونية خالصة لله تعالى.

فالسؤال الأول: من ربك؟ وهو سؤال عن التوحيد، وهو الاعتقاد الجازم بتفرد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، وكماله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، وابتغاء وجهه في القصد والقول والعمل، فهو سؤال عن الإخلاص لله تعالى في العبادة في هذه الحياة، واعتقاد بطلان ربوبية وإلهية من سواه والكفر به حال الحياة.

والسؤال الثاني: ما دينك؟ وهو سؤال عن رضا العبد بدين الإسلام دينًا، واستقامته به قولًا وعملًا واغتباطه بذلك، وأنه لم يكن يبتغي دينًا سواه.

والسؤال الثالث: من نبيك؟ وهو سؤال عن الرضا بالنبي ﷺ نبيًا رسولًا رضيً يقتضي طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا على طريقته وسنة نبيه ﷺ فلا يخرج عن دينه وشريعته، وهجران البدع وأهلها والبراءة منهما.

فهذا الامتحان العظيم ينبغي أن يولى ما يستحق من العناية، رجاء توفيق الله تعالى للعبد للقول الثابت الحق فيه، حتى ينجح فيه، يقول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:27].

* فما أعظم شأن هذا الامتحان! ـ وشتان بين من ينجح فيه ومن يرسب ـ، أما امتحان الدراسة فبدله امتحانات أخرى، يمكن للممتحن أن ينجح في أي منها، ومن لم ينجح في تخصص نجح في آخر.

أما امتحان القبر فهو امتحان وحيد، يترتب عليه مستقبل الشخص في البرزخ وفي الآخرة، فالمثبت الذي أجاب جوابًا صحيحًا على تلك الأسئلة مُنَعَّم في قبره، ومبشرٌ بالجنة، ومؤمَّن من النار، وأما الذي لا يجيب على تلك الأسئلة، فشقي مُعذَّب بالنار.

وأيضًا فامتحان الدراسة يقصد به الفلاح والطموح الدنيوي غالبًا، وكم من إنسان نال نصيبًا عظيمًا من متع الدنيا ونفيس حظوظها، وهو لا يحسن كتابة اسمه!

ولست بصدد المقارنة بين الامتحانين؛ لوجود الفروق الكثيرة والكبيرة بينهما، وهي معروفة لدى عقلاء أهل الإسلام، ولكني بصدد التنبيه على ما ينبغي للنجاح في امتحان القبر، لمناسبة الاهتمام بالامتحانات هذه الأيام.

فلكي ينجح أبناؤنا ـ بتوفيق الله تعالى ـ في امتحان القبر، يجب علينا أمور منها:

1. ينبغي أن يُنشأ الأولاد والبنات على ابتغاء وجه الله تعالى فيما يأتون ويذرون من الأعمال والأقوال، فإنهم إذا تعلموا الإخلاص لله وحققوه ثَبَتُوا عند السؤال، فإذا قيل لأحدهم: من ربك؟ قال: ربي الله.
2. وكذلك من الواجب العظيم أن تُربى الذرية على التقيد بأحكام الإسلام الاعتقادية والعملية والأخلاقية حتى يغتبطوا به دنيا وأخرى . فيقولوا في جواب سؤال: ما دينك؟ ديني الإسلام.
3. وينبغي أن يعرفوا شخص نبيهم محمد ﷺ وسيرته وهديه ودعوته، وما يتعلق بذلك، وأن يتقيدوا بسنته، ويحبوه من قلوبهم حبًا تترتب عليه متابعته في الدنيا حتى يجيبوا على سؤال: من نبيك؟ فيقولوا: نبينا محمد ﷺ.

فإن التثبيت في القبر مبنيٌ على صحة الاعتقاد بهذه الأصول الثلاثة، والقول والعمل بمقتضاها، والبعد والحذر مما يضادها، فإذا رُبِّيَ الأولاد والبنات على ذلك علمًا، وعملًا، ورقابة، وتأديبًا على التقصير في الواجب والمخالفة المتعمدة كان ذلك من أسباب نجاحهم ونعيمهم في القبر، وصلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة.

ولقد وفق الله تعالى مجدد الدعوة ومصلح آخر هذه الأمة في الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى فألف رسالته ثلاثة الأصول في هذا المضمون. وكان يلقنها الصغار والكبار من المجتمع حتى انصبغت قلوبهم بصبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة؟ فأشربت قلوبهم التوحيد، ونطقت به ألسنتهم واستقامت عليه أعمالهم وأخلاقهم، وصاروا يستنكرون نواقضه ونواقصه ويكرهونها ويحذرونها وينهون عنها بحسهم لأول وهلة.

فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عنا خير الجزاء، ووفق ولاة الأمر العام وأمر التعليم وأولياء أمور الطلبة للعناية بتحقيق هذه الأصول في أنفسهم وذرياتهم وأهليهم، والدعوة إليها في مجتمعهم، والإلزام بها اعتقادًا وعلمًا وعملًا، والبعد عما يضادها وينافيها، والعناية بما يثبتها ويقويها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وسلم.

كن ممن ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه

الحمد لله القائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر:19،18].

وصلى الله على نبينا محمد المبلغ عن ربه قوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴾ [سبأ:46].

أما بعد:

فكم في آيات التنزيل العزيز ما يوجه أولي الألباب أن يخلوا بأنفسهم لحظات بين وقت وآخر؛ ليقوّموا سيرهم إلى الله تعالى، فإنهم كادحون إليه كدحًا فملاقوه فموقوفون بين يديه، لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف:185].

فتقويم الأعمال والتفكر والاعتبار في مضي الأيام والليالي؛ نهج سديد ومطلب حميد، لما يحدثه من جليل الفكرة، وصادق العبرة، وبليغ العظة حتى يميز اللبيب أعماله وأقواله وأحواله وعلاقته بربه تبارك وتعالى وعلاقته بالناس.

أ- فما كان من شيء محمود على هدي الكتاب والسنة اغتبط به المسلم، وذكر جليل إنعام الله تعالى عليه به وشكره بالمداومة عليه والاستزادة منه، فإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل، وإن من عاجل البشرى للمسلم أن يفتح الله له باب عمل صالح يلازمه حتى يلقى الله عليه.

ب-وإن كان قد اقترف العبد من معصية خالف فيها شرع الله تعالى وهدي نبيه ﷺ تذكر أن تلك المخالفة معصية مستمرة لله ولرسوله، ونوع من المحادة والمشاقة لهما، لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب:36].

فإذا كان اختيار العبد لنفسه غير ما اختار الله له ورسوله ضلالة بينة ومعصية مؤكدة بنص الوحي، فكم من الناس من هو على هذا النهج الغوي المتمثل بإعلان المخالفات والإصرار على السيئات! وكلٌّ على شاكلته، وربك أعلم بمن هو أهدى سبيلًا.

* فمنهم من اختار المعصية، وسار في طريق الضلالة مخالفًا بذلك الله ورسوله، فهجر الصلاة في المساجد، وصلّى في البيت مع النساء والقواعد.
* ومنهم من معصيته وضلالته باختيار غير ما اختار الله له ورسوله في أمر المال والاقتصاد بأخذه المال من الحرام، وإنفاقه إياه في أنواع الإثم والإجرام.
* ومنهم من مخالفته وضلالته في تضييعه سويعات عمره وزهرة شبابه أمام الدش وغيره من وسائل الإعلام الهابطة التي تضلل الاعتقاد، وتغري بالفساد، وتعلم فنون الإجرام، وتهزأ بشعائر وقيم الإسلام.
* ومنهم من مخالفته وضلالته بمعصية الله ورسوله في أمر السفر والثياب، فيحلق شعر وجهه، ويسبل ثيابه، ويخرج وهو يعلم أنه لا حجة له تنجيه يوم القيامة، وأن محمدًا ﷺ خصمه غدًا بين يدي ربه الذي بلغه رسالة ربه ونصحه، ولكن ذلك الغوي رد النصيحة وخالف السنة مجاهرًا.
* ومنهم من معصيته وضلالته بمحاربة الإسلام عن قصد أو غير قصد لإعجابه برأيه بالتزهيد في العلم الشرعي، وإغراء المرأة بالخروج على قيم الإسلام، والكيد الخفي للمؤسسات التي تنشر السنة، وتحافظ على الفضيلة، فلا تسنح لهذا المشؤوم فرصة إلا أشار أو احتال ليتصدر ما أمكنه من قرار لحمته وسداه الكيد لأحكام الشريعة، وأذية المؤمنين والتمكين لأهل الأهواء ومتبعي الشهوات؛ ليفسدوا في الأرض

بكل ما أوتوا من قوة وما أتيح لهم من أسلوب ووسيلة وحيلة ونسي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة:220]، وهو سبحانه يقول أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس:81].

ولكن اقتضت حكمته سبحانه أن يبلو الناس بعضهم ببعض؛ ليهدي المجاهدين فيه سبيله، ويمن عليهم بمعيته، ولينتقم من المفسدين ولو بعد حين يقول تعالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:25]، ولسان حال هذا الصنف المفسد المشؤوم المطيع لضلال اليهود والنصارى الذين يحرضونه على التغيير و(التغريب) ما ذكره الله عن سفه المنافقين في عهد النبوة، أولئك الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة:12،11]، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ٦٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾ [النساء:61-63]، ويا ويح هذا الصنف إن لم يتب من جرمه قبل موته في يوم ينظر المرء ما قدمت يداه!

* ومنهم الظالم لنفسه بالتعدي على أموال العباد وحرماتهم وأعراضهم، وهو مقيم على ظلمه، فلم يخطر بباله أنه إن لم يتخلص من مظالمه في هذه الدار فسيدفع ثمنها في دار القرار بالتخلي عن بعض حسناته للمظلومين حتى يوفيهم حقهم، فإن لم توف حسناته مظالمه حُمِّل من سيئاتهم ما لا قبل له به ثم طُرح في النار.

فما أحوج الجميع وهم في نهاية العام إلى أن يقوموا ويتفكروا، وينظروا فيما قدموا، ويعتبروا بمن فارقوا من الأحباب والأصحاب وودّعوهم للإلحاد في جوف التراب، فلعل المحسن أن يزداد، ولعل المسيء أن يرجع ويستجيب، فإن الجميع مسؤولون عما عملوا فليعدوا للسؤال جوابًا، وليكن الجواب صوابًا.

فهلموا عباد الله إلى التفكر من أجل التذكر رجاء أن يرق القلب، فتدمع العين، ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**ورجل ذكر الله تعالى خاليًا ففاضت عيناه**...إلخ».

اللهم وفقنا للمتاب قبل الإياب، واجعلنا ممن يدخل الجنة بغير حساب، آمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

*****

أين الطامعون فى جليل الأرباح!

الحمد لله الذي يسر الطاعة، وجعلها يوم القيامة أربح البضاعة، أحمده سبحانه حمد من اغتبط بفضله، فشكر له وأطاعه.

أما بعد:

فإليك أخي المسلم أزف هذه البشرى فيما أعد الله تعالى من الأجر الكريم والثواب العظيم على أعمال يسيرة، اجعلها على بالك وحافظ عليها ـ ما استطعت ـ في جميع أحوالك:

الأولى: أن تقول بعد صلاة الفجر: «**سبحان الله وبحمده**» مائة مرة وتقولها بعد صلاة العصر؛ فإنها تغفر لك خطاياك ولو كانت مثل زبد البحر، كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**من قال حين يصبح وحين يمسي في يوم: سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**».

الثانية: أن تقول في اليوم مائة مرة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» يكتب لك مائة حسنة، ويمحى عنك مائة سيئة، وتكون لك عدل عتق عشر رقاب، وتكون حرزًا لك من الشيطان في يومك ذلك حتى تمسي، ولا يأتي أحد بعمل أفضل مما جئت به لقوله ﷺ: «**من قال في يوم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب له مائة حسنة...**» الخ الحديث، وإذا قلتها في المساء رجي لك ذلك.

الثالثة: أن تصلي من الضحى ما تيسر لك من ركعتين أو أكثر؛ فإنها صلاة الأوابين ومن أفضل الصدقات، ومن الشكر لله تعالى على نعمة العافية في البدن، ومن صلى لله أربع ركعات أول النهار كفاه ما أهمه آخره، وقد كان النبي ﷺ يوصي بها كثيرًا، ويخبر أنها تجزيء عن ثلاثمائة وستين صدقة، ومن أداها في يوم أمسى، وقد زحزح نفسه عن النار.

فانظر أخي الكريم ـ رعاك الله ـ كم في هذه الأعمال اليسيرة من الأجور الكبيرة! وكلها لا تستغرق من وقتك نصف ساعة، وكم في دواوين السنة من التنبيه على مثل هذه الأذكار والأعمال والترغيب في المحافظة عليها والإخلاص لله تعالى فيها، ولكنَّ كثيرًا من الناس في معزل عنها، غرّهم اللهو واللعب، وقل فيهم المذكِّر والواعظ، وحصل من بعضهم الإعراض، وسهام المنايا حداد وهي للحي في اعتراض، ومن حضره أجله رحل، وارتهن بما عمل، ولم يمكنه الاعتذار عن التقصير والزلل، والسعيد من وُعِظ بغيره، والشقي من وُعِظ بنفسه.

نسأل الله تعالى للجميع التوفيق للعمل الصالح والتوبة النصوح من القبائح، والفوز بالمتجر الرابح.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

*****

خير العطاء وأوسعه

الحمد لله عظيم الغناء، جزيل العطاء، خزائنه ملأى، ويداه سحّاء، وأسأله تعالى من فضله للجميع علمًا نافعًا ورزقًا طيبًا وعملًا متقبلًا.

أما بعد:

فإن العافية في البدن والعقل والقوى وسائر الحواس والأهل والولد والمال من جليل العطايا وجزيل المنح؛ لأن العبد إذا عافاه الله في هذه الأمور استغنى بفضل الله عن منة خلقه، وصار عزيزًا عند نفسه ومحترمًا عند الآخرين، إن جاد بفضل على الناس، فقد أحسن كقوله ﷺ: «**تعين صانعًا أو تصنع لأخرق**»، وقولـه ﷺ: «**تعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو تحمل له عليها متاعه صدقة، وإن أمسك عن غير واجب فقد اقتصد**».

وإذا عافى الله العبد ـ بفضله ـ لم يحتج إلى الأطباء والمستشفيات، ولم يستدن من أحد مالًا، فلم يعش هم الدين بالليل، وذله بالنهار.

وإذا عافى الله العبد في بدنه وأهله وماله، لم يكن موضع شماتة للأعداء والحاسدين.

وإذا عافاه الله في هذه الأمور، كان مستورًا، فلا يكون عظة للمتعظين وعبرة للمعتبرين.

وهكذا فالعافية في الدين والدنيا والآخرة لباس جميل ورياش يحسن حال المرء في الدنيا في نظر الناظرين، ويجعله في الدنيا من المتمتعين متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى فضلًا من رب العالمين.

والعافية أيضًا في الدنيا والآخرة سربال يقي صاحبه يوم القيامة من النار ومن الخزي والشهرة، وذلك على مرأى ومسمع من الأخيار والفجار.

فلهذه المعاني والدلالات ولما للعافية على المعافى من الآثار الطيبة والعواقب المباركة في سائر الأوقات:

1- كان ﷺ يغري أصحابه بسؤال الله العافية، فيقول: «**سلوا الله العافية**».

2- ولما ذكر ﷺ لأصحابه أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة قالوا: يا رسول الله فما نقول؟ فقال: «**سلوا الله العافية**»، فكأنهم تَقَالُّوها، فقال ﷺ: «**ما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من العافية**».

3- وكان ﷺ يلح على ربه في أوقات إجابة الدعاء بسؤال الله العافية ويثني على ربه بذلك. فحين يستيقظ من النوم كان يقول فيما يقول: «**الحمد لله الذي رد عليَّ روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره**».

4- وكان إذا أصبح ـ أي: بعد طلوع الصبح ـ قال: «**اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي اللهم عافني في بصري...الخ**»، ويقول: «**اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في ديني ودنياي وأهلي ومالي وولدي...الخ**»، ويقوله في المساء وعند النوم.

5- وكان ﷺ يقول إذا أمسى ـ أي: بعد العصر ـ: «**اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر**»، وكان ﷺ يقول إذا أوى إلى فراشه: «**اللهم إني أسألك العافية**»، ويقول: «**اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة**...الخ».

6- وكان ﷺ يرشد أصحابه إذا رأوا مبتلى أو ذا عاهة أن يسألوا الله العافية، ويخبرهم أن من قال ذلك لم يصب بما في ذلك الشخص من بلوى أو عاهة.

فعليك أخي المسلم بالإلحاح على ربك بسؤال العافية؛ وخذ بأسباب العافية، ولا تتعرض لأسباب البلاء من فعل أو منطق، فكم من شامت ابتلي بما شمت غيره به! وكم من متكلم ابتلي بمنطقه! فإن البلاء موكل بالمنطق.

رزقنا الله وإياك وإخواننا المسلمين العافية في الدين والبدن والأهل والولد والمال والحواس والعقل والقوى وكل شيء منا ولنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

*****

وجوب حفظ حرمات المسلمين
وترك أذيتهم فيها أو التعدى عليها

الحمد لله أهل الحمد ومستحقه، أحمده سبحانه الحمد اللائق بحقه، أحق وأكمل ما يحمده الحامد من خلقه.

أما بعد:

فإن المسلم الذي يشهد شهادتنا، ويصلي صلاتنا، ويستقبل قبلتنا، ويأكل ذبيحتنا ـ مصون الدين والدم، محترم العرض والجسد والمال، فلا يجوز أن يُسب ويُؤذى، فضلًا عن أن يُعتدى عليه بشيء من هذه الأمور إلا بحق الإسلام الثابت ببرهان شرعي واضح، وحجة قاطعة، بل الواجب حفظ حرمته ونصحه والنصح له حاضرًا أو غائبًا، حيًا أو ميتًا؛ ديانةً لله تعالى، وأداءً لحق المسلم، رغبة في المثوبة، وحذرًا من أليم العقوبة.

* ولقد أثنى الله تعالى على أهل الإيمان الكامل بعفة اللسان، وسلامة الجنان، وطيب القول، والذلة على المؤمنين، والرحمة بهم، والعزة على الكافرين والشدة عليهم، ووعدهم على ذلك رضوانه وفضله وكرامته.

وقال ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن، أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا ـ ويشير إلى صدره ـ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه، وعرضه، وماله**»، رواه مسلم.

فمن حقوق أهل الإسلام على المسلم:

1- أن يسلموا من لعنه، أي: سبه وشتمه، والدعاء عليهم بغير حق شرعي ظاهر الحجة، قال ﷺ: «**لا تلاعنوا بلعنة الله، ولا بغضبه، ولا بالنار**»، وقال ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**»، وقال ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**» متفق عليه، وقال ﷺ: «**لا يرمي رجلٌ رجلًا بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه**».

ويكفي قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:58]، وما ذاك إلا لأن الذي يُكفِّر، أو يُفسِّق، أو يُبَدِّع بغير برهان قائل على الله تعالى بلا علم، لأنه إذا قال فلان كذا، أي كافر، أو فاسق، أو مبتدع، فالمعنى أنه عند الله كذلك، ولا يخفى خطأ القول على الله بلا علم، وأنه أكبر الكبائر.

2- ترك ذكر الأموات من المسلمين بسوء؛ لأن ذلك من أذيتهم، والتعدي عليهم، ولقوله ﷺ: «**لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**» رواه البخاري.

3- ترك هجر المسلم فوق ثلاث؛ لقوله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» متفق عليه، ولقوله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار**» رواه أبو داود بإسناد على شرط البخاري، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه**»، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وإذا كان هذا شأن الهجر، فهو بين الأرحام والإخوان في الله أعظم إثمًا، وأشد جرمًا، إلا إذا كان الهجر لأمر ديني ترجحت مصلحته بكونه يردع المهجور عن غيه، ويعيده إلى رشده أو يزجر غيره عن فعله، أما إذا كان لأمر دنيوي أو حظ نفس، فلا يجوز فوق ثلاث، كما حدد ذلك النبي ﷺ، فإن الهجر من أجل الدنيا، وحظ النفس فوق ثلاث يكسب الهاجر عظيم الإثم، ويحرمه من المغفرة، ويدخله النار، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس، فيغفر الله لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا**» رواه مسلم.

4- ترك الغش في البيع والشراء والمشورة والنصيحة؛ لقوله ﷺ: «**من غشنا فليس منا**» رواه مسلم.

5- وجوب أداء الأمانة والحق، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء:58]، وقال تعالى: ﴿فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة:283]، وقال ﷺ: «**أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»، وقال ﷺ: «**مطل الغني ظلم** ـ أي: منعه الحق الذي عليه لأخيه والتسويف بأدائه ظلم ـ **يحل عرضه وعقوبته**».

6- ترك احتقارهم والسخرية منهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات:11]، وقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة:1]، وقال ﷺ: «**بحسب امرئ** ـ أي: يكفيه ـ **من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» رواه مسلم، وقال ﷺ: «**الكبر بطر الحق** ـ أي: رده ودفعه ـ **وغمط الناس** ـ أي: احتقارهم ـ»، وقال ﷺ: «**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان** ـ أي: لاحتقاره في دينه وتزكيته لنفسه عليه وإعجابه بعمله ـ، **فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى عليّ** ـ أي: يحلف ويجزم عليَّ أن لا أغفر لفلان ـ، **فإني قد غفرت له، وأحبطت عملك**»، رواه مسلم.

فالواجب على المسلم أن يعرف لأهل الإسلام حقهم، وأن يحذر من أذيتهم، وأن يتقرب إلى الله بحبهم والإحسان إليهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

*****

خصال وأى خصال!!

الحمد لله الرب الرحيم، الذي شرع الدين القويم، وهدى من استهداه إلى الصراط المستقيم، وجعله وقاية من نار الجحيم، وهداية إلى جنة النعيم.

أما بعد:

فقد حدث عبدالله بن سلام رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ أول مقدمه المدينة مهاجرًا يقول: «**أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام**».

فهذا الحديث الصحيح قد تضمن إرشاد المسلمين إلى تحقيق أربع خصال من خير خصال الإسلام، وكل خصال الإسلام خير لما فيها من المنافع العظيمة في الدنيا والآخرة.

فأول تلك الخصال: «إفشاء السلام»:

أي: قراءته وإلقاؤه على من عرفت ومن لم تعرف من أهل الإسلام؛ ذلك لأن السلام اسم من أسماء الله تعالى، فينبغي إفشاؤه وإشاعته بين المسلمين، فإن البركة تحل وتنال بذكر اسمه تبارك وتعالى، وهو تحية من عند الله مباركة طيبة، وهو من أسباب كمال الإيمان وإشاعة المحبة بين المؤمنين ودخول الجنة، قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٦١]، وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»، وهو دعاء من المسلم لأخيه بالسلامة من المكاره والشرور، وذلك ينبئ عن حب المسلم لأخيه وسلامة صدره نحوه وإرادته الخير له، والبادئ بالسلام هو أولى الملتقيين بالله عز وجل.

وفي السلام منافع كثيرة وأجور عظيمة لا يتسع المقام لبسطها، ولقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يذهب إلى السوق فيمر من طرفه إلى طرفه من غير حاجة إلا السلام على الناس.

وأما الخصلة الثانية: فهي «إطعام الطعام»:

والمراد بذل فضله وما وجب منه لأهله في مناسبة وفي غير مناسبة، مثل: قرى الضيف، وإطعام ابن السبيل والفقير والمسكين، ووليمة العرس، وإكرام الجار وذوي الفضل، كما كان من هدي النبي ﷺ وأصحابه؛ من غير إسراف ولا تبذير.

فقد كان النبي ﷺ أكرم الناس وأجود الناس، وأثنى الرب تبارك وتعالى على إبراهيم عليه السلام بالكرم في قرى الضيف بقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات:٢٦]، وفي الآية الأخرى: ﴿أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:69].

ولقد أثنى الله تعالى على قوم بكريم الخصال التي جعل جزاءهم عليها الجنة فقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:8،9].

ولئن أغنى الله بفضله ـ وله الحمد والشكر ـ أهل هذه البلاد عن تحري إتيان الطعام من الآخرين أو انتظار الدعوة إليه، فينبغي المحافظة على سنة إطعام الطعام؛ إحياءً لسنن الهدى وتقربًا إلى المولى، أما البلدان التي يوجد فيها الجوع والمسغبة، فإطعام الطعام فيها من إغاثة الملهوف وفك الرقبة، ولا يخفى فضل ذلك وعظم المثوبة عليه لما فيه من الإحسان والمرحمة.

وأما الخصلة الثالثة: فهي «صلة الأرحام»:

وهم القرابة سموا رحمًا لخروجهم من رحم واحدة؛ ولأن القرابة قاعدة وموجبة التراحم، وذلك بأداء ما شرعه الله تعالى لهم من الحقوق، كلٌّ حسب قربه ومنزلته ومناسبة صلته، كالزيارة، وطلاقة الوجه، وطيب القول، وكف الأذى، وبذل الندى، ونحو ذلك من ألوان الإكرام والمواساة عند المصيبة، وإظهار الاغتباط

والسرور بما ينالون من خير وما يتجدد لهم من نعمة أو يندفع عنهم من نقمة، ولقد أثنى الله تعالى على الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل وبشرهم بقولـه: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ ﴾ [الرعد:23].

وصلة الرحم ـ على وفق الشرع ـ من أسباب المحبة بين الأقارب، والبركة في العمر والعمل، وكثرة المال وزيادة الدخل؛ لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: **«صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر»**، وقال ﷺ: **«من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره، فليصل رحمه»**.

وبالجملة فواصل الرحم موصول من الله تعالى بكل خير في عاجل أمره وآجله، لما ثبت في الصحيح أن الله تعالى قال للرحم: **«أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك»**.

وقطيعة الرحم ظلم وشؤم، والقاطع للرحم متوعد بأنه لا يدخل الجنة وبأنواع من العقوبة واللعنة، قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ ﴾ [الرعد:23]، وصح عن النبي ﷺ قوله: **«لا يدخل الجنة قاطع»**.

وأما الخصلة الرابعة: فهي **« الصلاة بالليل والناس نيام»**:

أي أداء صلاة الوتر في الليل، والوتر يكون ما بين صلاة العشاء والفجر، وإذا كانت بعد نوم وفي جوف الليل كانت أفضل، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء:79]، وقال سبحانه: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة:16،17]، فهي من أسباب دخول الجنة بسلام، والفوز بما وعد الله تعالى به الصالحين من أنواع النعيم والإكرام، ومن موجبات مغفرة الذنوب، وستر العيوب، وإجابة الدعاء، ونيل جليل المطلوب.

فالمشروع أن يصلي المرء من الليل ما كتب الله له مثنى مثنى، ويختم بركعة واحدة توتر له صلاته، وكان ﷺ يحافظ على إحدى عشرة ركعة، وأقل ما حفظ عنه ﷺ فيما أعلم ثلاث ركعات، وروي عن الصحابة رضوان الله عليهم دون ذلك إلى ثلاث ركعات، وما ترك النبي ﷺ صلاة الليل حتى توفي، ووصيته ﷺ بها وحثه عليها ثابتة في نصوص صحيحة كثيرة.

والمسلم إذا قسم نافلة الليل على أوقاته، تيسر له أن يحافظ على ما كان النبي ﷺ يحافظ عليه، فإذا صلى بعد سنة العشاء الراتبة تسليمة أو تسليمتين، ثم توضأ قبيل النوم؛ ليبيت على طهر، وليستجاب دعاؤه، ثم صلى تسليمتين؛ ليغفر له ما تقدم من ذنبه وليؤدي جزءًا من صلاة الليل ثم صلى قبيل الفجر تسليمة وأوتر بعدها سهلت عليه هذه العبادة، وفاز بجزيل ثوابها وحظي باتباع النبي ﷺ على سنته حتى يحبه الله ويغفر له ذنبه ويزيد من فضله.

فانظر أخي الكريم عظم هذه الوصية النبوية وما تثمره من العواقب الكريمة والأجور العظيمة، وقوة الصلة بالله تعالى والتحلي بالإحسان إلى خلقه، فالزمها مخلصًا لربك جل وعلا متأسيًا بنبيك المصطفى، وعض عليها بالنواجذ حتى تلحق بالرفيق الأعلى.

رزقني الله وإياك وكل غال علينا ذلك، وجنبنا المهالك.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

أعمال يسيرة وأجور كبيرة

الحمد لله الذي يسر العمل الصالح، ورتب عليه المتجر الرابح، ونهى عن القبائح، ووعد بقبول توبة الناصح.

أما بعد:

فقد أوصى النبي ﷺ جماعة من الصحابة، منهم أبو هريرة وأبو الدرداء، وعبد الله بن عمر رضي الله عن الجميع بثلاثٍ: ركعتي الضحى، وأن يوتر قبل أن ينام، وصيام ثلاثة أيام من الشهر.

وهذه وصية عامة للأمة؛ لأنها وصية بأعمال صالحة يسيرة رتب الله عليها أجورًا كثيرة، فكل مسلم بحاجة إليها.

فأول تلك الوصايا: الوصية بركعتي الضحى:

والمقصود بها سنة الضحى، أقلها ركعتان، وأكثر ما حفظ عن النبي ﷺ منها ثمان ركعات، ومن زاد فهو خير له، ووقت صلاة الضحى من ارتفاع الشمس بعد طلوعها قدر سبعة أذرع إلى أن تقارب الزوال، كما في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه، وفيه قال ﷺ: «**فصلِّ فإن الصلاة مشهودة**»، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليك بكثرة السجود، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**».

وصلاة الضحى صلاة الأوابين، وتجزئ عن ثلاثمائة وستين صدقة، التي من أداها في يوم أمسى وقد زحزح نفسه عن النار، وجاء عن النبي ﷺ: «**إن الله تعالى يقول: ابن آدم صل لي من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره**»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «**من صلى من الضحى اثنتي عشرة ركعة بُني له بيت في الجنة**»، وكان ﷺ إذا فاته من حزبه من صلاة الليل شيء لمرض أو نحوه صلى من الضحى اثنتي عشرة ركعة.

أما الوصية الثانية: فهي الوصية بالوتر قبل النوم:

وذلك بأن يصلي المرء بعد صلاة العشاء وسنتها الراتبة ما تيسر له شفعًا، ثم يختم بركعة واحدة توتر له صلاته، وصلاة الوتر صلاة زادنا الله إياها بين العشاء والفجر، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوتروا يا أهل القرآن، فإن الله تعالى وتر يحب الوتر**»، وهي من صلاة الليل التي جعلها الله من أسباب النجاة من الفتن والنار، ومن أسباب دخول الجنة، ووعد الله تعالى أهلها بقوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:17].

وورد في فضلها نصوص كثيرة ـ ليس هذا موضع بسطها ـ، وقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**والله ما ترك رسول الله ﷺ قيام الليل**». وأقل ما حفظ عنه ﷺ ـ فيما أعلم ـ من صلاة الليل ثلاث ركعات، وأكثر ما حفظ عنه إحدى عشرة ركعة، وثلاث عشرة ركعة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح فليوتر بواحدة**».

وأقل ما حفظ عن الصحابة رضي الله عنهم ثلاث ركعات، وبإمكان المرء أن يفرق تلك الصلاة على أجزاء الليل حتى تخف وتيسر عليه، فيصلي مثلًا بعد العشاء وسنتها الراتبة ركعتين، وإذا أراد أن ينام توضأ حتى ينام على طهر، فإن ذلك من أسباب إجابة الدعاء أثناء الليل، فإذا توضأ صلى بذلك الوضوء ما كتب له وختم بركعة واحدة توتر له صلاته، فإن حُسْن الوضوء والصلاة بعده من أسباب مغفرة الذنوب والسبق إلى الجنة.

وإنما أوصى النبي ﷺ أبا هريرة وأمثاله بالوتر قبل النوم؛ لأنهم كانوا يسهرون أول الليل لمراجعة الحديث، فأولى بالطلاب ونحوهم ممن يسهر أول الليل أن يوتروا قبل النوم، أما من طمع أن يستيقظ قبل أذان الفجر بوقت يكفي للوتر، فإن الوتر آخر الليل أفضل، وقد انتهى وتر النبي ﷺ إلى السحر.

أما الوصية الثالثة: فهي صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

وما أعظمها من وصية، فإن الصيام غنيمة للمؤمن، وذلك أن الحسنة بعشر أمثالها، فصيام يوم بعشرة

أيام، وصيام ثلاثة أيام صيام ثلاثين يومًا، فمن صام من الشهر ثلاثة أيام، فقد صام الشهر ومن صام من كل شهور السنة ثلاثة أيام، فذلك صيام الدهر، وما أعظم الصيام من عبادة، وما أحبه إلى الله تعالى! فالصُّوَّام أهل كرامة الله تعالى ولهم أجره الكريم.

وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى: «**كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»، وقال ﷺ: «**عليك بالصيام فإنه لا مثل له**»، وفي رواية قال: «**لا عدل له**»، وهو زينة العمل عند عرضه على الله عزَّ وجلَّ، فقد كان النبي ﷺ يزين عمله به فيصوم يومي الاثنين والخميس، ويقول: «**إنهما يومان تعرض فيها أعمال العباد على الله تعالى فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**».

وناهيك بعمل جعله الله لنفسه، وجعل ثوابه وجزاءه عليه، وخصّ الصوم بباب من الجنة يقال له: «الريان» يدخلون منه لا يدخل منه غيرهم، فلما عطشوا في الدنيا من أجل الله تعالى دخلوا الجنة من باب الريان. فحري بالمؤمن عامة وطالب العلم خاصة أن يغتنم هذه الأعمال اليسيرة لما فيها من الأجور الكبيرة.

فإن في المحافظة على هذه السنن إعانة على طلب العلم، وأن يمن الله تعالى على الطالب بالفهم، وفيها استزادة من الهدى وتحلي بالتقوى، وتوفيق لسديد المقال، وحسن الحال في الحياة وفي المآل.

صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

قيمة العمر وأسباب قبول العمل

الحمد لله الذي جعل الأيام والليالي مواقيت للأعمال، ومقادير للأعمار، وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا.

أما بعد:

فإن مما يسلم به العقلاء قاطبة أن عمر الإنسان محدود، وأنه إلى نفاد، وما مضى منه فلا بدل عنه، وما بقي منه فهو غيب لا يمكن علمه ولا حرزه، ومن حضره أجله، فلن يؤخر عنه بل لابد أن يمضي ملك الموت بروحه حيث أمر، وما من ميت يحضره أجله إلا تمنى المهلة، فإن كان صالحًا فليزداد من صالح العمل، وإن كان مفرطًا فليتوب من التقصير والزلل.

وهذا يذكرنا بقيمة العمر، وأنه إن مضى في عمل صالح، فإنه تجارة لن تبور، وما مضى منه في غير خير ولا شر فإنه وإن كانت السلامة من الشر غنيمة قد ذهب خسارة على صاحبه؛ لأنه لم ينتفع به فيما ينفعه في الآخرة في نفس الوقت الذي اغتنمه الصالحون في الصلاح؛ ففازوا بعظيم الأرباح، أما ما مضى من عمر الإنسان في معصية الله تعالى فإنه مصيبة لا تجبر إلا بالتوبة إلى الله تعالى من الزلل، واستغفار الله عز وجل، والإكثار من صالح العمل، وإلا كان عرضة لما رتب الله على ذلك الذنب من عقوبة شرعية أو قدرية، فإن أصيب بتلك العقوبة كانت كفارة له وطهورًا، وإن ستره الله في الدنيا، فأمره في الآخرة إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

لذا كان لزامًا على العاقل المؤمن بالله واليوم الآخر أن يقف مع نفسه عدة وقفات:

الأولى: أن يتذكر أمسه فما كان فيه من صالح العمل، فيحمد الله تعالى على توفيقه له ويشكر لله تعالى بالدوام على جنسه، وما كان فرط فيه فيتوب إلى الله منه توبة نصوحًا، وكلما ذكر ذنبه ندم عليه وجدد عزما ألا يعود لمثله، ويكثر من الصدقة والاستغفار؛ تكميلًا للتوبة، واستيفاءً للأجر.

الثانية: قبل القول والعمل من أجل تصحيح النية بحيث يكون الباعث على فعل الطاعة ابتغاء وجه الله تعالى؛ رغبة في جزيل ثوابه، ويترك المعصية إجلالًا لله تعالى وخوفًا من غضبه وحذرًا من عقابه، فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فإن العمل غير المقصود عبث لا قيمة له، وما لم يكن خالصًا لله تعالى فهو شرك.

الثالثة: حال إيقاع القول والعمل بحيث يؤتى به مقيدًا بالشرع في أصله وبالسنة المأثورة عن النبي ﷺ في كيفيته، حتى لا يكون بدعة لا في أصله ولا في كيفيته، فإنه لا يتعبد لله تعالى بالبدع، وإنما يتعبد له سبحانه بما شرع، وكل عمل على غير الشرع مردود.

الرابعة: بعد الفراغ من القول والعمل وذلك للاستغفار من التقصير فيه والاعتراف بالعجز عن تكميله والاغتباط بما كان صوابًا منه والدوام عليه، فإن أحب العمل إلى الله تعالى أدومه وإن قل، والحذر مما يبطله ويذهب ثوابه كالتسميع به بالتحدث به على وجه يقصد به تحصيل ثناء الناس وكسب المنزلة بينهم أو الطمع بشيء من دنياهم أو المن على الله تعالى بالعمل، ونحو ذلك مما يبطل العمل بعد وقوعه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:264]؛ بل ينبغي أن يرى أن لله تعالى وحده المنة عليه؛ فهو الذي خلق وهدى وأعان ويسر، وهو الذي يرجى أن يمن بالقبول ويعظم الأجر، قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:17].

الخامسة: وبالنسبة لغده وما يليه ـ إن كان له ـ بأن يعدله النية الصالحة بالدوام على صالح العمل والحذر من معصية الله عزَّ وجلَّ، وذلك كله من الشكر على فسحة الأمل، والتمكين من الازدياد من الخير.

فبمراعاة هذه الأمور يبارك للمرء في عمره ويثاب على عمله، ويتحقق ربحه في آخرته بما كسب من دنياه يوم ينظر المرء ما قدمت يداه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

*****

خطة عمل يومى (مقترحة) لكل مسلم ومسلمة

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، وبعث محمدًا ﷺ بالحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وأثاب على العمل الصالح ـ وإن قل ـ أجرًا كبيرًا.

أما بعد:

فإن أداء فرائض الطاعات وترك الكبائر الموبقات أمر متحتم على المؤمن بالله واليوم الآخر، فليس القيام به محل نظر عند من يرجو لقاء ربه. ولكن الذي ينبغي التفطن له أن يُعنى العبد بالاستكثار من نوافل الطاعات، واتقاء الشبهات، وشغل الوقت بما ينفع يوم العرض على الله تعالى، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:18].

لذا فمن المتعين أن يضع الناصح لنفسه خطة عمل صالح يداوم عليها، فإن أحب العمل إلى الله تعالى أدومه وإن قل، فإن اليسير من الخير مع الاستمرار كثير، ولذا كان عمل النبي ﷺ ديمة، وكان ﷺ إذا عمل عملًا أثبته، ويخبر أن أحب العمل إلى الله تعالى ما داوم عليه صاحبه.

ومن المفيد أن يُعنى العبد الموفق بما يلي:

1- أن يكون له وقت خلوة بربه آخر الليل قبيل الفجر ولو بنصف ساعة، يؤدي فيه وتره إن لم يكن أوتر قبل نومه، أو يصلي ما كتب له إن كان أوتر أول الليل، أو ينشغل فيه بالاستغفار بالأسحار، فقد صح أن النبي ﷺ صلى بعد الوتر شفعًا.

فهذا الجزء من الليل وقت مبارك؛ لأنه يصادف وقت النزول الإلهي إلى السماء الدنيا؛ حيث ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ قال: **«ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟»**، فمن عاجل البشرى أن يتيسر للمؤمن أن يكون مستيقظًا في هذا الوقت، مصليًا ذاكرًا داعيًا مستغفرًا، حتى يفوز بهذا الخير، ويشمله الله بعفوه وفضله مع الصالحين .

2- أن يجلس بعد صلاة الفجر، والذكر المشروع بعدها بضع دقائق يسبح الله تعالى مائة تسبيحة، ويقول: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير** مائة مرة، هاتان الكلمتان بهذا العدد من أسباب المغفرة ومحو الخطيئة والفوز بالأجر الكريم والخير الكثير، والتحرز من الشيطان الرجيم، وكذلك يقول بعض الأدعية المأثور عن النبي ﷺ قولها في الصباح.

3- أن يصلي بعد طلوع الشمس ركعتين، وإن تيسر له صلى من الضحى أربع ركعات؛ لينال ثواب عمرة تامة، ويؤدي شكر يومه ويزحزح عن النار، ويُكفى همه آخر يومه، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة.

4- ويكون له كذلك دقائق بعد صلاة العصر أو بعد المغرب ـ إن لم يتيسر بعد العصر ـ يسبح الله مائة تسبيحة، ويقول: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له،** مائة مرة، ويقول ما ثبت عن النبي ﷺ من أذكار المساء؛ لينال مثل ثواب صباحه وبكوره لذكره وتسبيحه لله تعالى طرفي النهار.

5- يتحرى المسلم أن يؤدي بعض الحقوق لإخوانه المسلمين من: صلة رحم، أو عيادة مريض، أو صلاة جنازة، أو زيارة جارٍ أو أخ له في الله، أو حضور درس شرعي، أو مشاركة في دعوة إلى الله تعالى، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو إصلاح بين الناس، فيقوم بما تيسر منها ابتغاء وجه الله عز وجل .

6- وهكذا عند النوم يتوضأ، فيحسن الوضوء ويصلي ما كتب له وإن خشي ألا يستيقظ إلا مع الفجر أوتر قبل أن ينام، وإلا يجعل وتره آخر الليل فإنه أفضل، ويقول ما ثبت عن النبي ﷺ قوله من الأذكار والدعوات عند النوم، فإنه إذا توضأ فأحسن الوضوء وصلى ما كتب له، وذكر الله حتى يغلبه النوم فاز بثواب ذلك، ولم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيرًا إلا أعطاه إياه.

7- وكذلك ينبغي أن يُعنى العبد بنوافل الصلاة: كالسنن الرواتب، فلكلٍ فضله وأجره، ولن يسجد العبد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة، وهكذا نافلة الصدقة اليوميــة، فإن النفقة مخلوفة وإحسان إلى الخلق ـ والله يحب المحسنين ـ وهي ستر من النار، وتطفئ الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وهي ظل لصاحبها يوم القيامة. وفقنا الله جميعًا لعمل الطاعات، وغفر لنا الخطيئات، وجعلنا يوم القيامة في أعلى الدرجات.

8- وإن صادف الاثنين أو الخميس صام ذلك اليوم إن تيسر له وخصوصًا الخميس ليسر صيامه وفراغ المرء فيه ـ غالبًا ـ، ولأن أعمال العباد تعرض على الله تعالى يوم الخميس وليلة الجمعة، فيغفر لكل مسلم لا يشرك بالله شيئًا إلا اثنين بينهما شحناء حتى يصطلحا، والصوم زينة العمل ولا مثل له وذلك من فضل الله عزَّ وجلَّ.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

*****

ترشيد الإنفاق
من هدى الشرع ونهج العقلاء باتفاق

الحمد لله الذي وهبنا المال، وجعلنا فيه مستخلفين، وأمرنا أن ننفقه قوامًا، وأخبرنا أنه لا يحب المسرفين، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد الذي كان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.

أما بعد:

فإن الله تعالى قد جعل المال الصالح قوامًا للحياة، فنعم المال الصالح للرجل الصالح، يكف الله به وجهه عن الحاجة إلى الناس، ويصل به الرحم ويحسن به على المسكين وذي الحاجة، ولذا أمر الله تعالى بطلبه من حله، وبذله في حقه، وشرع من الأحكام ما هو من وسائل حفظه وزيادته ونمائه واتقاء شره وخطره.

ومن التوجيه الرباني الكريم بهذا الصدد قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف:31]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء:26،27].

وقال تعالى في صفة عباد الرحمن والثناء عليهم بكريم الخصال وجميل الفعال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان:67]، وخاطب نبيه ﷺ وهو خطاب عام للأمة بشأن الإنفاق، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء:29].

فتضمنت هذه الآيات الكريمة أمورًا:

الأول: النهي عن التبذير، ووصف المبذرين بأنهم إخوان الشياطين الكافرين؛ تحذيرًا من هذا النهج الفاسد من الإنفاق، فإن التبذير هو صرف الأموال في غير وجه شرعي، **ومن أمثلة ذلك:**

1- **إنفاق الأموال في ظلم الناس**؛ لقصد الإضرار بهم: كإنفاقها في الفخر والمباهاة وأمور الجاهلية أو في الخصومات الظالمة، والحيل الباطلة، والمكائد التي يقصد بها أخذ أموال الناس ظلما، كبذلها للمحامين المبطلين، والمسؤولين المرتشين، والسماسرة المحتالين.

2- **بذل الأموال في الإضرار بالنفس**: كإنفاقها في المسكرات والمخدرات والزنا، وكل ما فيه إضرار بالنفس ومخاطرة بها.

3- **إنفاق الأموال في الربا والقمار واليانصيب والمسابقات التي لم يرد الشرع بإقرارها**؛ بل جاء بالنهي عنها والوعيد الشديد لأهلها، ونحو ذلك مما هو من ضروب اللعب بالأموال من غير سبب له وجه شرعي، كالإفراط في شراء الأغراض التي لا حاجة لها، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال في غير حاجة ضرورية وأكثر من الحث على حفظه وصيانته، والتحذير من إنفاقه في غير وجه شرعي.

الثاني: النهي عن الإسراف ـ وهو الزيادة عن الحاجة في الإنفاق في الأمور المشروعة والمباحة ـ، فلا يجوز الإسراف في المآكل والمشارب والملابس والولائم العامة أو الخاصة ولا في غير ذلك، بل يقتصر على القدر المناسب؛ حذرًا من العقوبة وطلبًا للمثوبة وحفظًا للنعمة. فإن الإسراف من أعظم أسباب زوال النعم، وتبدلها بالنقم، وشقوة في الآخرة كما توعد الله بذلك المترفين من الأمم.

الثالث: التوسط في الإنفاق، فلا تبذير، ولا إسراف، ولا بخل، ولا تقتير؛ صيانةً للدين، وحفظًا للمال، وعملًا بالآية، وتحريًا لما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **«كل واشرب والبس وتصدق، في غير سرف ولا مخيلة، وخير الأمور أوساطها»**.

فإذا رُوعيت هذه الأمور الثلاثة عند الإنفاق كان ذلك من نهج السداد وأسباب صلاح المعاش والمعاد، وحُفظت الأموال ولم تعرض للزوال، وإذا كان ترشيد النفقات والاستهلاك من سياسات الحكومات الرشيدة، فإنه كذلك يُعد في حياة الأفراد من الخصال الحميدة، والإجراءات السديدة، التي تُحفظ بها الكرامة، وتُتقى بها القلة والعيلة، فما عال من اقتصد، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

وجوب ذكر وشكر النعم واستعمالها فى طاعة المنعم

الحمد لله الذي تأذن للشاكرين بالمزيد، وتهدد الكافرين بالعذاب الشديد.

أما بعد:

فإن ذكر النعم ومعرفة أجناسها وأنواعها ومقاديرها من خصال النبيين وخلال المؤمنين ومن أعظم البواعث على الاغتباط بها وشكرها وحوافز رعايتها وحفظها ومقتضيات استقرارها وزيادتها؛ ولهذا أكثر سبحانه من تذكير عباده بنعمه وآلائه، كقوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:11]، وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:69].

ونبه سبحانه على أجناس عظيمة من نعمه، وذكر أصولها وجلائلها في محكم كلامه، كما في سور الأنعام والنحل والرحمن، وكقوله تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم:34]، بل إنه جل ذكره أخبر أن جميع النعم منه وحده فهو تعالى المتفرد بالأنعام كما أنه المتفرد بكشف الضر عن الآنام، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:53،54]، ولقد تأذن الله تعالى للشاكرين بالمزيد وتهدد الكافرين بالعذاب الشديد، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:7].

والغفلة عن النعم واستصغارها، ونسبتها إلى غير الله تعالى، واتخاذها ذريعة للمعاصي، ونسبتها إلى الأسباب والمعارف والأسلاف، كل هذه من مظاهر الكفران وأمارات قسوة القلوب، وهي من أسباب نقصها وزوالها وتبدلها بأضدادها، كما كان من شأن أهل سبأ وغيرهم من القرى الظالمة، التي احتقرت النعم ونسبتها إلى أسباب البشر، ثم تمادى بها الأمر إلى أن سئمت النعم وملتها وجحدت حقوق المنعم وكفرتها، فأزال الله النعم من بين أيديهم وجعلهم أحاديث وعبرا لمن جاء من بعدهم، وجعل مواطنهم وآثارهم شاهدة عليهم بعظيم نعمة الله عليهم وظلمهم لأنفسهم، يقول تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج:45].

وإذا عُرف هذا، فإننا في هذه البلاد ـ بلاد الحرمين ـ ننعم ولله الحمد بنعم كبرى ومنن جليلة: من مناسبة الموقع بين العالم، فإننا في وسط العالم في مهبط الوحي، ومبعث النبي ﷺ، وقبلة المسلمين، ومنطلق دعوته للعالمين، هذا إضافة إلى ما فيه من كثرة الخيرات والثروات، وأعظم من هذا كله صحة المعتقد وسلامة المنهج، وتوفر الأمن، ورخاء العيش، ووجود أئمة هداة في العلم والعمل، وتحكيم الشريعة في الجملة، كل هذه ينبغي أن تُذكر فتُشكر، وأن تعظم ولا تستصغر فتحتقر، **وشكرها بأمور:**

الأول: الاعتراف بأجناسها وآحادها وكثرتها، وأنها من الله تعالى وحده؛ منحة للشاكرين ومحنة للكافرين.

الثاني: أن يُستعان بها على طاعة الله تعالى، وأن يحسن بفضلها على عباد الله.

الثالث: أن يثني على الله تعالى بها، فيُذكر سبحانه ويُشكر ويُعترف له بالفضل، ويبرأ من القوة والحول إلا به سبحانه، ويُعترف بالعجز عن أداء كامل حقه على خلقه، ويُسأل العفو عن التقصير في حقه، وأن يحذر من نسبتها إلى الأشخاص والأسباب والمهارات والأسلاف، ثم يذكر ويثني على من كان له نوع سبب بعد الله في هذه النعمة وتوفرها.

فيشكر العلماء والجهات المعنية بالعلم الشرعي على نعمة العلم والهدى بما يبينونه للناس من دين الله ـ جلَّ وعلا ـ قولًا وعملًا.

ويُشكر الحكام والجهات المسؤولة عن الأمن على جهودهم في توفير الأمن، وقطع دابر الجريمة، وسهرهم على حياة الأرواح والأعراض والحرمات.

ويُشكر الأغنياء وجهات البر على إحسانهم بأموالهم وجودهم بخيرهم على إخوانهم.

ويُشكر الأطباء والجهات المسئولة عنهم على جهودهم في علاج الأمراض والعناية بالمرضى.

وهكذا كل من له سهم في توفير نعمة يُشكر على جهده في مجاله، فإنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، وإن من الفضل الاعتراف بالفضل لأهله، وإنكار الجميل ونكران المعروف لؤم في الطباع، ومن أخلاق

الرعاع، ومن أسباب انقطاع المعروف والإحسان.

الرابع: الحذر من الانشغال بها عن حق المنعم بها ومواليها كالذين يتركون صلاة الفجر آمنين في البيوت، أو يتعاطون الربا مفتتنين بالأموال، أو يبذلون الأموال في الحرام والإعانة على الآثام، جعلنا الله جميعا من الشاكرين، وأعاذنا من حال الكافرين الجاحدين، وجعلها من أسباب السعادة في الدارين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

همسة فى أذن موظف بشأن حق الوظيفة

الحمد لله الذي أمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله الذي أخبر أن إضاعة الأمانة من أمارات الساعة.

أما بعد:

فإن الوظيفة أو الولاية ـ كبيرة كانت أو صغيرة، عامة أو خاصة ـ أمانة يُسأل عنها من وليها يوم القيامة، لقوله ﷺ: «**إنها أمانة وإنها خزي وندامة يوم القيامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**» رواه مسلم.

والوظيفة لها حقوق:

أ- **فمن حقها:** ألا تُسند إلا لمن هو أهل لها مؤتمن عليها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:26]، ومتى ما أسندت إلى غير كفؤها كان ذلك تقصيرًا في الأمانة، وأمارة على قرب قيام الساعة، فإن النبي ﷺ سئل: متى الساعة؟ قال: «**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**»، قال: كيف إضاعتها؟، قال: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»، رواه البخاري، ولذا قال ﷺ: «**إنا لا نولّي هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه**»، متفق عليه.

ب- **ومن حقها:** أن تكون همة المتولي وغايته إقامة الدين في ولايته، وحفظ حقوق وحرمات المسلمين، فإن كل ولاية في دولة الإسلام إنما يقصد بها هذان الأمران، فليجاهد الناصح نفسه وغيره على ذلك، فلا يجعل عمله في نقض الدين بمخالفته أو تعطيله، ولا في النيل من حرمات المسلمين وحقوقهم، أو تضييع شيء منها عليهم.

ت- **ومن حقها:** أن ينصح الموظف أو المتولي لأئمة المسلمين وعامتهم، فإن الدين النصيحة، وكان النبي ﷺ يأخذ على أصحابه عند البيعة النصح لكل مسلم. والنصيحة: حيازة الحظ أو الخير للمنصوح له، ومن معانيها السلامة من الغش والخيانة.

ث- **ومن حقها:** الرفق بالمراجع بإعطائه ما يستحق، وصرفه وإقناعه بالبرهان عما لا يستحق دون أن يكلف أعباء مالية للأسفار أو الانتظار وتكرار المراجعة فيما لا طائل تحته، قال ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**» متفق عليه، وفي رواية: «**فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة**».

ولا يسيئنَّ الموظف معاملة مراجعيه ولو أساؤوا إليه، فإن كظم الغيظ، والعفو عن الناس من أسباب السبق إلى مغفرة من الله وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

وليتذكر الموظف العاقل حسن معاملة يوسف عليه السلام لإخوانه حتى شهدوا بفضله وإحسانه قائلين: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:78]، مع أنهم قد أساؤوا إليه أبلغ الإساءة، حيث فرقوا بينه وبين

أبويه، وألقوه في غيابة الجب، وباعوه بثمن بخس دراهم معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين، وقالوا لأخيه الذي هو أصغر منه: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:٧٧]، يعنون يوسف عليه السلام، فأي إساءة إلى مسؤول أعظم من ذلك، ومع ذلك أجابهم يوسف عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:92].

ج- **ومن حقها**: ألا يحبس الموظف المعاملة عنده مدة؛ ليتشفى من مراجعه أو ليقدم معاملة صديق له أو لغير ذلك من الأسباب، فإن ذلك من الظلم العظيم، وقد قال ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**» رواه مسلم، وقال ﷺ: «**واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» متفق عليه، وقال ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم** ـ يعني: يتركه بعض الوقت تغريرًا به ـ **حتى إذا أخذه لم يفلته**» ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:102].

ح- **ومن حقها**: أن يحفظ مال الوظيفة ويؤديه بكل أمانة، وأن يحفظ أسرارها فلا يفشي شيئًا منها، وألا يقبل هدية على عمله من مراجع أو غيره من عامة الناس، فإن ذلك رشوة، فقد استعمل النبي ﷺ رجلًا على الصدقة، فلما قدم على النبي ﷺ من جباية الصدقات قال: هذا لكم وهذا أُهدي إليّ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد: فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاّني الله، فيأتيَ فيقول: هذا لكم، وهذا أُهدي إلي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا، والله لا يأخذ أحدٌ منكم شيئًا بغير حقه إلا لَقِيَ الله تعالى يحمله يوم القيامة...**إلخ»، متفق عليه.

وقال ﷺ: «**من استعملناه على عمل فليجيء بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ وما نهي عنه انتهى**» رواه مسلم، وقال ﷺ: «**من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطًا فما فوقه، كان غلولًا يأتي به يوم القيامة**».

خ- **ومن حقها**: أن يحتسب وقت دوامه في الوظيفة عبادة واجبة عليه لله تعالى يرجو ثوابه عند الله تعالى، وأن يمضي وقت الدوام كله في الإصلاح والإحسان، وإعانة صاحب الحق على تحصيل حقه، وكف الظالم عن ظلمه وما لا يستحقه مع الرحمة بالصغير والمرأة وإجلال ذي الشيبة المسلم والمسكين والغريب والضعيف ونحوهما، فإنما يرحم الله من عباده الرحماء، فارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآل وصحبه.

*****

فضل الشفاعة الحسنة

الحمد لله الذي جعل الشفاعة نافعة في الدنيا ويوم القيامة، وجعل الشفعاء المحسنين هم أهل الإحسان والكرامة.

أما بعد:

فإن الشفاعة هي سؤال الخير للغير، فهي عمل بر يراد به الأجر، فإن المرء متعبَّد بالشفاعة، وليس متعبدًا بالنتيجة، فإن النتيجة ليست عليه، وإنما هي على ربه، ولذا قال ﷺ: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**»، وفي رواية: «**ما أحب**»، فإن الله تعالى هو العليم الحكيم الذي يضع الأمور مواضعها اللائقة بها.

وقضاء الله تعالى شرعي وقدري:

1- قضى بالشفاعة شرعًا؛ ليبتلي عباده فيتبين (واقعًا) من يشفع شفاعة حسنة، فيكون أهلًا للثواب ممن يشفع شفاعة سيئة، فيكون محلًا للعقاب، ممن يعصي نبيه بالامتناع عن الشفاعة مع إنه أهل لها وليس عليه ضرر بسببها، فيكون محرومًا من الخير.

2- ويقضي قدرًا بنتيجة الشفاعة، فقد تتحقق النتيجة، وقد لا تتحقق؛ لما له سبحانه من الحكمة، فإن تحققت النتيجة ووقع مقصود الشفاعة، فهو فضله سبحانه على الجميع، وإن لم يتحقق مقصودها المادي، فقد تحقق مقصودها القدري الشرعي، وهو الابتلاء، وأما المقصود المادي، فإنه تعالى يعطي لحكمة ويمنع لحكمة، قال تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء:23].

وقد شفع النبي ﷺ لمولاه مغيث عند زوجته بريرة ـ لما عتقت فانفكت بالعتق منه ـ أن تبقى مع مغيث زوجها، فقالت: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: لا. قالت: لا حاجة لي به. فلم تقبل شفاعة النبي ﷺ مع عظم قدره عندها.

وشفع النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه عند يهودي بدَين كان لليهودي على جابر، فلم يقبل اليهودي شفاعة النبي ﷺ، ولم يكن عدم قبول اليهودي لشفاعة النبي ﷺ ضعة من قدر النبي ﷺ ولا رفعة لشأن اليهودي، ويسر الله تعالى قضاء دَين جابر ببركة دعاء النبي ﷺ لجابر بالبركة في ثمره، فأوفى اليهودي حقَّه، وبقي عند جابر خير.

وبهذا تتجلى حكمة الله تعالى في تشريع الشفاعة الحسنة، وأنها من محاسن الإسلام، وفضل الله تعالى على المسلمين، وذلك من وجوه:

الأول: أنها ابتلاء من الله تعالى للشافع والمشفوع عنده، أيشكران نعمة الله عليهما بالحياة والفضل فيؤجران بسببها، أم يكفران فيستحقان جزاء عملها؟

الثاني: أنها تعويد للناس على الإعانة على الخير، ودفع أسباب اليأس، وعنوان على الرجاء والطمع في حصول المراد، فهي من الأمور القدرية الشرعية التي جعلها الله من أسباب رحمة العباد بتيسير الأمور ودفع المكاره والشرور.

الثالث: توجيه العباد إلى تعاطي الأسباب النافعة والإيمان بالقدر، ففيها تحقيق قوله ﷺ: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»، فالمحتاج ينظر من يشفع ويلح على ربه في تحقيق مقصوده، والشافع يحتسب في شفاعته، ويرجو الله أن ينتفع بها، والمشفوع عنده ينظر في أمره، فإن كان في وسعه قبول الشفاعة وتحقيق المقصود احتسب ذلك عند ربه، وإن لم يكن في وسعه ذلك، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ولن يتحقق إلا ما يقدره الله ويقضيه، فإنه سبحانه هو مالك الملك ورب الخلق، فلا يكون في ملكه إلا ما يشاء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

الرشوة: حكمها وشؤمها

الحمد لله الذي نهى عن أكل المال بالباطل والإدلاء به إلى الحكام، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله الذي لعن المتواطئين على الرشوة، وعدها من الكسب الحرام.

أما بعد:

فإن الرشوة هي ما يعطاه من له ولاية مقابل جوره في ولايته بإعطاء الحق لمن لا يستحقه وصرفه عن مستحقه، وهي خصلة جاهلية، وخليقة يهودية، وخطوة شيطانية تنبئ عن ضعف الدين، وضياع الأمانة، وموت الضمير، والعبودية للدرهم والدينار، وذهاب الحياء، وزوال التقوى، وعدم خوف الجبار القهار.

* وهي من أسباب فساد الإدارة، وضياع الأمر، وشيوع الظلم، ونهب الحقوق، وهيمنة المحسوبيات، وذهاب الأخلاق .
* وهي تعرض آكلها والوسيط وباذلها للعن والطرد والإبعاد عن مظان الرحمة، فإن الله تعالى قد لعن الضلال من أهل الكتاب بأسباب وأفعال شنيعة، منها أكلهم للسحت وهو الرشوة، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «**لعن الله الراشي والمرتشي**»، وفي رواية: «**والرائش**».

* **فالراشي**: هو باذل الرشوة. **والمرتشي**: آخذها. **والرائش**: الوسيط الساعي بينهما.

وهذا القول من النبي ﷺ إن كان خبرًا فهو صادق، وإن كان دعاءً فهو أحرى الأدعية بالإجابة.

* وإنما استحق أولئك اللعن في الكتاب والسنة لسوء ما ارتكبوه، وعظم ما اقترفوه، فإنهم تواطئوا على الظلم، وتعاونوا على الإثم وإلزام غيرهم بالغرم.

فالمتواطئون على الرشوة ملعونون ومتهددون بعظيم العذاب وشديد العقاب في الدنيا ويوم الحساب.

فالرشوة حرام بإجماع المسلمين في أي صورة كانت، وبأي اسم سُميت؛ سواء قيل: إنها هدية أو إكرامية أو مكافأة أو خدمة، إذ العبرة بالحقائق لا بالمسميات، يأكلها آخذها سحتًا، ويتجرع شؤمها ومرارتها حتى يتوب منها، ويتخلص من تبعتها.

فمن شؤم الرشوة:

1- أنها مال حرام.
2- لا تقبل منه الصدقة.
3- ولا يؤجر صاحبه على النفقة.
4- وأنى يستجاب له الدعاء، وهو يأكل الرشوة.
5- وتقسي القلب، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي.
6- وتفتر الهمة عن الطاعة، وتقوي أكلها على اتباع الشهوات وأنواع المخالفات.
7- ولا يتركه صاحبه خلف ظهره إلا كان زاده النار.
8- وعليه إثمه ولغيره نفعه.

a. **ومن الرشوة:** ما يُعطى الحكام من أموال الناس؛ ليقضي من أجلها لمن لا يستحق، أو يمنعه من يستحق أو يقدم من غيره أولى بالتقديم.
b. **ومن الرشوة:** خدمة الموظف في جهته مقابل خدمة موظف آخر للأول في جهته، وهي من الرشوة الخفية والحيل الشيطانية لإفساد دين الناس وإماتة قلوبهم.
c. **ومن الرشوة:** ما يأخذه الموظفون المعنيون في الإدارات والمؤسسات الحكومية والشركات لتقديم من لم ينجح، أو إعطاء أسئلة الامتحان حتى يولى الوظيفة مَنْ غَيْرُهُ أحقُّ منه.

d. **ومن الرشوة:** ما يأخذه المسؤولون عن المشروعات والمناقصات حتى ينزل المشروع على من غيره أنصح قصدًا وأتقن عملًا.
e. فما يأخذه أولئك من أموال ليخونوا أماناتهم ويظلموا الناس ويغشوا في مسؤوليتهم فكله رشوة وسحت، وأيما لحم نبت من السحت، فالنار أولى به. وفي ذلك كله يقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:188].

نسأل الله السلامة والعافية. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

البشرى العاجلة والآجلة

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، ووفقه لصالح العمل، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس:62-63].

ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى في كلامهم على هذه الآية عدة بشارات للمؤمن، منها:

1- التوفيق للعلم النافع؛ لقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**»، فإذا جعل الله تعالى في قلب العبد الرغبة في العلم الشرعي، ويسر له سبيله كانت تلك من البشارات المعجلة.

2- تحقيق العلم بالعمل والثبات عليه مع الإخلاص فيه لله عز وجل، لما في المسند وغيره أن النبي ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبده الخير عسله**». قيل: عسله يا رسول الله؟ قال: «**يفتح له بين يدي موته باب عمل صالح حتى يتوفاه إليه**». فإذا استقام العبد على أداء الفرائض واجتناب المنكرات والتوبة النصوح إلى الله من الخطيئات كان ذلك من البشارات المعجلة في الحياة الدنيا.

3- المودة في قلوب صالحي العباد، والثناء عليه ممن يعرفه ومن لا يعرفه؛ لقوله ﷺ: «**أنتم شهداء الله في أرضه، من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة..الخ**»، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم:96]، وحديث: «**إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إني أحب فلانًا فأحبه فيحبه جبرائيل، ثم ينادي في أهل السماوات إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماوات ثم يوضع له القبول في الأرض**».

4- إذا حضر المؤمن أجله بُشر بمقعده من الجنة، كما في الحديث: «**أنه يرى مقعده من النار ومقعده من الجنة ثم يقال له: هذا مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فلا يكون غائب أحب إليه من الموت**».

5- الرؤيا الصالحة يراها المؤمن في حياته أو تُرى له في حياته أو بعد مماته، وهي من أجزاء النبوة الباقية في الأمة، وهي من المبشرات.

6- تثبيت الله للعبد عند السؤال في قبره، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فيقال: نم . قد علمنا إن كنت لموقنًا، ثم يُفتح له باب إلى الجنة، فيأتيه من روحها وريحانها ونعيمها، فيقول فرحًا: ربي أقم الساعة، شوقًا إلى منزله في الجنة.

7- تلقي الملائكة للمؤمن يوم القيامة البشارات والتهاني، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:30].

8- في الجنة تلقى الملائكة المؤمنين بالبشارات والتهاني والتحيات، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:23،24].

فتلك ـ أخي المسلم ـ سلسلة من البشارات متصلة الحلقات، مفتاحها العناية بالفقه في الدين والعمل به.

فكن ـ أخي المسلم ـ من أولئك الذين فازوا بأوفر الحظوظ، وأعظم الهبات بأن تتعب بدنك في طلب العلم

الشرعي، وتلزم أهله وتسأل الله أن يزيدك منه، وتعمل به وتدعو إليه وتصبر لله تعالى في سبيله.

جعلني الله وإياك ووالدينا وأهلينا وذرياتنا وإخواننا ممن سبقت لهم من الله الحسنى، وفازوا بإمامة أولي التقى وحشروا إلى الله وفدًا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

*****

تقويم الأعمال والنظر فى العواقب

الحمد لله الذي نزل الكتاب، وهو يتولى الصالحين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

تقويم الأعمال ومراجعة الحسابات نهج سديد لسنا بصدد الحديث عن جليل ثمراته وكبير فوائده الدنيوية، فإن ذلك مما يسلم به العقلاء، وهم أدرى بأمور دنياهم.

وإنما الذي نحن بصدد الحديث عنه العمل الذي يُجزى به العامل في دنياه وآخرته، والطريق الذي يمضي به الإنسان قدمًا للقاء ربه، فإن الكل بحاجة بل ضرورة إلى تقويمه ومراجعة حساباته؛ تنبيهًا من الغفلة وتذكيرًا بقرب النقلة والموت، يقول تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:55]، فإن كلا بحاجة إلى النظر فيما قدم من عمله، والطريق الذي يمضي به إلى ربه؛ ليغتبط بالصواب، ويصدق في المتاب، ويستعد ليوم الحساب.

وفي الكتاب والسنة والمأثور عن سلف الأمة حشدٌ من النصوص يوجه إلى هذا النهج السديد؛ لعظم فائدته وكريم عائدته مثل: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ:4]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر:18].

وما روي عنه ﷺ أنه قال: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله**»، وصح عنه ﷺ حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وفيه قال: «**ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**».

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله؛ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية».

ولا شك أن العبد إذا خلى بنفسه طالبًا للهدى، ومتجردًا من الهوى، ومعرضًا عن مقاييس الدنيا ثم نظر فيما أسدى الله تعالى إليه من سابغ النعم وكثرة لطف الله به عند الشدائد والضيق والحرج، وهو لا يستغني عن ربه لحظة ثم هو يبارز ربه بالعصيان تهاونًا بشيء من الفرائض، وتركًا لبعض الواجبات، وارتكابًا لأمور من المحرمات، مع أنه لابد ميت، وقادم على ربه، ومسؤول بين يديه عن عمله، فليعد للسؤال جوابًا، وليكن الجواب صوابًا، ولا شك أن العاقل المنصف إذا نظر هذا النظر، ستذرف عيناه الدمع؛ خجلا من سوء معاملته لربه المنعم عليه، ورهبة من هيبة الوقوف بين يديه، وخوفًا من الفضيحة على رؤوس الأشهاد، والخزي بدخول النار وبئس المهاد.

والمرء في كل يوم من أيامه في نهاية عمر قد مضى فانهدم، وبداية عمر قد بقي ـ الله أعلم بقدره ـ، وربما لم يبق منه شيء يذكر، فحري بالعاقل الذي يدرك أن مضي الأيام يهدم العمر، ويبعد من الأمل، ويدني من الأجل، ووشك انقطاع العمل أن يحاسب نفسه ويقوم عمله لكي يداوم على العمل الصالح، ويتوب من القبائح، ويغتبط بالاهتداء، ويقلع عن الاعتداء، فذلك أنفع لنفسه في حاضره وأخف لحسابه في غده، وأرشد له في عاقبة أمره.

فالتفكر والنظر في العمل والاستعداد الصحيح للمستقبل ينفع العاقل في جميع مراحل عمره:

أ- فحري بمن قد أشمط شعره، وقوس ظهره، وأتته أعراض الشيخوخة من كل جهة، وهو لا يزال مصرًا على التصابي، أن يفر إلى ربه، ويعود إلى رشده، بصالح العمل، والتوبة من التقصير في حق الله عز وجل، فإن الأعمال بالخواتيم.

ب- وحري بمن تدثروا بنعم الله تعالى عليهم، من قصر مشيد، ومركب فاره، وأثاث أنيق، ورصيد كبير، ومع ذلك فهم لم يشكروا الله على إنعامه، ولم يحذروا من الله شدة بطشه، ومفاجأة انتقامه؛ أن يتدارك أمره بشكر النعم واستعمالها في طاعة المنعم والإقلاع عن الإثم قبل فوات الأوان وتمنى ما ليس

بالإمكان، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:99]، وقال ﷺ: «**إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**».

ت- وحري بمن جمع أمواله كلها، أو جلّها من حرام: من ربا، أو رشوة، أو غلول، واختلاس مستغلا لوظيفته خائنًا لأمانته، وهكذا من كسب الأموال من قمار، أو غش في البيوع، أو الاتجار بسلع محرمة في الشرع، فجمع مالًا وعدده، يحسب أن ماله أخلده، أن يحذر شؤم ماله، فإنه إن أنفقه وهو من حرام لم يؤجر، وإن تصدق به لم يقبل منه، وإن دعا وهو في جوفه لم يستجب له، وإن تركه وراء ظهره كان زاده إلى النار، وإن رجالًا يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة، فعليه أن يصفي ماله، فإن تصفيته اليوم خير له وأنفع له من تصفيته يوم القيامة.

ث- وحري بمن تأمر على اثنين فأكثر، أن ينصح لهم، ويحسن إليهم، وأن يحذر من ظلمهم، قال ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**» متفق عليه، وفي رواية مسلم: «**ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل الجنة معهم**».

ج- وحري بمن ابتلي بقرناء السوء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات أن يفارقهم، ويهجر مواطنهم قبل أن يعض على يديه قائلًا: ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 27 - 29].

وهكذا من فكر في أمره، فيما قدم من عمله، كان حريًا بسرعة التوبة، وقرب الأوبة، قبل أن يُطوى الكتاب، ويُغلق الباب، ومن نسي الله تعالى نسيه، ومن نسيه أهلكه، ولا يبالي به في أي وادٍ هلك.

اللهم عفوًا عفوًا، وغفرًا غفرًا. وصلى الله وسلم على نبيه محمد وآله وصحبه.

*****

فضل اغتنام الفرص فى العمل الصالح

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملًا، ويسر الأعمال الصالحات، وأعد لأهلها جنات الفردوس نزلًا.

أما بعد:

فقد ثبت في الحديث الصحيح أن الله تعالى قال: «**وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه**»، فتقرب العبد إلى الله تعالى بأداء ما أوجب عليه من الطاعات، وترك ما نهى عنه من المحرمات هو أحب شيء إلى الله تعالى، وأعظم أسباب حبه وموجبات قربه، والفوز بكريم ثوابه، والنجاة من أليم عقابه، فإن الله تعالى قد جعل العبادة آية الاصطفاء، وعلامة الاجتباء، وبرهان السعداء، وجعل تركها عنوان الخسران والشقاء في الدنيا والأخرى.

فينبغي أن يقوم العبد بوظيفة العبودية لله تعالى، وهو في غاية من السرور والاغتباط بفضل الله تعالى عليه أن شرح صدره لذلك إذ جعله من الذين يتعبدون له بشريعة القرآن وعلى نهج المصطفى ﷺ فذلك أعظم ما يُفرح به، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:58].

ومن المهم جدًا أن يدرك المسلم العاقل أن الشباب والنشاط والعافية في البدن، والأمن في الوطن، وتوفر قوت اليوم والليلة، والأمن من الفتن، كلها نعم جلية وهي عوارٍ مردودة، ينبغي أن نُغتنم في طاعة الله تعالى، وخصوصًا جنس الفرائض من النوافل والسنن؛ **فإن في ذلك فوائد كثيرة منها:**

1- أن النوافل تكمل منها الفرائض، كما ثبت في الحديث الصحيح: «**أن أول ما ينظر من عمل العبد الصلاة، فإن وجدت تامة كتبت تامة، وإن وجدت ناقصة قال الله تعالى للملائكة: انظروا هل لعبدي من نوافل، فيتم بها ما انتقص من فريضة؟ ثم يسار بعمله هكذا**»، أي أن كل فريضة يكمل نقصها مما يوجد من النوافل من جنسها فلو لم يكن من الإكثار من النوافل إلا هذه الفائدة لكانت كافية.

2- أن نافلة الطاعة مفتاح لجنسها ومثلها، فكلما فرغ العبد من طاعة فتح الله له بابًا آخر من الطاعات، وتيسر الطاعات على العبد من عاجل البشرى له بالخير بقول النبي ﷺ إذا أراد الله بعبده الخير استعمل بأن يفتح له باب عمل صالح حتى يتوفاه عليه.

3- أن النوافل تحبب العبد إلى ربه، وتزيد حب الله تعالى في قلب العبد، ودليل ذلك ما ثبت في الحديث القدسي الصحيح أن الله تعالى قال: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ حتى أحبه**»، وحب الله للعبد من أسباب حفظ الله لعبده وإجابته دعاءه وإعاذته مما يكره ويحاذر.

4- من أسباب إجابة الدعاء وقضاء الحاجة وصرف البلاء وحفظ النعمى والكلاءة والحفظ من الله جلّ وعلا.

5- أن من اعتاد العمل الصالح ـ نتيجة مداومته عليه ومحبته له ـ إذا شُغل عنه أو عجز لمرض أو سفر أو غيرهما من العوائق كُتب له ما اعتاده؛ لقوله ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل مثل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم**».

6- أن الاشتغال بالخير وأنواع الطاعات وقت الرخاء يكون من أسباب تنفيس الكروب، وتفريج الشدائد؛ لقوله تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات:143،144]؛ ولقوله ﷺ: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**».

7- أن اغتنام الفرص فيما ينفع أمان من شغلها فيما يضر، فإن من ترك العمل فيما ينفعه ابتلي بالاشتغال فيما يضره.

وفقنا الله جميعًا لما يحبه ويرضاه، وجعلنا هداة مهتدين وأئمة للمتقين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

*****

آداب الزيـــــارة الشرعية لقبر النبي ﷺ

الحمد لله الذي أدب المؤمنين بأدب الإسلام، وجعل قدوتهم في أدبهم محمدًا عليه الصلاة والسلام.

أما بعد:

فإن بعض الناس يرفعون أصواتهم عند قبر النبي ﷺ، ويطيلون الوقوف والمقام عنده، وهذا من المنكرات العظيمة، فإن الله سبحانه وعد الذين يغضون - أي: يخفضون أصواتهم - عند رسول الله ﷺ المغفرة والأجر العظيم، وتوعد الذين يرفعون أصواتهم عنده عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:2]، فرفع الصوت عند النبي ﷺ من أسباب حبوط العمل؛ لأنه سوء أدب معه ﷺ، وقلة احترام له عليه الصلاة والسلام ، سواءً كان ذلك في حياته أو بعد وفاته.

وكذلك طول القيام عند قبره المكرم، وتكرار السلام عليه ﷺ عند القبر المكرم يفضي إلى الزحام وكثرة الضجيج، وارتفاع الأصوات عند قبره ﷺ، وذلك مما يخالف الأدب الشرعي الذي ينبغي لنا أن نلتزمه نحوه ﷺ.

وقد قال ﷺ: «**صلوا علي حيث كنتم**»، فيسر الله أمر الصلاة والسلام على النبي ﷺ بحيث يصله ﷺ ويبلغه من أي مكان من العالم، فلا يحتاج إلى شد رحال ولا إلى إعمال مطي، لأن الله تعالى ينقل الصلاة والسلام إليه عليه الصلاة والسلام ويوصله إليه بقدرته.

وإذا كان الطواف بالكعبة المعظمة عبادة عظيمة، أمر الله تعالى بها، وأثنى على أهلها، وأمر أن يُزار البيت من أجلها، فإن الطواف على وجه العبادة لله تعالى بحجرة النبي ﷺ أو بأي بناية غير الكعبة بدعة محرمة، وفعلة منكرة، وإذا كان ذلك تعظيمًا لمن فيها فهو شرك أكبر، وقد قال ﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** »، وفي رواية: «**وكل ضلالة في النار**»، رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن.

وبذلك يعلم أن الطواف على قبر الرسول ﷺ أو على غيره من القبور من البدع الشركية والضلالات الكفرية، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف:103،104].

ومن شر المحدثات وأعظم المنكرات التي يرتكبها بعض الناس عند الزيارة، أن بعض الزائرين يدعو النبي ﷺ، فيسأله الشفاعة، ويطلب منه قضاء الحاجة، وتنفيس الكرب، ويشكو إليه الحال، وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:60]، فأمر سبحانه بدعائه وحده لا شريك له، ووعد بالإجابة، وسمى الدعاء عبادة، ووصف الذي يدعو غيره بأنه مستكبر عن عبادته، وتوعده بدخول النار صاغرًا مُهانًا.

وقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:18]، وأمر نبيه ﷺ بقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن:21،22]، فمن دعا غير الله كائنا من كان فقد جعله شريكًا لله تعالى في حقه، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء:48]، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:65].

فهؤلاء الذين يدعون النبي ﷺ عند قبره أو بعيدين عنه أو عند قبور الصالحين كقبور أهل البقيع أو الشهداء أو غيرهم، إنما فعلوا الشرك الذي يحول بين صاحبه وبين الشفاعة والمغفرة، ويحبط عمله ويحرم عليه الجنة،

ويدخله النار، وذلك هو الخسران المبين، وإذا كان النبي ﷺ أنكر على من قال له: ما شاء الله وشئت، قائلًا: «**أجعلتني لله ندًا؟!**»، فكيف بمن يدعوه مع الله أو من دونه؟!، وذلك هو الضلال المبين، فإنه تسوية للمخلوق برب العالمين، وهو الذي أوجب على أهله الخلود في النار، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء:96-99].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

*****

الصدق: فضله وصفة أهله

الحمد لله الصادق في قيله، الذي أمر بالصدق وأثنى على أهله في تنزيله.

أما بعد:

فإن الصدق هو اعتقاد الحق وقوله، والعمل لله بمقتضاه وهو سجية كريمة، وخصلة عظيمة، تدل على سلامة الفطرة لدى المتصف بها وثقته بنفسه وبعده عن التكلف والتصنع، ويكفي للدلالة على منزلته من الأخلاق وحسن عاقبته على أهله في العاجل والآجل باتفاق أن الإيمان كله صدق في القول وتصديق بالحق وعمل بمقتضاه وتعبير عنه، وأن كل ما تصنع به المتصنعون ونسجه أهل الحيل سينكشف ويزول بهرجًا ولا يبقى إلا الصدق.

فصدق النية بإخلاص القصد لله الحق، وصدق السريرة بمحبة الخير للخلق، وصدق القول بقول الحق ترك السمعة بما عمل لله الحق وصدق العمل بموافقة الشريعة في أصل المشروعية، وموافقة السنة في الأداء والكيفية.

وكم في الكتاب والسنة من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة التي تستجيش الهمم، وتحفز العزائم على التحلي بالصدق، واللحاق بركب أهله، وتعد عليه بالنجاح والنصر والعاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة، وتغري به بما رتب الله عليه من الأجر العظيم والثواب الكريم وعظيم الرضوان وعلو المقام في الجنان.

وأعظم شأن الصدق أن الله تعالى أثنى على نفسه الكريمة بصدق وعده ونصر عبده، وصدق الحديث، وأثنى على رسله بالصدق والتصديق، وأثابهم على ذلك رفعة الدرجة وعلو المنزلة عنده، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، وجعل سبحانه الصديقين في منزلة تلي النبيين والمرسلين؛ تنويها بمقامهم وإشادةً بفضلهم وتنبيها على عظم ما خصَّهم الله تعالى به من النعم الدينية والدنيوية، وكانوا بذلك سادات الخلق في الدنيا والآخرة بعد النبيين، وما ذلك إلا لسبب تصديقهم للنبيين، وعملهم بما جاءوا به من الحق المبين.

وهكذا يجزي الله الصادقين بصدقهم في الدنيا بشرف الذكر وعلو المنزلة عند الحق والخلق، وفي الآخرة أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا، ولهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقًا**».

وفي التنزيل يقول الحق سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:119]، والمعنى: كونوا مع محمد ﷺ وأصحابه، كما روي ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «إذا أردت أن تكون مع الصادقين، فعليك بالزهد في الدنيا، والكف عن أهل الملة».

فنبّه هذا الإمام العظيم على أمرين يستعان بهما على التحلي بالصدق، واللحاق بركب الصادقين، وهما:

1- الزهد في الدنيا، والواجب منه ترك الحرام، وكماله بترك فضول الحلال وما لا ينفع في الآخرة، وإنما كان الزهد في الدنيا أساسًا للصدق وسببًا له؛ لأن الزاهد يعرف أن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، وأنه ينبغي أن تتخذ عونًا على الآخرة لا شغلًا عنها، وقد انصب همه على آخرته، وتعلق قلبه بربه، ولهذا يبتغي وجه الله تعالى فيما يأتي وما يذر، ومن ثم فلا حاجة به إلى أن يكذب من أجل حظوظ الدنيا؛ لأن حب الدنيا والولع بمتعها والطمع في تحصيل ما يراد منها هو السبب الوحيد أو الأعظم للكذب، فمن كانت همته الآخرة جانب الكذب لهوانه عنده وهوان أهله وهوان ما يترتب عليه من متع الدنيا، ولازم الصدق وأحب الصادقين، واستعان بربه أن يثبته عليه حتى يأتيه اليقين.

2- أما السبب الثاني للصدق والفوز بمعية الصادقين في نظر ذلك الإمام العظيم فهو الكف عن أهل الملة، أي: أهل الإسلام، لقوله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، وقوله ﷺ: «**والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**».

فمن أمن الناس بوائقه من بغضٍ وحسدٍ ونظرةِ عينٍ وغشٍ وخديعةٍ وسرقةٍ ونهبةٍ أو بهتٍ أو تعدٍّ على بشرته وحرمته وعرضه، ونحو ذلك من الغوائل والشرور لشدّة حرمة هذه الأمور في الشرع وتعظيمه لحرمات إخوانه؛ فذلك هو المؤمن الكامل الإيمان، والإيمان الكامل الصادق فيه يحجز صاحبه عن

الكذب كما يحجزه عن سائر المحرمات وكبائر الذنوب؛ لقوة إيمانه بالله تعالى وصدقه في عبادته وعظم خشيته منه لكمال علمه به.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

لا تنتسبوا لغير آبائكم

الحمد لله الذي خلقنا من نفس واحدة، وجعل منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً، أحمده تعالى وأشكره أن جعل لنا من أنفسنا أزواجًا، وجعل لنا من أزواجنا بنين وحفدة، ورزقنا من الطيبات.

أما بعد:

فإنه ينبغي للمرء أن يتعلم من نسبه ما يصل به رحمه، ويعرف به الفضل لأهله؛ فإن لآباء المرء فضلًا عليه لتسببهم في وجوده، وتمكينه من عبادة ربه، وينبغي للمرء أن يتقي - عبية الجاهلية - وهو تعصبها وتعاظمها بالآباء، وأن يجتهد في تحصيل ما ينفعه من علم نافع وعمل صالح ونتاج مثمر وسبق إلى الخير، فإن ذلك يكسبه السعادة في حياته، واستمرار انتفاعه بعمله بعد وفاته، وإن من الاعتراف بالفضل لأهله أن يعترف المرء بالانتساب لأصله، وأن يوصل الخير ويغرسه لينتفع به فرعه، وأن يحذر من تغيير اسمه ولقبه ما لم يخالف الشرع أو قطع نسبه من أجداده والتحاقه بأنساب قوم آخرين دون بيِّنةٍ معتبرةٍ طلبًا لشهرة أو مباهاة ومفاخرة، فإن ذلك من تنقص السالف وعقوق الخالف ونكران الجميل وقطع الرحم.

وإن النصوص من السنة في وعيد من انتسب إلى غير أبيه خطيرة، فمن ذلك:

1- ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر**».

2- ما ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام**».

3- وفيهما أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا**».

4- وعن أبي ذر رضي الله عنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ليس من رجل ادّعى لغير أبيه وهو يعلم إلا كفر، ومن دعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار، ومن ادعى رجلًا بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه** - أي: رجع عليه -» متفق عليه. وهذا اللفظ رواية مسلم.

فليعقل هذا الوعيد، وليحذر من هذا التهديد أولئك الذين زينت لهم أهواؤهم التنكر لأبائهم، والتسمي بأسماء لا تمت لأنسابهم بصلة بل جعلت الناس يجهلونهم ويسخرون منهم، فإن من شأن هذا الاتجاه أن يسهم في مزيد من قطيعة الرحم، وإنكار اللاحق فضل السابق، ودخول قوم في أنساب قوم إلى غير ذلك من السلبيات الكثيرة الحاصلة والتي قد تقع في المستقبل.

رزق الله الجميع الشكر لفضله والاعتراف بالفضل لأهله، وألحق الفروع بالأصول في كل خير، وجمع شمل الصالحين من الآباء والأمهات بالأبناء والبنات في جنات عرضها الأرض والسموات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

التحذير من المضارة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، محمد النبي الصادق الأمين، وآله وصحبه المُطهّرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من محاسن الشريعة الإسلامية المطهرة إنها جاءت بمنع الضرر وتحريمه والوعيد عليه؛ لما ينتج عنه من الظلم أو العداوة والبغضاء والفتنة والشر وسوء العواقب في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ [النساء:12]، وقال سبحانه: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [البقرة: 233]، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا ضرر ولا ضرار»**.

f. فمن قواعد الشريعة الإسلامية العظيمة منع الضرر سواء كان بتقوية مصلحة أو سعي إلى مفسدة، فالضرر غير المستحق لا يحل إيصاله وعمله مع الناس بل يجب على المؤمن بالله واليوم الآخر أن يمنع ضرره وأذاه عن الخلق من كل وجه، فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانــه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، ولا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه، أي: غوائله وشروره.

من صور المضارة المحرمة:

ومن صور المضارة المحرمة شرعًا الممقوتة طبعًا، ومع ذلك يسعى فيها بعض الناس مستخفين بشأنها غير مبالين بعواقبها في العاجل والآجل:

1- **الغش في البيوع:** بكتم عيوب السلع، وبخس أوزانها أو أعدادها أو وضع علامة الأصلي عليها، وهي ليست كذلك، وقد قال ﷺ: **«من غشنا فليس منا »**، وقال عليه الصلاة والسلام: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**، وكان ﷺ يأخذ على أصحابه عند البيعة: النصح لكل مسلم.

2- **الضرار بالوصايا:** بأن يخص الشخص أحد ورثته من زوجة أو ولد بأكثر مما له، أو ينقص الوارث بعض حقه، أو يوصى لغير وارثه بقصد الإضرار بالورثة، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: **«أن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله تعالى ستين سنة فيضار بوصيته فيدخل النار»**.

3- **مضارة الزوج لبعض زوجاته:** بأن يضيق عليها أو يؤذيها ويعضلها لأجل أن تطلب منه الطلاق، وتبذل له من المال مثل ما أعطاها مهرا أو أكثر أو يحرم إحدى الزوجتين شيئا من حقها لحساب الزوجة الأخرى، وقد جاء في الحديث قال ﷺ: **«من كانت له زوجتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيام وشقه مائل»**.

4- **ما يفعله بعض أوصياء المورثين أو وكلاء المورثة:** بمضارة بعض الورثة وخاصة النساء والقصر؛ بكتمان بعض حقوقهم أو حجب بعض الوثائق عنهم حتى لا يطالبوا ببعض حقوقهم أو لا يحاسبوه على بعض التصرفات لصالح شحه دونهم.

5- **الوشاية بالناس عند ذوي السلطان:** بالتحريض عليهم، أو نقل الكلام على وجه تسليطهم على الناس ليظلموهم في أموالهم أو منع حقوقهم، أو إيصال الأذى إليهم؛ فمن يسعى بشيء من ذلك من غير حق فهو مضار ظالم باغ ينتظر من الله تعالى العقوبة العاجلة، أو الآجلة، ولو بغى جبل على جبل لدك الله الباغي منهما، وما من ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم.

6- **ومن قبيح المضارة ما يفعله بعض الموظفين من حبس أوراق الناس عندهم:** بأوهى الأعذار حتى تفوت مصالحهم، وتكسد سلعهم، ويتحملوا نفقات باهظة في المراجعات والتعقيب، أو دفع أجور للمحامين.

7- **ما يفعله بعض الشركاء في شركائهم:** من التصرفات التي تحرمهم الانتفاع بحصتهم من الشراكة بسبب عدم المياسرة التي لا ضرر عليهم بها، ولزوم المعاسرة التي من شأنها إلحاق الضرر بشركائهم حتى يبيعوهم بالسعر الذي يرضون.

إلى غير ذلك من صور المضارة التي يرتكبها بعض الناس في حق إخوانه المسلمين غافلًا أو مستهينًا بما توعد الله تعالى به المضارين الظالمين.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:19]، وقال النبي ﷺ: «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»، وأخبر ﷺ: «**أن دعوة المظلوم يرفعها الله فوق السحاب ويقول وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**».

وجزاء الذين يلحقون الضرر بالناس بأي وسيلة وأسلوب قوله ﷺ: «**من ضار ضار الله به**»، فإن الجزاء من جنس العمل، ومن ضاره الله ترحل عنه الخير وحل به الشر وأحاط به الخطر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام:164].

وقال الشاعر:

وما من يدٍ إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا ويُبلى بظالم

وفي المثل: من حفر لأخيه حفرة وقع فيها.

فالواجب على الجميع أن يحذروا المضارة، وأن يسعوا في الأسباب السارة، فإن الساعي في الخير مبارك أينما كان، والمضار ملعون على كل لسان.

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

*****

اكتبوا وصاياكم قبل منياكم

الحمد لله على هداه، والشكر له على سابغ نعماه، جعل التقوى رأس وصاياه، واستحب من عباده الوصية، وأمر رسوله ﷺ بالتعجيل بها قبل المنيّة، والصلاة والسلام على خير البرية، وأصحابه أئمة الهدى ذوي السيَر السويّة.

أما بعد:

فإن الوصية هي الأمر المؤكد، والمقصود بها هنا: وصية الإنسان العاقل ـ بالأمر الذي يهمه شأن وليه أو وارثه لينفذه بعد مماته، قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖ﴾[النساء: 12].

ولقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»**، ففي هذا الحديث الصحيح إرشاد من النبي ﷺ للأمة إلى العناية بالوصية والمبادرة بها قبل مفاجأة الموت وأن غاية ما يسمح به من التأخير في الوصية الواجبة ـ وهي المتعلقة بالحقوق التي له وعليه ـ ليلة أو ليلتان؛ لأن الإنسان لا يدري ما يعرض له في هذه الحياة، ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما وهو راوي الحديث: «فلم تمض عليّ ليلة منذ سمعت ذلك من النبي ﷺ إلا ووصيتي مكتوبة عند رأسي».

* فالوصية وسيلة لحفظ الحق، وسبب لسرعة براءة الذمة من حقوق الخلق، وفرصة للاستزادة من الخير لمن ترك خيرًا بأن ينتفع من ثلثه أو ربعه في وجوه البر.
* وفيها تذكرة للموصي وورثته ووصيه والناظر في وصيته بالوظيفة الحتمية التي عليهم، وهي العبادة لرب البريات، وحث لهم على المبادرة إلى الخيرات، فالمبادرة بكتابتها وتكرار النظر فيها وتوثيقها بالختم أو بالإشهاد أو تصديق جهة موثوقة معتبرة، وتجديدها إذا طال أمدها أو تغييرها إذا وجد ما يقتضي تغييرها. كل ذلك من الحزم وفعل أولي العزم.
* وكتابتها لا تقرّب أجلًا ولا تقطع أملًا، وليس إهمالها من أسباب طول العمر، ولا مزيد كسب أو ظفر، وإنما هي احتياط من المرء لنفسه قبل سكنى القبر ورمسه.

وفيما يلي إشارة إلى أحوال تقتضي الوصية بها من العاقل الحازم:

أ- فقد تكون للشخص أموال عند الآخرين من ودائع أو وثائق أو قروض أو ديون، ونحو ذلك، ففي كتابة ذلك حفظ لحقه، ونصح لورثته من بعده، وإعانة الناس على براءة ذممهم من حقه، ورفع للحرج والإثم الذي قد يلحقهم وورثتهم بسبب المماطلة في إيفاء حقه لو لم يكن مكتوبًا في وصيته.

ب- وإن كان الشخص ممن قد وسّع الله عليه، فصفح عن شيء مما له عند الناس فيما لا إجحاف فيه ولا جور على ورثته . فذلك من الإحسان الذي يدخر ثوابه في موازينه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ت- وقد يكون في ذمة الشخص للناس ديون أو عروض أو مظالم أو وثائق فما لم يمكنه التخلص منه وأداؤه إلى أهله في حياته كتبه وعهد به إلى من يقوم بإيصاله إلى أهله بعد وفاته، وذلك خير برهان على صدقه في التخلص من حقوق الآخرين وعون لورثته على سرعة إيفاء الدين ورد لدعاوى المبطلين.

* وفي حديث عن النبي ﷺ قال: **«من أخذ أموال الناس وهو يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس وهو يريد إتلافها أتلفه الله»**.

ويروى عنه ﷺ أن نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يُقضى عنه، وأخبر ﷺ أن الشهادة في سبيل الله تكفر الخطايا إلا الدّين، وكان ﷺ لا يصلي على الجنازة إذا ذكر له أن عليها دينًا . فلما وسّع الله عليه صار ﷺ يوفي ديون الأموات مما أفاء الله عليه ويصلي على كل جنازة مسلم، وأخبر ﷺ أن أهل الجنة، وإن جاوزوا النار،

فإنهم لا يدخلون الجنة حتى يقتص من بعضهم لبعض ما بينهم من المظالم والحقوق، فإذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة.

ث- وقد يكون في ذمة بعض الناس حقوق لله تعالى واجبة من حجة الإسلام أو شيء من فريضة الزكاة أو نذر أو كفارة ونحو ذلك، ولم يتمكن من أدائها في ما مضى من عمره نسيانًا أو جهلًا، ولا يتيسر أداؤها وقت كتابة الوصية، فإذا كتبها كان ذلك من أسباب التعجيل بإبراء ذمته منها، وفي الحديث أقضوا الله، فإنه أحق بالقضاء.

وليعلم الأوصياء والورثة أن الحقوق الواجبة لله أو لخلقه مقدمة على الوصية بوجوه البر أو الميراث، فليبادروا مورثيهم بإبراء ذممهم من تلك الحقوق، فإن نفوسهم معلقة بها حتى تُقضى .

* وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم بعد وفاتكم زيادة في حسناتكم**»، فإذا كان المرء ممن أغناه الله فترك خيرًا فكتب في وصيته تفاصيل ما يجب أن يصرف فيه ـ ثلثه أو ما دونه ـ من وجوه البر وعيَّن وصيَّه الذي ينفذ ذلك، كان في كتابة الوصية على هذا الوجه حسم للنزاع، وقطع للأطماع، وإسراع بانتفاعه بما بذله من ماله في وجوه البر.

* ولكن ينبغي له أن يحذر من المضارة بالوصية أو الجور على الورثة بحرمان من يستحق وإعطاء من لا يستحق، وليعلم أن من يسّر يسر الله عليه، وأنه لا وصية لوارث؛ لأن الله تعالى قد أعطى كل ذي حق حقه. ولأن يدع الشخص ورثته أغنياء خير من أن يدعهم عالة يتكففون الناس.

* وكتابة الوصية بالصيغة التي ذكرها أهل العلم ـ رحمة الله تعالى عليهم ـ فيها تذكير من الموصي لنفسه ولورثته ولوصيه ولمن يطلع عليها بواجب العبودية لله تعالى وشهادة منه على نفسه بأصول الاعتقاد التي يتميز بها المؤمن عن أهل الأهواء والشرك والإلحاد مع الوصية بحقوق الله تعالى وحقوق عباده.

* وهذه صيغة الوصية التي نص عليها أهل العلم نقلًا عن السلف الصالح رحم الله الجميع وهي ما رواه الإمام عبدالرزاق في مصنفه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كانوا يكتبون في صدور وصياهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به فلان بن فلان أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور...الخ»، وأوصى من ترك من أهله أن يتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب، قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:132].

وقال أحد السلف في وصيته: «هذا ما أوصى به فلان بن فلان، وأشهد الله عليه، وكفى بالله شهيدًا، وجاز لعباده الصالحين مثيبًا إني رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، وإني آمر نفسي، ومن أطاعني أن يعبد الله في العابدين، ويحمده في الحامدين، وأن ينصح لجماعة المسلمين».

*** ثم بعد هذه الصيغة يذكر تفصيلات الوصية على النحو التالي:**

أولًا: ما عليه من الديون مفصلة بما يلزم مثبتة بما أمكن من وثائق وبينات.

ثانيًا: ما له من الحقوق عند الناس كذلك موضحة بما يلزم مثبته بما أمكن من وثائق وبينات.

ثالثًا: الوصية بالثلث أو أقل إن كان ترك خيرًا، وبالقصر من ورثته من حيث تربيتهم والعناية بما لهم وشئونهم.

رابعًا: تحديد الوصي ووكيله أو الأوصياء، ووصيتهما بتقوى الله عز وجل في تنفيذ الوصية وأداء الأمانة والإحسان.

* **وختامًا: فإن مما** ينبغي أخي المسلم الحزم في الوصية، والمبادرة بها، والحذر من الجور فيها كالوصية التي تتضمن حرمان وارث من حقه أو تفضيله على غيره أو احتيال على إسقاط حق أو نحو ذلك، فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يجور في وصيته فيدخل النار**».

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

*****

فهرس الموضوعات

التسلسل	الموضوع	الصفحة
	المقدمة	3
	في العقيدة	4
1.	الوظيفة الحتمية بين الاهتداء والاعتداء	5
2.	همسة في سمع البشرية	8
3.	من هدي الشرع	11
4.	وجوب الاغتباط والتمسك بالدين	14
5.	النية: حقيقتها وأثرها	17
6.	الإيمان بالقدر وما يقال في الحادثات	19
7.	احذروا التطير . التشاؤم .	22
8.	لمع بشأن البدع	26
9.	المحبة منزلتها وثمراتها	36
10.	الفقه في دين الله	40
11.	من ثمرات الفقه في دين الله	43
	في الصلاة	46
12.	قيمة المشي إلى الصلوات	47
13.	الفوائد العشر للتبكير إلى الصلاة	49
14.	البشارات لأهل المساجد	51
15.	الفجر والعصر وحالة البعض معهما آخر الدهر	54
16.	هيئات وحركات منهي عنها في الصلاة	57
17.	فضل صلاة الليل	59
18.	فضل نافلة الصلاة في البيوت	62
19.	هدي النبي ﷺ في الليل	64
20.	بناء المساجد من جليل الأعمال الصالحة	66
	في الزكاة	69
21.	فريضة الزكاة	70
22.	الزكاة في شهر البركة	72
	في الصيام	74
23.	فضل شهر رمضان	75
24.	رمضان شهر البركة	77

25.	فضائل الصيام عامة	79
26.	مهمات بشأن الصيام	82
27.	التذكير بمهمات تتعلق بالصيام والقيام	85
28.	من حكم الصوم	88
29.	سنة الفطر في رمضان	90
30.	ما أعظم دعاء الصائم القائم	92
31.	تذكرة بشأن القيام عامة ورمضان خاصة	93
32.	حول قيام رمضان	95
33.	العشر الأواخر من رمضان	97
34.	مهمات في الاعتكاف	100
35.	زكاة الفطر	102
36.	مع أفراح العيد	105
37.	تذكرة في قضاء الصوم	107
38.	في فضل صوم يوم عاشوراء	109
39.	مواصلة صالح العمل بعد رمضان	111
	في الحج وفضل عشر ذي الحجة	114
40.	فضل الأيام المعلومات	115
41.	المقصود بالحج	118
42.	وجوب الحج ومنزلته من الدين	120
43.	فضل الحج والعمرة	122
44.	فضل العمرة في أشهر الحج	124
45.	المبادرة إلى أداء الحج قبل الشواغل	125
46.	من فقه المناسك	127
47.	الدعاء في المناسك	131
48.	التوحيد في مناسك الحج	134
49.	الوقوف بعرفة وفضله	137
50.	أعمال يوم النحر	139
51.	لا يذبح هدي المتمتع قبل يوم العيد	141
52.	تذكر بشأن الأيام المعدودات	143
53.	ضحوا تقبل الله ضحاياكم	146
54.	في ختام المناسك	150
	في موضوعات متفرقة	152
55.	فضل القرآن الكريم	153
56.	واجب الأمة نحو تعليم القرآن	155
57.	واجب المجتمع نحو حفظة كتاب الله	158

58.	معالم من المنهاج النبوي	160
59.	وصايا من جوامع الكلم	163
60.	التحذير من ترويج الكذب على رسول الله ﷺ	167
61.	خصائص الأمة المسلمة	170
62.	الأخوة الإيمانية	174
63.	الاهتمام بأمر المسلمين	178
64.	يمن الاستقامة وشؤم المعصية	182
65.	أي امتحان بعد هذا الامتحان؟!	184
66.	كن ممن ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه	188
67.	أين الطامعون في جليل الأرباح؟!	191
68.	خير العطاء وأوسعه	193
69.	وجوب حفظ حرمات المسلمين وترك أذيتهم	195
70.	خصال وأي خصال؟!	198
71.	أعمال يسيرة وأجور كبيرة	201
72.	قيمة العمر وأسباب قبول العمل	204
73.	خطة عمل يومي	206
74.	ترشيد الإنفاق	209
75.	وجوب ذكر وشكر النعم	211
76.	همسة في أذن موظف بشأن حق الوظيفة	213
77.	فضل الشفاعة الحسنة	216
78.	الرشوة: حكمها وشؤمها	218
79.	البشرى العاجلة والآجلة	220
80.	تقويم الأعمال والنظر في العواقب	222
81.	فضل اغتنام الفرص في العمل الصالح	225
82.	آداب الزيارة الشرعية لقبر النبي ﷺ	227
83.	الصدق: فضله وصفة أهله	229
84.	لا تنتسبوا لغير آبائكم	231
85.	التحذير من المضارة	233
86.	اكتبوا وصاياكم قبل مناياكم	236
	الفهرس	240